المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

جهود بعض علماء المدينة النبوية في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب
فايز بن عبد الله بن عوده الأحمدي

إشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور/ عبدالله بن عمر الدميجي

١٤٢٨هـ

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

ملخص الرسالة

اسم الباحث: فايز بن عبدالله الأحمدي

الدرجة: الماجستير من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى.

عنوان الرسالة: (جهود بعض علماء المدينة النبوية في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري)

موضوع الرسالة: لا شك أن للعلماء العاملين من أهل السنة والجماعة الفضل بعد الله تعالى على هذه الأمة في حراسة العقيدة والذب عنها والدعوة إليها، وجهودهم في تقرير عقيدة السلف الصالح، وإنكارهم البدع والخرافات كان لها الأثر البالغ في هداية الأمة والتي بعدت في فترات زمنية متفرقة عن كتاب ربها وسنة رسولها ﷺ؛ ولذلك كان بيان تلك الجهود وإبرازها من أوجب الواجبات على خلفهم من طلبة العلم، ولذا اختصت هذه الرسالة بإبراز جهود علماء المدينة النبوية في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري.

وقد جعلت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة وملحق للرسالة وفهارس.

في **المقدمة** تحدثت عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهجي فيه، وموضوعاته.

في **التمهيد** تحدثت عن الناحية العلمية والعقدية للمدينة النبوية في تلك المدة.

الباب الأول: تحدثت فيه عن جهودهم في بيان مصادر العقيدة عند السلف وعند المخالفين لهم.

الباب الثاني: تحدثت فيه عن جهودهم في تقرير التوحيد بأقسامه الثلاثة.

الباب الثالث: تحدثت فيه عن جهودهم في تقرير الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر.

الباب الرابع: تحدثت فيه عن جهودهم في مسائل الإيمان مثل تعريف الإيمان وزيادته ونقصانه

الباب الخامس: تحدثت فيه عن جهودهم في الرد على الصوفية، والشيوعية.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم نتائج الدراسة، ومنها:

١ـ التزام علماء المدينة النبوية منهج السلف الصالح في تقرير العقيدة.

٢ـ تأثرهم الواضح بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ ويظهر ذلك من خلال:

أ ـ اعتناؤهم بكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب من اختصار ونظم.

ب ـ دفاعهم عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورد الشبهات حولها.

ج ـ انتهاج منهجه في التأليف.

ملحق الرسالة: ويحتوي على تراجم علماء المدينة النبوية المعنيين في هذه الدراسة، وأخيراً الفهارس العلمية.

الباحث

فايز بن عبدالله الأحمدي

الملخص الإنجليزي

Abstract

Title of Thesis: "Efforts of Some Madinah Scholars in Establishing *Salafi* Creed During the 14th Century AH."

Topic of Thesis :

It goes without saying that virtue should be attributed to the working scholars of *Ahlu Asunnah Waljamaa* , i.e. People of the Prophet's Way and Group; for their efforts in establishing the creed of the Pious Predecessors and condemning superstitions and innovations were of great impact in guiding this Muslim nation which had driven away in separate time intervals from the book of its Lord and the way of its prophet (Peace be upon him). Therefore, clarifying these efforts is one of the best things novice scholars might do. Consequently, I dedicated this study to investigate the efforts of Madinah scholars in establishing *Salafi* creed during the 14th century AH.

I divided the study into an introduction, preface, five chapters, conclusion and an appendix. In the introduction, I talked about the importance of the topic, reasons for choosing it, my approach to it and the issues involved with it. The preface then talks about the kind of knowledge and belief that was in Madinah during the specified period of time. I used chapter one to talk about the scholars efforts in clarifying the sources of Creed among the Predecessors and their oppositions. Chapter two shows their efforts in establishing Monotheism and their position of its three divisions. In chapter three, I talked about their efforts in establishing belief in the angels, books, messengers, the hereafter and destiny. Chapter four is dedicated to show their efforts in belief issues such as defining belief, its increase or decrease. I talked about their efforts in challenging people of Sufism and Communism in chapter five.

The conclusion included the most important results that I came up with from this study such as:

1) Madinah scholars had always abided by the approach of the Pious Predecessors in establishing creed .

2) They were clearly affected by the call of Shikh Muhammed Bin Abdulwahaab. This shows through:

a) taking care of his books in terms of organizing them and making abridges.
b) defending of his call.
c) following his methodology in compiling.

Finally, the appendix contained biographies of some Madinah scholars involved in this research and indexes.

Supervisor	Researcher
Dr. Abdullah O. Al-Demaigi	Fayez A. Al-Ahmadi, MA candidate

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن المتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية، يدرك أن عزها وعلوها مرتبط بصفاء عقيدتها، ومدى تمسكها بكتاب ربها وسنة رسولها ﷺ، وسيرها على منهج سلفها الصالح.

وأمتنا الإسلامية تعرضت وما زالت تتعرض للعديد من الأخطار، فأعداء الإسلام يكيدون لها بالليل والنهار، ويجندون جميع الوسائل لهدم الإسلام وإثارة الشبهات حوله، وهذا هو طريق أهل الضلالة والغواية من قديم، فالصراع بين الحق والباطل سيبقى ما بقي الليل والنهار.

ومن رحمة الله تعالى أنه تكفل بحفظ هذا الدين وذلك بحفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾ (سورة الحجر، الآية: ٩).

كما قيض لهذه الأمة من يذود عن حمى دينها وعقيدتها قال ﷺ: «**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[1]. فقيض الله من علماء هذه الأمة من يتصدى لأهل الغواية والضلال ينقضون قولهم ويفضحون سترهم بالقول الحق الواضح من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (٨/٢٣٨) برقم (٧٤٦٠)، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

ومن هنا كان لأهل العلم من العلماء العاملين أثر واضح عظيم في إرشاد الناس وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، وتبصيرهم بمخططات أعداء الإسلام، والوقوف في وجه الانحرافات العقدية وغيرها من الانحرافات.

وممن شرفهم الله تعالى بحفظ دينه من علماء أهل السنة والجماعة في القرن الرابع عشر الهجري جملة من علماء المدينة النبوية، فرسائلهم ومؤلفاتهم شاهد على جهودهم في نشر العقيدة الصحيحة وتقريرها، والذود عن حياضها.

وفي هذا البحث إحقاقًا لحق هؤلاء العلماء وبيانًا لجهودهم، لاسيما أن بعضهم أصبح من المغمورين الذين لايعرفون عند جلّ طلبة العلم فضلاً عن غيرهم، ورسائلهم ومؤلفاتهم أصبحت حبيسة في خزانات المكتبات الخاصة والعامة، طُبع منها بأعداد محدودة إذ كانت في الغالب طبعات للتوزيع الخيري فحسب.

وتظهر أهمية تلك الرسائل والمؤلفات في اعتمادها على المصادر الأصلية وعنايتها بعبادات السلف الصالح، ولذلك وقع اختياري على موضوع «جهود بعض علماء المدينة النبوية في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري».

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية:

١ـ الواجب علينا تجاه هؤلاء العلماء الذين اهتموا بجانب العقيدة تدريسًا وتحقيقًا وتأليفًا، لاسيما وقد أصبح بعضهم من المغمورين ـ كما أسلفت سابقًا ـ.

٢ـ إتمامًا للعمل الذي قام به الأخ/ عبدالمحسن بن ردة الله الحربي، في رسالته «جهود بعض علماء البلد الحرام في تقرير العقيدة السلفية في

القرن الرابع عشر الهجري»، وبذلك يكون لقسم العقيدة في جامعة أم القرى السبق في جمع جهود علماء الحرمين الشريفين في تقرير العقيدة السلفية في القرن الرابع عشر الهجري.

أما بالنسبة لحدود الدراسة فقد حددت جملة من الضوابط التي لابد أن تتوفر فيمن يكون داخل مجال البحث من العلماء وهي:

١ـ أن يكون العَلَم متوفى، فالحي لا تؤمن عليه الفتنة.

٢ـ أن يكون قد قضى أغلب حياته العلمية في المدينة النبوية.

٣ـ يدخل ضمنهم من امتدت حياته منهم حتى نهاية الربع الأول من القرن الخامس عشر الهجري باعتبار أن غالب جهودهم العلمية وقعت في القرن الرابع عشر، لأن كثيرًا منهم كانت جهوده العلمية في القرن الماضي، وبعد دخول هذا القرن توقف عن التدريس والتأليف لكبر سنه أو مرضه آخر عمره.

٤ـ أن يكون هذا العَلَم قد خلَّف آثارًا مكتوبة من مؤلفات ورسائل أو مقالات أو خطب في مجال العقيدة السلفية.

٥ـ ألاّ يكون قد أُفرد ـ من قبل ـ ببحث مستقل في بيان جهوده في تقرير العقيدة كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ والشيخ تقي الدين الهلالي ـ رحمه الله ـ.

وقد بدأت أولاً بجمع المصادر والمراجع لهذا البحث، فالتقيت ببعض العلماء الذين عاصروا هؤلاء العلماء وسألتهم عن كتبهم. وتعرفت على منازلهم فالتقيت بأبناء وأحفاد هؤلاء العلماء، واستفدت من بعضهم، بينما لقيت من البعض الآخر الجفاء والصد، ولم أظفر إلاَّ بما قسمه الله لي والحمد لله.

وقد استفدت كثيرًا من بعض المكتبات ومنها:

ـ مكتبة دار الحديث المدنية.

ـ مكتبة الحرم المدني .

ـ مكتبة تصيف ـ رحمه الله ـ ضمن مكتبة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة .

وهنا أحب التنبيه إلى أن مؤلفات ورسائل علماء المدينة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري جاءت إجمالية عامة لم تدخل في دقائق المسائل والترجيح بين الأقوال ، فهي في الغالب بمثابة المؤلفات التقريرية الدعوية التي تخاطب عامة الناس . وأنبه أيضًا أني أعني بعلماء المدينة عند الإطلاق العلماء المعنيين الذين قامت عليهم الدراسة ممّن تنطبق عليه شروط الدراسة حسب علمي وجهدي .

وقد بلغ عدد من انطبقت عليهم هذه الضوابط (١٤) علمًا وهم كالتالي :

١ ـ الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري رحمه الله .

٢ـ الشيخ محمود شويل رحمه الله .

٣ـ الشيخ عبدالرحمن الأفريقي رحمه الله .

٤ـ الشيخ عمر إبراهيم بري المدني رحمه الله .

٥ـ الشيخ السيد قاسم الأنديجاني رحمه الله .

٦ـ الشيخ صالح بن أحمد المصوعي رحمه الله .

٧ـ الشيخ عبدالعزيز بن خلف الخلف رحمه الله .

٨ـ الشيخ عبدالله بن حمد الخربوش رحمه الله .

٩ـ الشيخ محمد أمان علي الجامي رحمه الله .

١٠ ـ الشيخ عبد العزيز بن علي الشبل رحمه الله .

١١ ـ الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله .

١٢ ـ الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله .

١٣ ـ الشيخ علي بن محمد بن سنان آل سنان .

١٤ ـ الشيخ عبدالله بن محمد الزاحم رحمه الله .

وقد خصصت ملحق للرسالة بتراجم هؤلاء العلماء.

وقد ذكرت نصوص هؤلاء العلماء حسب تاريخ وفياتهم، واجتهدت في الالتزام بالمنهج العلمي في البحث والعزو إلى المصادر، فقمت بترقيم الآيات وعزوها إلى سورها وكتابتها بالرسم العثماني، وقمت بتخريج الأحاديث من مظانها، وقمت بوضع ملحق تراجم علماء المدينة النبوية المعنيين، ثم وضعت لهذا البحث فهارس للآيات والأحاديث والآثار والمصادر، وجعلتها مرتبة على حروف المعجم، ماعدا الآيات القرآنية فإنما رتبتها على حسب ترتيبها في المصحف.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب وخاتمة وملحق التراجم:

ـ أما المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياري له وموضوعات البحث.

ـ أما التمهيد: تحدثت فيه عن الناحية العلمية والناحية العقدية للمدينة النبوية في الفترة المعنية.

ـ أما الباب الأول: جهودهم في بيان مصادر العقيدة وفيه فصلان:

ـ الفصل الأول: موقفهم من مصادر السلف. وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

ـ المبحث الأول: موقفهم من الوحي المعصوم (الكتاب العزيز والسنة المطهرة).

ـ المبحث الثاني: موقفهم من الإجماع.

ـ المبحث الثالث: موقفهم من الأدلة العقلية.

ـ المبحث الرابع: موقفهم من الفطرة.

ـ الفصل الثاني: موقفهم من مصادر الخلف. وفيه مبحثان:

ستة مباحث:

- المبحث الأول: مذهبهم في الأسماء والصفات.
- المبحث الثاني: مفهوم الإلحاد في الأسماء والصفات.
- المبحث الثالث: القواعد العامة في الأسماء والصفات.
- المبحث الرابع: عقيدتهم في بعض الصفات:

أ- صفة علو الله تعالى واستوائه على عرشه.

ب - صفة الكلام.

ج - صفة اليد.

- المبحث الخامس: رؤية الباري في الآخرة.
- المبحث السادس: معية الله تعالى.
- الباب الثالث: جهودهم في تقرير بقية أركان الإيمان الستة. وفيه خمسة فصول:
- الفصل الأول: جهودهم في تقرير الإيمان بالملائكة.
- الفصل الثاني: جهودهم في تقرير الإيمان بالكتب.
- الفصل الثالث: جهودهم في تقرير الإيمان بالرسل. وفي ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: حاجة البشر إلى الرسالة.
- المبحث الثاني: معنى الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام.
- المبحث الثالث: بعض خصائص النبي ﷺ.
- الفصل الرابع: جهودهم في تقرير الإيمان باليوم الآخر. وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: الإيمان بأشراط الساعة.
- المبحث الثاني: الإيمان بالموت وما بعده.

ـ المبحث الثالث: الإيمان بالبعث وما بعده.

ـ الفصل الخامس: جهودهم في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر. وفيه مبحثان:

ـ المبحث الأول: الإيمان بالقضاء والقدر.

ـ المبحث الثاني: الإيمان بخلق أفعال العباد.

ـ الباب الرابع: جهودهم في تقرير مسائل الإيمان وأحكامه. وفيه فصلان:

ـ الفصل الأول: معنى الإيمان وحقيقته.

ـ الفصل الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

ـ الباب الخامس: جهودهم في الرد على المخالفين.

ـ الفصل الأول: جهودهم في الرد على الصوفية.

ـ الفصل الثاني: جهودهم في الرد على الاشتراكية العربية.

وكل من لم أذكرهم من علماء المدينة النبوية والذين كان لهم جهود في الدعوة إلى العقيدة السلفية في الفترة المعنية، كان لأسباب منها: عدم وجود آثار مكتوبة لهم[1] أصلاً، أو تكون لهم آثار مكتوبة موجودة عند أبنائهم أو تلاميذهم، والذين لقيت منهم الصد والجفاء ـ كما أسلفت سابقًا ـ ولقد بذلت الوسع في الحصول على آثار مكتوبة لهم وترددت كثيرًا على المكتبات الخاصة والعامة وعلى أبواب أبنائهم أو أحفادهم، ولكن لم أقف لهم على شيء من ذلك. ولكن حسبنا أن ما قدموه من نصح وإرشاد وتعليم وتضحية في سبيل الدعوة إلى الله تعالى سيجدونه عند الله تعالى.

وختاما لهذه المقدمة أتوجه بشكر الله تعالى على ما منَّ علينا من نعمة الإسلام، وأشكره سبحانه على ما يسّر لي من إتمام هذا البحث، ثم أتقدم بوافر

(١) مثل الشيخ صالح الزغيبي، والشيخ الحركان، والشيخ محمد عمر فلاتة وغيرهم رحمهم الله.

الشكر والدعاء للوالدين الكريمين السعيدين، فهما صاحبا الفضل بعد الله في توجيهي لدراسة العلم الشرعي، فجزاهما الله عني خير ما جازى والدين عن ولدهم، ثم أشكر أستاذي وشيخي الشيخ الفاضل د/ عبدالله بن عمر الدميجي على ما قدمه لي من توجيه ونصح، كما أشكر كل من ساهم ومد يد العون لي في إخراج هذه الرسالة، وأخص منهم أبناء وتلاميذ علماء المدينة النبوية، ومكتبة دار الحديث المدنية، ومكتبة جامعة الملك عبدالعزيز.

هذا والله أسأل أن ينفع بما كتبته ويخلص لي فيه النية، إنه ولي ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث

التمهيد

التمهيد

لعلَّ من المناسب ونحن نتناول بحثًا في جهود علماء بلد ما وفي فترة معينة، أن نتطرق لظروف وأحوال ذلك البلد في تلك الفترة، وليس معنى ذلك أن نتحدث عن جميع الظروف والأحوال لأن ذلك يطول ذكره، فقد شهدت المدينة النبوية في الفترة المعنية ـ القرن الرابع عشر الهجري ـ أحداث متقلبة وصراعات سياسية. وبما أن البحث يتعلق بجانب العقيدة فإنني سأتحدث ـ بإذن الله تعالى ـ بصورة عامة وموجزة عن الناحية السياسية والناحية العلمية والناحية العقدية في المدينة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري.

الناحية السياسية:

عاشت المدينة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري أحداثًا متقلبة، وصراعات سياسية، وتوالت عليها في تلك الفترة ثلاث دول مختلفة.

ـ أولىٰ تلك الدول هي الدولة العثمانية التركية (٩٢٢ ـ ١٣٣٧هـ). وكان أول العهد العثماني في المدينة النبوية بعد أن استولىٰ السلطان سليم خان العثماني علىٰ مصر سنة ٩٢٢هـ، فقد أرسل شريف مكة المكرمة وأميرها الشريف بركات، أرسل ابنه إلىٰ مصر ومعه مفاتيح سلّمه إياها وقال له نيابة عن والده الشريف بركات: إن هٰذه المفاتيح هي مفاتيح الحرمين الشريفين، ففرح بها السلطان سليم خان العثماني فرحًا شديدًا وأجازه علىٰ ذٰلك وأكرمه إكرامًا عظيمًا، وثبت الشريف بركات علىٰ إمارة مكة والمدينة، وجعل ابنه شريكًا مع والده في الحكم[١].

وقد خصّت الدولة العثمانية المدينة المنورة في بادىء الأمر بالأموال

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ: ص (٣٠)، شركة المدينة المنورة للطباعة.

والهبات، ولٰكن تغير هٰذا الحال عندما عيّن الأتراك العثمانيون عام ١٣٢٤هـ علي باشا مرمحين[١] (محافظًا) حاكمًا علىٰ المدينة النبوية. يقول السيد حسين جمل الليل، وهو أحد أهالي المدينة النبوية وأحد المعاصرين لولاية علي باشا مرمحين: «كان شديد الغطرسة والكبرياء والاستبداد والتهور، وقد أهان بعض أهل المدينة، وفرض ضرائب رسوم علىٰ أهلها، فثار أهل المدينة وحاولوا قتله في المناخة وأطلقوا عليه الرصاص وطاردوه لكنه نجا»[٢].

ثم عزلته الدولة العثمانية، ثم آل الأمر إلىٰ حسن باشا[٣]، فقام شغب عليه - أيضًا - ولم يمكث طويلاً، فعينت الحكومة شيخ الحرم عثمان فريد باشا[٤] محافظًا للمدينة مع مشيخة الحرم، وكان أميًا لا يقرأ ولا يكتب. وقد افترق أهل المدينة حيال عثمان فريد باشا بين مؤيد ومعارض. وبقي عثمان فريد في داره مختفيًا، ورفع للسلطان عبدالحميد يشتكي أهل المدينة وينوه بخطرهم وشغبهم ويحرض عليهم، حتىٰ جاءت قوة عسكرية عثمانية من الشام واليمن، وانتهىٰ الأمر إلىٰ سجن (٤٢ شخصًا) و(٤٠ ضابطًا) وذٰلك في قلعة الطائف واستمروا في السجن لمدة سنة ونصف[٥].

---

(١) علي باشا مرمحين: محافظ المدينة المنورة سنة ١٣٢٤هـ: كان سيء المعاملة متكبرًا، عزله السلطان عبدالحميد. ينظر: تاريخ أمراء المدينة المنورة: عارف أحمد عبدالغني، ص٢٢٥، د ركتان ١٤١٧هـ.

(٢) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ: ص٣٥.

(٣) حسن حسني باشا: ولد سنة ١٢٦٦هـ: كان شاعرًا ولي المدينة عام ١٢٨٦هـ، وعزل سنة ١٢٩٩هـ. ثم تولاها مرة أخرىٰ سنة ١٣٢٤هـ. ينظر: تاريخ أمراء المدينة. ص٤١٦.

(٤) عثمان فريد باشا: أمير المدينة ومحافظها وشيخ الحرم سنة ١٣٢٦هـ. تاريخ أمراء المدينة، ص٤١٢.

(٥) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ: ص٣٦.

ومن أهم الأحداث في العهد التركي العثماني ـ في آخره ـ محاصرة المدينة المنورة إبان قيام الثورة العربية ضد الأتراك بقيادة الشريف حسين بن علي. وذلك أيام الحرب العالمية الأولىٰ. وكان الحاكم علىٰ المدينة آنذاك فخري باشا[١]. وكان الحصار شديدًا وتمّ إبعاد خلق كثير من أهل المدينة عنها إلىٰ مدن الشام وتركيا، ووصلت المجاعة أقصاها ومات خلق كثير، وكانت المدينة تعيش حالة سيئة جدًّا من قلة الأرزاق.

ولمَّا أحسَّ الأتراك بخطورة الموقف أمروا قائدهم فخري باشا بالانسحاب، وذلك في أواخر عام ١٣٣٧هـ. ولكن فخري باشا أصرَّ علىٰ البقاء حتىٰ تمَّ أسره من قبل كبار ضباطه، وتم تسليمه للأشراف وذلك سنة ١٣٣٧هـ، وقد فني الجيش التركي في المدينة النبوية من الجوع والمرض، وكان هٰذا نهاية الحكم التركي في المدينة المنورة سنة ١٣٣٧هـ[٢].

ـ أما الدولة الثانية التي حكمت المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري فهي الدولة الهاشمية (١٣٣٧ ـ ١٣٤٤هـ) ـ فكما أسلفت ـ أن الشريف حسين بن علي أعلن الثورة علىٰ الأتراك سنة ١٣٣٤هـ. وقد تحقق له الاستيلاء علىٰ المدينة النبوية وذلك في ١٧/ رجب ١٣٣٧هـ، فعين ابنه الشريف علي بن الحسين[٣] أميرًا عليها[٤].

(١) فخري بن بالي باشا: ولد سنة ١٨٦٩م، وتوفي سنة ١٩٤٨م، تولىٰ إمارة المدينة المنورة عام ١٣٣٤هـ. ينظر: تاريخ أمراء المدينة، ص٤٢٣.

(٢) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ، ص٤١.

(٣) علي بن الحسين (١٢٩٨ ـ ١٣٥٣) بويع بعد أن خلع الشريف حسين نفسه من الملك. مات ببغداد. ينظر: الأعلام ٤/ ٢٨١.

(٤) بتصرف: صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، ياسين أحمد الخياري، ص١٦٨، دار العلم، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ، تاريخ معالم المدينة قديمًا وحديثًا، أحمد الخياري، ص٢٦٨.

ومع بداية هٰذه الفترة رجع أهالي المدينة الذين شردتهم الحكومة التركية ـ أثناء حصار المدينة المتقدم ـ وقد قامت الحكومة الهاشمية بمساعدتهم في هٰذا الرجوع[١].

ورغم سيطرة الشريف علىٰ المدينة النبوية إلاَّ أن الطريق إليها كان غير آمن. حيث تتعرض القبائل لقوافل الحجاج وتقطع عليهم الطريق وتفرض عليهم الضرائب[٢].

كما فرض الشريف ـ نفسه ـ علىٰ أهالي المدينة الضرائب والأتاوات، فضاق الناس ذرعًا منها[٣].

ولم تطل مدة حكم الأشراف في المدينة فقد نشب خلاف بين الملك الحسين بن علي والملك عبدالعزيز آل سعود علىٰ الحدود وعلىٰ قريتي (خرمة وترية)، واستفزت المحادثات الجارية بينهما الملك عبدالعزيز كما استفزه منع الحسين حج أهل نجد، وكان من نتيجة ذٰلك استيلاء الملك عبدالعزيز آل سعود علىٰ الحجاز[٤].

ـ أما العهد الثالث وهو العهد المبارك للمدينة النبوية فهو في ظل الدولة السعودية، وسلمت المدينة للأمير محمد بن عبدالعزيز، وعين أميرًا للمدينة في ١٩ جمادىٰ الأولىٰ ١٣٤٤هـ[٥].

ومنذ ذٰلك التاريخ والمدينة النبوية تنعم بالأمن والرخاء والاستقرار، ويقصدها المسلمون كل عام لزيارة مسجد رسول الله ﷺ آمنين مطمئنين،

---

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ: ص٤٩.

(٢) الشعر الحديث في الحجاز: عبدالرحيم أبوبكر: ص٤٥، دار المريخ ١٣٩٣هـ.

(٣) بتصرف: جزيرة العرب في القرن العشرين، حافظ وهبة: ص٢١٢، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة: الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ.

(٤) فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ. ص٤٤.

(٥) المصدر نفسه: ص٤٤.

فلله الحمد من قبل ومن بعد .

الناحية العلمية:

تأخرت الحالة التعليمية في المدينة النبوية في الفترة المعنية، وذلك لما أصابها من حروب ونزاعات سياسية ـ كما أسلفت ـ .

وبالرغم من الاضطراب الذي كانت تعيشه إلا أنها لم تَخْلُ من ثقافة علمية . وإن كانت بدائية في مطلع القرن فقد كانت على ما كان معروفًا بالكتاتيب أو الكتَّاب ويذكر المؤرخون أنه بلغ عدد الكتاتيب في المسجد النبوي في عام ١٣٠٣هـ اثني عشر كتابًا، وكتابًا واحدًا لتعليم اللغة الفارسية[١] .

فإذا تخرج الطالب من الكتَّاب التحق بحلقة من حلقات المسجد النبوي، فيدرس على المدرسين في هذه الحلقات في علوم متنوعة ليحصل على أكثر من إجازة من مشايخ هذه الحلقات[٢] .

وكان من أهم المؤسسات التعليمية في المدينة النبوية في تلك الفترة ـ وما سبقها ـ المسجد النبوي، حيث كان يدرس فيه العلوم الشرعية والعربية وغيرها وكانت الدراسة فيه متواصلة طوال النهار وأجزاء من الليل[٣] .

وقد بلغ عدد المدرسين في المسجد النبوي عام ١٣٣٤هـ واحدًا وعشرين مدرسًا[٤] .

أما من جانب المدارس النظامية، فقد ظهرت في بداية القرن الرابع

(١) ينظر: رسالة في وصف المدينة عام ١٣٠٣هـ: علي بن موسى، ص: (٥٢)، ضمن رسائل في تاريخ المدينة المنورة لحمد الجاسر، دار اليمامة للنشر، الرياض.

(٢) ينظر: المنهل الربيعان ١٤١٣هـ ص: (١٣٦)، مقال للأستاذ ناجي محمد الأنصاري.

(٣) فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص: (٥٨)، علي حافظ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ، شركة المدينة المنورة، وصور من الحياة الاجتماعية بالمدينة النبوية: ياسين أحمد الخياري، ص: (١٨٠)، الطبعة الثانية، مؤسسة المدينة للصحافة، دار العلم، جدة.

(٤) ينظر: المنهل الربيعان ١٤١٣هـ، ص: (١٣٦)، ناجي محمد الأنصاري.

عشر الهجري، فظهرت المدارس الابتدائية وبلغ عددها ثلاثًا، كان أولها (المدرسة الرشدية) تأسست عام ١٣١٠هـ[١].

ثم ظهرت المدارس الثانوية وكانت تسمى المدرسة الإعدادية وتأسست عام ١٣١٨هـ[٢]، وتأسست المدارس الليلية لمحو الأمية وكانت مدرستان، وظهرت أيضًا المدارس التحضيرية وبلغ عددها أربعًا[٣].

وبالرغم من انتشار هذه المدارس في العهد العثماني إلاَّ أن الإقبال على تلك المدارس كان ضعيفًا لأن الفكرة التي كانت عند أهالي المدينة أن من يتخرج من تلك المدارس سيكون مصيره إلى الخدمة العسكرية[٤].

وفي عام ١٣٢٤هـ ابتعثت أول بعثة علمية من المدينة النبوية إلى كلية (دار الشفقة) باستانبول[٥].

وفي عام ١٣٢٧هـ أنشئت (دار المعلمين) وذلك لتزويد المدارس التحضيرية والابتدائية بالمدرسين وكانت الدراسة فيها باللغتين التركية والعربية، أما الابتدائية والتحضيرية والإعدادية فباللغة التركية فقط[٦]، ثم أدخلت اللغة العربية في المدرسة الإعدادية بعد ذلك[٧].

أما عن المدارس النظامية في العهد الهاشمي ففي عام ١٣٣٨هـ تمَّ افتتاح أربع مدارس تحضيرية بأسماء أنجال الملك الشريف الحسين وهم

(١) ينظر: صور وذكريات عن المدينة المنورة، عثمان حافظ، ص: (١٦٦)، منشورات نادي المدينة الأدبي.
(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص١٦٦.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) ينظر: صور وذكريات عن المدينة المنورة، عثمان حافظ، ص(١٧).
(٦) المصدر نفسه.
(٧) المصدر نفسه.

علي وعبدالله وفيصل وزيد (المدرسة العلوية، والعبدلية، والفيصلية، والزيدية)[١]، وفي عام ١٣٤٠هـ أسست (المدرسة الراقية) وهي مرحلة بعد التحضيرية[٢].

وقد جاء في المختار من الرحلات أن المدارس الأربع التي بأسماء أنجال الملك حسين كان يدرس فيها جملة من العلوم عدا اللغة العربية[٣]، ولذلك اشتدت رغبة الأهالي في تأسيس مدارس أهلية تحفظ لأبنائهم لسانهم العربي والاهتمام بالعلوم الشرعية، وفي عام ١٣٤١هـ تأسست مدرسة العلوم الشرعية والتي أسسها أحمد الفيض آبادي. وكانت هذه المدرسة أكبر مؤسسة تعليمية في المدينة النبوية في العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري حيث بلغ عدد طلابها عام ١٣٥٨هـ أربعمائة طالب، وعدد مدرسيها (٣٤) مدرسًا واثني عشر إداريًا وموظفًا[٤].

وكان لهذه المدرسة أثر كبير جدًا في تطور الحركة العلمية بالمدينة النبوية، ومن المدارس الأهلية التي أنشأت في تلك الفترة: المدرسة الجليلة ومدرسة الشفاء، ومدرسة الإحسانية[٥].

أما في العهد السعودي فقد شهدت المدينة النبوية فيه تطورًا ملموسًا في حركة التعليم، حيث افتتحت المدارس الحكومية النظامية والتي تقوم

(١) الرحلة التجدية الحجازية للأستاذ محمد بهجة البيطار، ضمن المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة والمدينة النبوية للدكتور محمد بن حسن الشريف (٣/ ٩٣٩)، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

(٢) صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، ياسين الخياري ص: (١٨٠).

(٣) (٣/ ٩٣٩).

(٤) التاريخ الشامل للمدينة المنورة، د/ عبدالباسط بدر (٣/ ١٩٤)، مكتبة المدينة المنورة ١٤١٤هـ.

(٥) صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، ياسين الخياري ص: (١٨٠).

بتهيئة خريجيها للعمل في الجهات الحكومية وغيرها[١].

كما قامت بعض المدارس الأهلية والتي كان لها دور كبير في تطور الحركة العلمية في المدينة النبوية ومن أهمها مدرسة (دار الحديث) والتي تأسست عام ١٣٥٠هـ[٢]، ومن المدارس الأهلية التي تأسست في نفس العام وكان لها دور كبير في هذا المجال مدرسة (دار الأيتام) والتي كانت تهدف رعاية الأيتام من ناحيتين اجتماعيًا وتعليميًا[٣].

ومن المدارس الأهلية التي تأسست في العهد السعودي:

- مدرسة (النجاح) عام ١٣٥٣هـ ثم أصبحت حكومية عام ١٣٥٩هـ[٤].
- مدرسة (دار العلوم السلفية الأهلية) عام ١٣٦٧هـ وتوقف نشاطها عام ١٤٠٤هـ[٥].

وفي عام ١٣٦٨هـ أنشيء المعهد العلمي السعودي، ومعهد المعلمين الابتدائي عام ١٣٧٣هـ.

ثم توالت إنشاءات الصروح التعليمية في العهد السعودي الزاهر في تلك الفترة حتى تأسست الجامعة الإسلامية عام ١٣٨١هـ والتي يتلقى فيها أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض العلوم الشرعية ولله الحمد والمنة.

المكتبات:

لا يخفى الدور الذي تقوم به المكتبات في نشر العلم ودفع عجلة التعليم، فالعالم وطالب العلم بحاجة ماسة إليها في دراستهم وتدريسهم،

---

(١) التعليم الأهلي في المدينة المنورة، عقيل الله الحيدري ص: (٥٤)، نادي المدينة الأدبي.

(٢) المصدر نفسه ص: (١٢٠).

(٣) المصدر نفسه ص: (١٥٥).

(٤) المصدر نفسه ص: (١٩٨).

(٥) التعليم الأهلي في المدينة المنورة، عقيل الله الحيدري، ص (٢٧٨).

وبما أن المدينة النبوية حظيت في الفترة المعنية بوجود علماء أجلاء وعدد من طلاب العلم، كان لظهور المكتبات فيها أثر كبير في تقدم وتطور الحركة العلمية.

وهنا أذكر بعض تلك المكتبات ومنها:

١ـ مكتبة عارف حكمت: تأسست عام ١٢٧٠هـ.

٢ـ مكتبة المحمودية: تأسست عام ١٢٧٢هـ.

٣ـ مكتبة الحرم النبوي: تأسست عام ١٣٥٢هـ.

٤ـ المكتبات الخاصة لبعض العلماء والتي أوقفوها على الصالح العام.

٥ـ مكتبات المدارس والأربطة التي في المدينة النبوية ـ آنذاك ـ ومنها:

ـ مكتبة المدرسة القازانية.

ـ مكتبة المدرسة الوفائية.

ـ مكتبة المدرسة الإحسانية.

ـ مكتبة رباط عثمان.

ـ مكتبة رباط الخيرات.

ـ مكتبة رباط قرة باش.

ـ مكتبة رباط مظهر[١].

٦ـ المكتبات الخاصة لبعض الأسر الكبيرة في المدينة النبوية ومنها:

ـ مكتبة آل البري.

ـ مكتبة آل الصافي.

ـ مكتبة آل المدني.

(١) صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، ياسين خياري، ص: (١٢٤ـ١٢٥).

ـ مكتبة آل البساطي.

ـ مكتبة آل الخياري.

الصحف في المدينة النبوية:

١ـ جريدة المدينة المنورة، وكانت تصدر باللغة التركية والعربية.

٢ـ جريدة الحجاز، أسسها فخري باشا وكانت تطبع في المدينة.

٣ـ مجلة المنهل، والتي أسسها الشيخ عبدالقدوس الأنصاري في المدينة النبوية عام ١٣٥٥هـ.

٤ـ جريدة المدينة، والتي أسسها علي وعثمان عبدالقادر حافظ في المدينة النبوية عام ١٣٥٦هـ[١].

المطابع:

عرفت المدينة النبوية الطباعة في تلك الفترة وكان بها عدة مطابع:

١ـ مطبعة الكلية الإسلامية.

٢ـ مطبعة الفيحاء والتي أسسها عبدالحق نقشبندي.

٣ـ المطبعة العلمية والتي تأسست عام ١٣٣٠هـ.

٤ـ مطبعة جريدة المدينة المنورة والتي أسسها علي وعثمان حافظ[٢].

الناحية العقدية:

من المعلوم أن الدولة العثمانية أهملت في آخر عهدها الاهتمام بمعالجة الانحرافات العقدية، وكان لغياب القادة المخلصين لدينهم والمتمسكين بالكتاب والسنة أكبر الأثر في انحراف الأمة عن مفاهيم

(١) المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، أحمد سعيد بن سليم ص: (١٢٨ـ ١٣١)، دار المنار.

(٢) المصدر السابق، ص(١٢٨ـ ١٣١).

دينها[١]. ومن أعظم تلك المفاهيم انحراف الأمة عن مفهوم العبادة والذي أدّى إلى انتشار الشرك والبدع والخرافات والبناء على القبور وسؤال أصحابها قضاء الحاجات وتفريج الكربات. وظهور أرباب الطرق الصوفية والذين كانوا يحظون بالدعم المادي والمعنوي من الدولة العثمانية.

قال عبدالعزيز الشناوي في كتابه (الدولة العثمانية دولة الإسلام المفترى عليها) ما نصه: «وقد كان من مظاهر الاتجاه الديني في سياسة الدولة تشجيع التصوف بين العثمانيين وقد تركت الدولة مشايخ الطرق الصوفية يمارسون سلطات واسعة على المريدين والأتباع وانتشرت هذه الطرق أولاً انتشارًا واسعًا في آسيا الصغرى ثم انتقلت إلى معظم أقاليم الدولة، وقد مدت يد العون المالي إلى بعض الطرق الصوفية»[٢]، وجاء حديثه هذا في سياق المدح لا الذم.

وقال الشيخ محمد قطب في كتابه (واقعنا المعاصر) ما نصه: «لقد كانت الصوفية قد أخذت تنتشر في المجتمع العباسي، ولكنها كانت ركنًا منعزلاً عن المجتمع، أما في ظل الدولة العثمانية وفي تركيا بالذات فقد صارت هي المجتمع، وصارت هي الدين»[٣].

أما المدينة النبوية فإنها لم تسلم في تلك الفترة ممّا أشرت إليه ـ سابقًا ـ من مظاهر الانحراف العقدي، باعتبارها إحدى البلاد التي تحكمها الدولة العثمانية في بداية القرن الرابع عشر الهجري، وفيما يلي أذكر بعض

---

(١) الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، علي بن محمد الصلابي ص: (٤٩٦)، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

(٢) ص: (١/ ٥٩)، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، ١٩٨٠م.

(٣) ص: (١٥٥)، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ.

تلك المظاهر ومنها:

البدع المتعلقة بالحجرة النبوية فقد كان أهالي المدينة يوقدون أربعة عشر شمعدانًا ذهبيًا في الحجرة النبوية في ليالي رمضان من العشاء إلى إكمال صلاة التراويح، وكانت كل أسرة تتقدم في السابع والعشرين من شهر ذي القعدة من كل سنة هدايا إلى الحجرة النبوية، وهذه الهدايا عبارة عن أكياس من الشاش بعدد أفراد الأسرة، في كل كيس من عشرين إلى خمسين درهمًا من القمح الطيب النظيف، ويضعون هذه الأكياس في الحجرة من الشباك، ثم بعد مدة يأخذها الأغوات - خُدَّام الحرم - ويهادون بها الملوك والأمراء والأكابر. ويبتغي أهل المدينة من وراء ذلك البركة[(١)].

ومن جملة البدع المتعلقة بالحجرة النبوية أنه إذا بلغ الصبي عندهم أربعين يومًا حمل إلى المسجد النبوي قبيل المغرب وبعد أن تنتهي صلاة المغرب يأتي أحد الأغوات فيأخذه ويدخله الحجرة النبوية ويضعه تحت الستر عند رأس النبي ﷺ ويكون بصحبته - عيش لتّ بالسمن - يدخله معه الحجرة، ثم يخرج ويوزع بعد ذلك على الأهل والأقارب فيأكلون منه تبركًا، ويعطى للخصي - من الأغوات - نظير ذلك بن وسكر ودراهم معدودة[(٢)].

ومن جملة تلك البدع أيضًا إيقادهم السرج والمصابيح على الحجرة الشريفة مساءً وإطفائها صباحًا، وهذا منهي عنه في الشريعة الإسلامية[(٣)].

وكانوا يغسلون الحجرة النبوية في السنة ثلاث مرات:

---

(١) مرآة الحرمين: اللواء إبراهيم رفعت باشا، ضمن المختار من الرحلات الحجازية، د/ محمد الشريف (٢/ ٧١٨).

(٢) الرحلة الحجازية: للأستاذ محمد لبيب البتنوني، ضمن المختار من الرحلات الحجازية، (٢/ ٨٤٤).

(٣) المصدر نفسه (٢/ ٨٣٠).

ـ في التاسع من ربيع الأول.

ـ في أول رجب.

ـ في التاسع عشر من ذي القعدة.

ويكون لذلك احتفال كبير، وماء غسيلها يفرقونه في قوارير على أكابر المسلمين للتبرك به[١].

كان للحجرة الشريفة باب من الجهة الغربية تشرف على الروضة يعرف بباب الوفود، وهذا الباب لا يفتح ـ على زعمهم ـ إلاَّ في المهام كطلب النصر للدولة إذا تضايقت في حرب الأعداء أو في دفع وباء حل بالناس أو قحط شديد وهذا من الشرك لأن طلب النصر إنما يطلب من الله تعالى وحده لا شريك له وكذا دفع الوباء والبلاء والقحط[٢].

وكانوا يدخلون للحجرة النبوية ما يسمونه بالصندل الشريف ليلة تسعة عشر من ذي القعدة من كل عام، والصندل يدق ويعجن بماء الورد والعنبر والعطر ويوضع في أطباق من ذهب وفضة، ثم يصير غسيل الحجرة صبح ذلك اليوم ويستخرج الصندل ويوزع للبركة[٣].

ومن البدع المتعلقة بالحجرة النبوية ما كان مكتوباً على أعلى الشبابيك التي بالمواجهة ومنها:

وقفنا على أعتاب فضلك سيدي　　لتقبيل ترب حبذا ذلك من ترب

وقمنا تجاه الوجه نرجو شفاعة　　إلى الله في محو الإساءة والذنب[٤]

ومن البدع التي كانت في مسجد النبي ﷺ في الفترة المعنية تعدد

(١) المصدر نفسه (٢/ ٨٣٨).

(٢) وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ: لعلي بن موسى ص: (٨).

(٣) وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ: لعلي بن موسى: ص: (٧٤).

(٤) المصدر نفسه ص: (٨١).

الجماعات. فالمحراب النبوي والسليماني بين أئمة الأحناف والشوافع بالمناوبة: كل جماعة منها تصلي خمسة أوقات في محراب وتنتقل إلى الآخر وأما المحراب العثماني الذي في جدار القبلة فهو على الدوام للأئمة المالكية إلاّ في ازدحام المواسم يتقدم الحنفي فيه وتتناوب المالكية والشافعية في المحرابين المذكورين[١].

أما في رمضان فيصلون العشاء والتراويح بأئمة كثيرون فكل كبير له ولأتباعه إمام، ويوقد أمام كل إمام شمعدانان، وهذا كله بمباركة وتشجيع من الدولة العثمانية آنذاك والتي لم تبعد عن طريقتها الدولة الهاشمية[٢].

وكانت صلاة التراويح تشهد ثلاث ختمات في المسجد النبوي، فالمالكية تختم ليلة خمس وعشرين من رمضان، والشافعية تختم في ليلة سبع وعشرين أما الأحناف فيختمون في ليلة تسع وعشرين[٣].

أما صلاة العيد في المسجد النبوي فكانت بجماعتين، إمام للشافعية والثاني للأحناف[٤].

وكانوا يخرجون بعد صلاة العيد من كل عام إلى البقيع لزيارة القبور ويأخذون بعد خروجهم من الحرم الريحان والجريد الأخضر ويدخل كل واحد لزيارة أمواته وأسلافه[٥].

وكانوا يقومون بزيارة القبور ليلة الخميس وليلة الإثنين رجالاً ونساءً

(١) المصدر نفسه ص: (٧٣).

(٢) مرآة الحرمين للواء إبراهيم رفعت باشا: ضمن المختار من الرحلات الحجازية لمحمد شريف (٢/ ٧١٧) ـ (٢/ ٨٤٥).

(٣) وصف المدينة سنة ١٣٠٣هـ، لعلي بن موسى ص: (٧٤).

(٤) الرحلة الحجازية للبتنوني: ضمن المختار من الرحلات الحجازية لمحمد شريف (٢/ ٨٤٥).

(٥) وصف المدينة سنة ١٣٠٣هـ ص: (٧٨).

ويأخذون معهم الريحان يضعونه على القبور، ويقرأ لهم القراء هنالك القرآن مقابل ما تيسر من النقود[١].

ومن مظاهر البدع والشرك التي كانت في المدينة النبوية في تلك الفترة القباب المبنية على القبور والأضرحة وبعض الأماكن التي كانوا يزعمون فضلها، وقد حاولت إحصاء تلك القباب التي ذكرها صاحب مرآة الحرمين فوجدتها تزيد على خمسين قبّة منها القباب التي على قبور آل البيت وقبور الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ[٢].

وكانت غالب تلك القباب في البقيع وحول مسجد قباء، وكانت هناك قبة صغيرة في صحن مسجد قباء تعرف (بمبرك الناقة ومحل نزول الآية) وفي موقعة أحد كانت هناك قبة تسمة (قبة الثنايا الشريفة النبوية) ويزعمون أنها المحل الذي سقطت فيه ثنايا رسول الله ﷺ في غزوة أحد، وفي نفس موقعة أحد قبة مبنية تسمى (قبة المصرع) ويزعمون أنها المحل الذي صرع فيه حمزة بن عبدالمطلب ـ رضي الله عنه ـ[٣].

ومن جملة تلك البدع والخرافات بدعة الموالد، ففي صحن المسجد النبوي كانوا يحتفلون بالمولد النبوي بعد طلوع شمس الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام. فتقرأ الموالد المبتدعة ويشرب (الشربيت) وتوزع الحلاوة اللوزية ويشهد ذلك حضور هائل من أهالي المدينة وغيرهم من أرباب الطرق[٤].

---

(١) مرآة الحرمين للواء إبراهيم رفعت، ضمن المختار من الرحلات الحجازية (٢/ ٧١٦).
(٢) المصدر نفسه (٢/ ٨٣٨).
(٣) وصف المدينة سنة ١٣٠٣هـ، لعلي بن موسى ص(١٥).
(٤) المصدر السابق ص: (٧٧).

وكانوا يقيمون مولدًا لعلي العريضي[(١)] عند قبره ومسجده، شرقي المدينة على مسيرة ساعة ونصف منها وكان في شهر صفر ويستمر أربعة أيام[(٢)].

ومن تلك الموالد المبتدعة والتي كانوا يقيمونها مولد لحمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، وذلك عند مشهده في كل سنة من أول رجب إلى منتصفه، ويحضر المولد الرجال والنساء من أهل المدينة ومكة والطائف وجدة ورابغ وسكان البوادي ويحضر أرباب الطرق، فتذبح هنالك الذبائح ويطعم الطعام[(٣)].

ومن البدع التي كانت في المدينة النبوية الاحتفال بالمعراج، وذلك في السادس والعشرين من رجب من كل عام، في صحن المسجد النبوي بعد صلاة العصر. حتى ذكر بعضهم أن ازدحامه أكثر من ازدحام المولد النبوي.

ومن جملة تلك البدع الإجلال والتعظيم لما يسمىٰ (المحمل)[(٤)].

والاحتفال بإدخال المحمل المسجد النبوي، وارتداء العمائم والملابس البيضاء والاصطفاف صفين خارج باب السلام والعزف بالموسيقى عند إخراج الكسوة من المقصورة ووضعها على المحمل[(٥)].

(١) قبره على ثلاثة مراحل من المسجد النبوي شرقًا. ينظر: تهذيب التهذيب (٧/ ٢٩٣)، طبعة دار الكتاب الإسلامي.

(٢) مرآة الحرمين للواء إبراهيم رفعت باشا، ضمن المختار من الرحلات الحجازية لمحمد شريف (٢/ ٧١٧).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٧١٦).

(٤) المحمل عبارة عن جمل يحمل كسوة الكعبة والحجرة النبوية، وكان يخرج من الشام ومصر بصحبة ركب المحمل، ومعه مخصصات الحرمين الشريفين من هدايا ومرتبات وأموال لفقراء الحرمين، وكان يصحب المحمل طبل وزمر وطقوس معينة، وحظي بإجلال وتعظيم لا يحبذه الشرع.

(٥) مرآة الحرمين للواء إبراهيم باشا، ضمن المختار من الرحلات الحجازية لمحمد شريف=

وكانوا يحيون ليلة سفر المحمل بتلاوة المولد. ويودع بالموسيقى كما استقبل بها[١].

وفي أواخر النصف الأول من القرن الرابع عشر وبعد ضم الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ الحجاز بدأت مظاهر الشرك وبدع القبوريين والصوفية تندرس في المدينة النبوية، وبدأت مظاهر التوحيد تبدو، وباتت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية تنتشر في المجتمع المدني، وتنتشر عقيدة التوحيد في داخلها وحولها من القرى والهجر. وكان من المعروف أن الدولة العثمانية عادت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ السلفية من أول ظهورها وحاولت القضاء عليها، وكان أهل البدع والخرافات في المدينة النبوية خاصة يجدون تشجيعًا من السلطة الحاكمة سواء في فترة الحكم العثماني أو حكم الأشراف[٢].

وعند دخول الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ المدينة النبوية حرص على هدم القباب المبنية على مقابر بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وغيرهم من آل البيت سواء في البقيع أو حول قباء. ومنع مجيء المحمل المصري، وكان ذلك من أسباب توتر العلاقات بين فؤاد الأول ملك مصر يومئذ والملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ ولذلك دعا الملك عبدالعزيز علماء الشرع في مصر والسعودية لبيان حكم الشرع في المحمل[٣].

وانتهت بفضل الله تعالى مظاهر الغلو في زيارة قبر النبي ﷺ مع إشراقة

= (٢/ ٧٠٧).

(١) المصدر السابق (٢/ ٧٢٢).

(٢) توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، لمحمد السلمان ص: (١٦٢ـ١٦٤): مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، جدة ١٤١٦هـ.

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز: خير الدين الزركلي ص: (١٢٧)، دار العلم للملايين: لبنان، الطبعة الرابعة.

العهد الجديد في المدينة النبوية، حيث أرسل الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ إلى الحكومة المصرية برقية مفادها أنه لا يسمح بالغلو في زيارة قبر النبي ﷺ وقبور آل بيته وأصحابه ولا غيرها ولا يسمح بتقبيلها أو التمسح بها أو الطواف بها، إذ أن الطواف لا يكون إلاَّ بالكعبة وفي نفس الوقت لا يمنع أحدًا من زيارة القبور على الصفة الشرعية التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة[١].

وكان ـ رحمه الله ـ سببًا في اتفاق علماء المدينة النبوية مع علماء نجد في مسألة وجوب هدم القباب التي على القبور، وذلك بسبب أن الملك عبدالعزيز قد بعث سؤالاً إلى علماء المدينة يستفتيهم عن هذه القباب التي على القبور وهل بنايتها جائزة؟ وهل يجب هدمها؟ وهل يجوز التمسح بحجرة الرسول ﷺ والطواف بها وتقبيلها؟ فأجاب علماء المدينة عن هذه الأسئلة بالتحريم استدلالاً بالكتاب والسنة[٢] وبذلك اجتمعت الكلمة واتفق علماء المدينة النبوية ونجد[٣].

أمَّا عن تعدد الجماعات في مسجد النبي ﷺ، فهذه أيضًا من البدع التي اختفت مع ظهور العهد الجديد في المدينة النبوية، حيث أن الملك عبدالعزيز منع تعدد الجماعات بعد أن كانت ثلاث جماعات وجعلها جماعة واحدة وعين الشيخ (الحميدي البردعان) ـ رحمه الله ـ إمامًا للمسجد النبوي[٤].

---

(١) عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها: محمد الخميّس ص: (٧٢).

(٢) مجلة المنهل، السنة الرابعة عشر من عام ١٣٧٣هـ (٣/ ١٥٨).

(٣) توحيد المملكة العربية السعودية: لمحمد السلمان ص: (١٦٥).

(٤) التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي ﷺ، عطية محمد سالم، ص(١٠٧)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

وكان للاتفاق الذي حصل بين الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ وعلماء المدينة النبوية في المسائل العقدية الأثر البالغ في القضاء على مظاهر الشرك والبدع والخرافات. وقام بعض علماء المدينة النبوية بالدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة ونبذ البدع والخرافات بقوة سواء بكتابة الرسائل أو القيام بالنصح والإرشاد من خلال الخطب والدروس، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

الباب الأول
جهودهم في بيان مصادر العقيدة

وفيه فصلان:

الفصل الأول: **موقفهم من مصادر السلف**

الفصل الثاني: **موقفهم من مصادر الخلف**

الفصل الأول
جهودهم في تقرير مصادر السلف

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: **موقفهم من الوحي المعصوم (الكتاب العزيز والسنة المطهرة)**

المبحث الثاني: **موقفهم من الإجماع**

المبحث الثالث: **موقفهم من الأدلة العقلية**

المبحث الرابع: **موقفهم من الفطرة**

التمهيد

لا شك أن الكتاب والسنة هم الأساسان لتلقي العقيدة الإسلامية الصحيحة، ولذلك فإن الأمة إذا أرادت أن تصفو لها عقيدتها ويستقيم لها منهجها فلابد لها من الاعتصام بالكتاب والسنة، فهما المعين الصافي الذي لا يشوبه الكدر، بل فيهما الهدى والنور والبعد عن محدثات الأمور.

وقبل الدخول في معرفة مصادر السلف وكلام علماء المدينة النبوية على ذلك، من المناسب أن أذكر معنى المصادر في اللغة فأقول:

المصدر: أصله من الصدر وهو نقيض الورد وصدر عنه يصدر صدراً. قال ابن سيده: «وقيل الصدر عن كل شيء الرجوع»[١] ويقال صدر القوم عن المكان إذا رجعوا عنه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾[٢]. قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «وقرأ ابن عامر وأبو عمرو (يَصْدُر) من صَدَرَ وهو ضد وَرَدَ أي: يرجع الرِّعاء، والباقون (يُصْدِر) بضم الياء من أصدر أي: حتى يصدروا مواشيهم من وِرْدهم»[٣].

وبمعرفتنا لأصل هذه الكلمة «مصدر» يتضح لنا أنها تعني الشيء الذي يرجع إليه القوم، فيكون هو مرجعهم فيأخذون منه ويعولون عليه. وقد عُلِم أن لكل طائفة وأصحاب طريقة مصادر يرجعون إليها ويعتمدونها في تقرير ما

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سعيد (٨/ ٢٨٤)، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

(٢) سورة القصص: (الآية: ٢٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (١٣/ ٢٦٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

هم عليه من الأفكار والمعتقدات، ولأهل السنة والجماعة المصادر التي يرجعون إليها ويعتمدون عليها في مسائل الاعتقاد والأحكام وهي كالتالي :

المصدر الأول : الكتاب العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وهو كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ .

المصدر الثاني : السنة المطهرة ، وهو قرينة الكتاب العزيز وهي وحي من رب العالمين قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[١] .

المصدر الثالث : الإجماع ، والمقصود به إجماع سلف الأمة في القرون الثلاثة المفضلة الأولى فكل ما دلت عليه هذه المصادر فإن أهل السنة والجماعة يأخذون به ويعتمدونه ولا يقدمون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ شيئاً أبداً .

وهذه المسألة العظيمة التي هي أصل الأصول وأساس الدين ، كان لعلماء المدينة النبوية جهوداً واضحة في تقريرها وبيانها للأمة ، وهم في ذلك سائرون على منهاج السلف الصالح في هذا الباب وغيره ، وفيما يلي نتناول بعض جوانب ذلكم التقرير لهذه المصادر .

---

(١) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

المبحث الأول
موقفهم من الوحي المعصوم

لا شك أن الوحي المعصوم والذي نعني به كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ هما المصدران الأصليان للأحكام والشرائع، وفيما يلي تعريف بهما وموقف علماء المدينة النبوية منهما.

تعريف القرآن لغة واصطلاحًا:

ذكر العلماء في تعريف القرآن الكريم ضوابط تميزه عن غيره فقالوا: إن القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام المنقول إلينا تواترًا، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المجموع بين دفتي المصحف المفتتح بسورة الفاتحة المختتم بسورة الناس[(١)]

فالكتاب العزيز هو المصدر الأساس لتلقي العقيدة الصحيحة، فالمسلم يستقي منه عقيدته، وفي ضوئه يميز العقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ويعرف ما يثبت منها وما ينفى.

ولذلك يجب على المسلم الاعتصام بالكتاب العزيز وجوبًا لا خيار له فيه يقول تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[(٢)]. «قال قتادة ـ رحمه الله ـ «حبل الله الذي أمر بالاعتصام به هو القرآن»، وقال السدي: «حبل الله كتاب

---

(١) ينظر: السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٦٦ـ١٥٨) تحقيق: محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، وعمدة القاري للعيني (٥/ ٢٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ومناهل العرفان في علوم القرآن: لمحمد عبدالعظيم الزرقاني (١/ ١٩٦)، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ، وتفسير الطبري (١/ ٨٥) دار الفكر، بيروت.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

الله»، وقاله أيضًا ابن مسعود والضحاك[١].

قال الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ في شرحه لحديث «الدين النصيحة» ما نصه: «والنصيحة لكتابه: الإيمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته والوقوف مع أوامره ونواهيه وتفهم علومه وأمثاله وتدبر آياته والدعاء إليه وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه»[٢].

أمَّا السنة في اللغة: فهي الطريقة أو السيرة، حسنة كانت أو سيئة[٣].

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[٤].

ومنه قوله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع»[٥] أي طريقتهم. قال خالد بن عبدالله الهذلي:

فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها ... فأول راضي سنة من يسيرها[٦]

أما تعريف السنة في الاصطلاح فإن معناها يختلف باختلاف الأهداف والفنون فهي:

عند المحدثين: ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً له أو فعلاً أو تقريرًا وكذا

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبومحمد عبدالحق بن عطية (١/ ٤٨٣)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١/ ٢٢٢). تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باحسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ.

(٣) مختار الصحاح، لمحمد الرازي (١/ ١٣٣) مادة «سنن»، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، والقاموس المحيط، لمحمد يعقوب الفيروزابادي (١/ ٥٢٨) مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٨/ ٥٧) رقم (٦٧٢٣)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ.

(٦) لسان العرب، لابن منظور (١٣/ ٢٢٥)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

وصفًا وأيامًا[١].

وعند الفقهاء: الصفة الشرعية للفعل المطلوب طلبا غير جازم، بحيث يثاب المرء على فعله ولا يعاقب على تركه[٢].

أما السنة عند الأصوليين: هي قول النبي ﷺ وفعله وتقريره[٣].

وتعريف الأصوليين للسنة هو المشهور عند العلماء.

ولا ريب أن السنة المطهرة لها مكانة سامية ومنزلة رفيعة في التشريع الإسلامي فهي المصدر الثاني من مصادر الشريعة، وهي المفسرة والمبينة لكتاب الله تعالى، ولذلك يجب العمل بها ظاهرًا وباطنًا فهي حجة قاطعة دل على حجيتها الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فأمَّا الأدلة على حجيتها من الكتاب العزيز فهي كالتالي:

جاء في جملة من الآيات النص على أن السنة هي وحي الله تعالى قال جلَّ وعلا: ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٤]، قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: «وما أنزل عليكم من الحكمة وهي السنن التي علمكموها رسول الله ﷺ، وسنَّها لكم»[٥].

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن الحسن في معنى الحكمة قال: «الحكمة حكمة السنة».

(١) فتح المغيث لمحمد السخاوي (١/ ١٣)، تحقيق علي حسين علي: دار الإمام الطبري، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

(٢) أصول الفقه الإسلامي بدار أبو العينين ص(١٧).

(٣) إرشاد الفحول لمحمد بن علي الشوكاني (١/ ٦٧) تحقيق محمد البدري: دار الفكر، بيروت: الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري (٢/ ٤٨٣)، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

وقال ابن أبي حاتم، وروي عن ابن مالك ومقاتل بن حيان ويحيى بن أبي كثير نحو ذلك[١].

وبهذا المعنى قال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ في فتح القدير[٢].

والأمر بطاعة الرسول ﷺ في القرآن في أكثر من سبعين موضعًا. أذكر منها قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٣]، قال الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: «فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك، وهم يتحاكمون إلى الطاغوت، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يامحمد واستأنف القسم جل ذكره فقال: ﴿وربك﴾ يامحمد ﴿لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك ﴿حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾»[٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥].

ودلت السنة المطهرة على حجيتها:

عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضَّر الله امرأ سمع مني حديثًا فحفظه، حتى يبلغه فرب مبلغ أحفظ له من سامع**»[٦]، قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «فلما ندب رسول الله ﷺ

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (١/ ٢٣٧)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

(٢) تفسير فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني (١/ ٢٢٤)، دار الفكر، بيروت.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٤) تفسير الطبري (٥/ ١٥٨).

(٥) سورة النور، الآية: ٥١.

(٦) مسند أحمد بن حنبل (١/ ٤٣٦)، مؤسسة قرطبة، مصر. وجامع الترمذي: لمحمد بن=

إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها إلى من يؤديها، والأمر واحد، دلّ على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه لأنه إنما يؤدى عنه حلال يؤتى، وحرام يجتنب وحد يقام، ومال يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا»[1].

عن المقدام بن معديكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع ولا لقطة معاهد، إلاّ أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه**»[2].

قال محمد بن الحسين الآجري ـ رحمه الله ـ: «ينبغي لأهل العلم والعقل إذا سمعوا قائلا يقول: قال رسول الله ﷺ في شيء قد ثبت عند العلماء، فعارض إنسان جاهل، فقال: لا أقبل إلاّ ما كان في كتاب الله تعالى قيل له: أنت رجل سوء، وأنت ممن يحذرنا منك النبي ﷺ وحذر منك العلماء»[3].

- عيسى الترمذي (٥/ ٣٣). تحقيق: أحمد شاكر. دار إحياء التراث العربي بيروت. وصححه الألباني في الجامع (٢/ ١١٤٥) رقم (٦٧٦٤). المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

(١) معرفة علوم الحديث لأبي عبدالله الحاكم (١/ ٢٦٠) تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ١٣٠) رقم (١٧٢١٣)، وسنن أبي داود (٤/ ٢٠٠) رقم (٤٦٠٤)، وصححه الألباني في الجامع (١/ ٥١٦) رقم (٢٦٤٣).

(٣) الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري (١/ ١٧٦) تحقيق: الوليد بن محمد، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

وكما دلَّ الإجماع أيضًا على حجية السنة، فالسلف الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ أجمعوا على أن السنة قرينة للكتاب العزيز، ولا يقدمون كلام كائن من كان على كلام رسول الله ﷺ فهذه هي طريقتهم ومنهجهم والذي سار عليه من بعدهم من علماء أهل السنة والجماعة.

وعلماء المدينة النبوية قرروا هذين الأصلين سائرين بذلك على طريقة ومنهج أهل السنة والجماعة، ومنهم الشيخ محمد الطيب ابن إسحاق الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث وضح أهمية الاعتماد على الكتاب العزيز لما فيه من الهدى والرحمة حيث قال ـ رحمه الله ـ:

لكنـه مـنَّ علينـا الله ... ببعثـة النبـي إذ أتـاه
بذي الكتاب الجامع المفصل ... مبيِّـن لكـل أمـر مشكـل
وهو هدى ورحمة وهدى ... للعلمـاء المسلميـن حـرا
لا يأت متعنت لأمر الأبد ... بشبهه إلاَّ وفي القرآن رد
لمـا لـه مـن شبهـة مبيـن ... بطـلانهـ وذاك أمـر بيـن
في سورة الفرقان ذا وهو يعم ... في كل باطل إلى يوم الزحم[١]

ومن جملة من قرر أن الاعتماد على القرآن والسنة في مسائل الاعتقاد هو الأصل الذي ينبغي الرجوع إليه والعمل به الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وحيث كان القرآن والسنة متضمنة ما فيه كفاية الخلق دينًا ودنيا في كل زمان ومكان، فواجب اتباعها والعمل بهما وعدم الخروج عنهما»[٢].

بل إنه ـ رحمه الله ـ عرف بشدة تمسكه واعتماده على هذا الأصل فيقول هو عن نفسه «لأني رجل لا يهمني والله شيء إلاَّ العمل بكتاب الله

---

(١) البراهين الواضحات ص(١١)، مطبعة المدينة النبوية ١٣٥٧هـ.

(٢) رفع الشك والارتياب في وجوب اتباع السنة مع الكتاب ص(٣).

وسنة رسوله ﷺ»[١].

وممن قرر هذين الأصلين الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي حيث وضَّح أنه لا يصح إسلام المرء وإيمانه حتى يعتصم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقال ـ رحمه الله ـ: «إن المسلم لا يكون مسلمًا ولا مؤمنًا إلاَّ إذا اعتصم بالكتاب والسنة في العقائد والفرائض والسنن والأمثال والأعمال والأفعال والأذكار»[٢].

وفي موضع آخر وضَّح مكانة السنة وأنها طريق الإسلام وحذَّر من الزيغ عنها فقال ـ رحمه الله ـ: «والسنة هي الطريق المتبع وهي دين الإسلام التي لا يزيغ عنها إلاَّ جاهل هالك مبتدع»[٣].

وممن تعرض لتقرير السنة الشيخ عمر بن إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ حيث قال:

واعلم بأن الله حقًّا أوجبا طاعة ذاك المصطفى والمجتبى

علـى جميـع الثقليـن طـرا من جنها وإنسها قل جبرا

وكمَّـل الله بـه الديـن لنـا وزال عنَّا كل شرك وعنا[٤]

وممن قرر حجية السنة بدلالة الكتاب العظيم والسنة المطهرة الصحيحة الشيخ صالح بن أحمد المصوعي فقال ـ رحمه الله ـ: «الكتاب والسنة كليهما يقضيان بعد الشهادتين بوجوب اتباعه ﷺ بمنطوقها ومفهومها»[٥].

وذكر ـ رحمه الله ـ الطريق الموصل لمرضاة الله سبحانه وتعالى

---

(١) منزلة الحديث من الدين ص(٣٥).

(٢) الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية ص(٦).

(٣) المصدر نفسه ص(٧).

(٤) تسهيل الحفظ والوصول نظم لثلاثة الأصول في التوحيد ص(١٠).

(٥) إرشاد المحتار إلى سبيل المختار ص(١٢)، مطبعة دار نشر الثقافة.

والنجاة يوم القيامة فقال: «ولا يصل المسلم إلى مرضاة الله إلاّ باتباع ما جاء به النبي الكريم ﷺ، ومن أراد أن ينال رضى الله بغير ما جاء به النبي ﷺ فقد نصب لنفسه الحرمان وبلغ درجة الطغيان»[١] كما أعاد ـ رحمه الله ـ سبب تفرق المسلمين بتركهم للكتاب والسنة فقال ـ رحمه الله ـ: «أما التفرق الذي حدث في المسلمين حدث بترك الكتاب والسنة»[٢].

وممن قرر هذين الأصلين الشيخ السيد قاسم ابن عبدالجبار الأنديجاني حيث أوضح حكم العمل بالكتاب العزيز والسنة المطهرة فقال: «يجب العمل بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ إلى أن قال رحمه الله ـ ويجب اجتناب المحدثات والبدع وأهلها»[٣].

وفي موضع آخر دعا للتمسك بالكتاب العزيز والاهتداء بهديه فقال ـ رحمه الله ـ: «فمن تمسك به نجا ومن دعي إليه فقد هدي إلى صراط مستقيم»[٤].

وممن دعا من علماء المدينة النبوية إلى الاعتصام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فرض عين لا يجوز تجاوزهما بأي حال من الأحوال»[٥].

وفي موضع آخر نجد أنه يصرح بأن طريقته في الكتاب العزيز والسنة المطهرة هي طريقة السلف الصالح وهو الإيمان بنصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة فيقول ـ رحمه الله ـ: «وإيماننا قائم على نصوص الكتاب والسنة وهو إيمان أهل السنة والجماعة»[٦].

---

(١) تحذير الحاج والزائر فيما أحدثه الناس في الغابر. مخطوط: لوحة (٥).
(٢) إرشاد المحتار إلى سبيل المختار ص(٦).
(٣) العقيدة الخالصة ص(٦٥٣)، مدرسة الأزبك بالمدينة النبوية ١٤٢٣هـ.
(٤) المصدر نفسه ص(٢٨١).
(٥) آفاق الهداية (٣/ ٢٠٩) مكتبة دار لبنان، دمشق.
(٦) آفاق الهداية (٧/ ٨٢).

ووضح ـ رحمه الله ـ أهمية الكتاب العزيز فهو المصدر الأصل لمعرفة الأحكام والشرائع فيقول رحمه الله: «وهذا القرآن رسالة الله إلى خلقه أمرًا ونهيًا وموعظة وقصصًا وإرشادًا»[١].

كما ذكر ـ رحمه الله ـ أن السنة كالقرآن يجب الأخذ بها، فحكمها حكم القرآن الكريم، فقال ـ رحمه الله ـ: «ونؤمن أن ما ثبت عن النبي ﷺ حق كالقرآن فيما يجب له من الامتثال، وحكمه نافذ في البشر بعده، كما ينفذ حكم القرآن لأنه كالوحي من الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝**﴾[٢] فأمر الله تعالى بالأخذ به كالأخذ بالوحي منه ـ إلى أن قال ـ فطاعته وحجيته فرض عين على كل فرد من هذه الأمة ذكرًا كان أو أنثى، فمن أطاعه فقد أحبه ولا دين لمن لم يكن كذلك. فمحمد ﷺ عبد لا يعبد ورسول لا يكذب بل يطاع ويتبع من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه ومات ولم يتب ويرجع إلى طاعته فهو من أهل النار»[٣].

وعلى هذه الطريقة سار الشيخ عبدالله بن حمد الخربوش ـ رحمه الله ـ حيث قال في معرض حديثه عن القرآن الكريم: «وأنه دستورنا السماوي فلا يتم إسلام المرء إلا باتباعه والعمل به واتخاذه قائدًا والحكم بتعاليمه العادلة»[٤].

وممن تعرض لهذين الأصلين بالتقرير والاعتماد في كثير من كتاباته الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ فقال: «إن السنة مثل القرآن في الاستدلال بها فيستدل بالسنة في كل مقام يستدل فيه بالقرآن»[٥]. كما ذكر ـ رحمه الله ـ

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢٤).

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ـ٤.

(٣) آفاق الهداية (٧/ ٨٠).

(٤) دليل المسلم المبتدئ، ص(٧)، مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

(٥) مجموع رسائل الجامي ص(١٤٥). دار ابن رجب، المدينة النبوية. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

أنه يجب أن يكون مصدر التلقي عند المسلمين للشرائع والأحكام موحدًا وهو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقال: «إن مصدر التلقي يجب أن يكون موحدًا لجميع المسلمين ألا وهو الوحي كتابًا وسنة»[١].

وعن أهمية السنة النبوية ومكانتها في فهم الأحكام يقول الشيخ ـ رحمه الله ـ: «المرتبة التي تشغلها السنة النبوية في باب التشريع حيث لا يستغنى عنها بوجه من الوجوه، إما مستقلة أو مبينة للكتاب إذ لابد من عرض كثير من آيات الأحكام عليها، لتفسر المجمل، وتقيد المطلق، وتخص العام إلى غير ذلك من الأغراض التي تحققها السنة والدور الذي تمثله»[٢].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عبد العزيز الشبل ـ رحمه الله ـ حيث ذكر وجوب الإنكار على من ترك دليل الكتاب والسنة لقول أي أحد. فقال ـ رحمه الله ـ: «فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد العلماء، كائنًا من كان ونصوص الأئمة على هذا»[٣].

وذكر ـ رحمه الله ـ أن ردّ قول النبي ﷺ سبب لزيغ القلب. فقال: «إن ردّ قول الرسول ﷺ سبب لزيغ القلب وذلك هو الهلاك في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾[٤]»[٥].

وممن قرر هذين الأصلين الشيخ عطية محمد سالم في معرض حديثه عن قوله الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[٦] قال: «ومعلوم أن الرد لله إنما هو لكتابه الذي أنزله من عنده، كما أن الرد لرسوله ﷺ هو

---

(١) المصدر السابق ص(٣٥٦).

(٢) المصدر السابق ص(١٤٧).

(٣) مختصر التوحيد: مخطوط ص(٢٦).

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) مختصر التوحيد: ص(٢٦).

(٦) سورة النساء، الآية: ٥٩.

الرد إلى سنته»[١].

وفي موضع آخر صحح ـ رحمه الله ـ المفهوم الخاطيء عند من يزعمون أن العمل يكون بكتاب الله فقط فقال رادًا عليهم: «إن مقالتهم تهدم كثيرًا من التشريعات، بل وتعارض كتاب الله وقد جاء فيه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[٢] وجاءت صحة أقاويله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾[٣] وعلى ذلك فالسنة كما قيل: قطرة من نهر القرآن، وقال ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه**»[٤] إلى أمثال ذلك»[٥].

ومن خلال هذا الوصف لكلام علماء المدينة النبوية في تقريرهم للأصلين الكتاب والسنة يتبين لنا موافقتهم لأهل السنة والجماعة فيما قرروه وبينوه للناس فجزاهم الله خير الجزاء.

---

(١) آيات الهداية (١/ ١٣٣)، مكتبة دار التراث، المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣-٤.
(٤) سبق تخريجه ص(٣٧).
(٥) آيات الهداية (٢/ ٢١٠).

المبحث الثاني
موقفهم من الإجماع

الإجماع له معنيان في اللغة: الأول: العزم على الأمور والإحكام عليه[١]. يقال: «أجمع فلان على كذا» إذا عزم عليه. قال تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ﴾[٢] أي: اعزموا. الثاني: الاتفاق. يقال اجمعوا على الأمر اتفقوا عليه[٣].

أما معنى الإجماع اصطلاحًا: فهو اتفاق جميع مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته، في عصر من العصور، على أمر ديني[٤].

ولا ريب أن الإجماع دليل من الأدلة الشرعية وأصل من أصول الاستدلال المتفق على الاحتجاج بها في العقائد والأحكام الشرعية بل إن الإجماع له مكانته الرفيعة، وقد حظي باهتمام كثير من العلماء. وقد دلت نصوص من الكتاب والسنة على أن الإجماع دليل شرعي يعتمد عليه.

فمن الكتاب قوله جل وعلا: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[٥]،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني (٢٠/ ٤٦٤).

(٢) سورة يونس، آية: ٧١.

(٣) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (٢/ ٤١) المكتبة العلمية، بيروت.

(٤) الإحكام، لعلي بن أحمد بن حزم (١/ ٤٧) دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ. والإحكام، لعلي بن أحمد الآمدي (٤/ ٢٦٧) تحقيق: د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، والمسودة لعبد السلام وابن عبدالحليم وشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٢٨٢). مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، مصر، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٥.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ: «قال العلماء في قوله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ دليل على صحة القول بالإجماع»[١].

ودليل السنة على أن الإجماع حجة ما رواه المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»[٢].

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه على مسلم: «وفيه دليل لكون الإجماع حجة وهو أصح ما استدل به له من الحديث»[٣].

وعند النظر في ما كتبه علماء المدينة النبوية في هذا الموضوع ندرك أنهم اعتبروا هذا الأصل وصححوا الاحتجاج به واعتباره دليلاً من الأدلة الشرعية.

فهذا الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني يصرح بأن كل من خالف كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ وإجماع الأئمة فإنه لا يصدق. يقول في «العقيدة الخالصة» ما نصه: «ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأئمة»[٤]، وهذا يدل على اعتماده على الاستدلال بالإجماع واعتباره مصدراً من مصادر التشريع يجب الاحتجاج به ولا تجوز مخالفته.

وقد دعا الأنديجاني ـ رحمه الله ـ إلى العمل بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وبما درج عليه السلف الصالح والسير على ما ساروا عليه فقال: «يجب العمل بما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما درج عليه السلف الصالح

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥/ ٢٤٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله ﷺ: «لاتزال طائفة...» (١٣/ ٦٧) رقم (٤٩٢٨).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٣/ ٦٩).

(٤) العقيدة الخالصة (٣٣٤).

ومن اقتفى أثرهم من الأئمة المجتهدين»[(١)].

ولعل الشيخ عبدالعزيز بن خلف الخلف ـ رحمه الله ـ من أكثر من دعا إلى الرجوع إلى الإجماع مع الكتاب والسنة، ففي «آفاق الهداية» قال ـ رحمه الله ـ: «أما أصول الدين والمقاصد الاعتقادية فلا يجوز لأحد أن يتجاوز النصوص الشرعية وما أجمعت عليه الأمة لسلامة التوحيد وأسماء الجبار وصفاته من عبث العابثين لأن أمّة محمد لا تجمع على ضلالة وهذا أمر يجب الأخذ به والوقوف عنده»[(٢)].

وفي تقريره لهذا الأصل يقول في موضع آخر: «وكل أمر من أمور الدنيا والآخرة أجمع أهل السنة والجماعة على إباحته فهو مباح أو على تحريمه فإنه محرم»[(٣)].

وكان مما يدل على شدة تمسكه واعتباره لهذا الأصل استدلاله به في كثير من المسائل ومنها قوله: «أما الفرائض فتركها أو شيئًا منها إذا قارنه الجحود فإنه كفر بالإجماع»[(٤)].

وقد اعتبر الإجماع ـ رحمه الله ـ في مسألة عظيمة حيث يقول: «فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما، أما النطق بهما من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك وإخلاص القول والعمل فغير نافع بالإجماع»[(٥)].

---

(١) المصدر نفسه (٣٦٥).
(٢) آفاق الهداية (٣/ ٢٠٩).
(٣) المصدر نفسه (٧/ ٤٥).
(٤) المصدر نفسه (٧/ ١٠).
(٥) المصدر نفسه (٧/ ٣٦).

وفي حديثه عن صفات الباري ـ عز وجل ـ اعتبر هذا الأصل فقال: «وصفات الباري عز وجل لا تثبت إلا بنص القرآن وصحيح السنة المطهرة وإجماع أهل السنة والجماعة»[١].

وهذا يدل دلالة واضحة على سلوكه لمنهج السلف الصالح في اعتباره الإجماع مصدرًا من مصادر التلقي.

ومن جملة علماء المدينة النبوية الذين قرروا هذا الأصل الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث ذكر أنه لا يجوز مخالفة أمر أجمع عليه المسلمون وقبلوه وعملوا به أكثر من ألف سنة فيقول: «ومن أخطاء بعض المعاصرين من يعمد إلى أصل أصيل في مصادر المسلمين الذي أجمعت الأمة على صحته، واجتمعت على قبوله والعمل به، فيخالف الإجماع المنعقد أكثر من ألف سنة»[٢].

وعلى هذا المنهج سار الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم ـ رحمه الله ـ فإنه قرر هذا الأصل واستدل به على كثير من المسائل فقال ـ رحمه الله ـ: «وإنكار الخوارج للرجم باطل وجهل مركب، بالدليل وهو إجماع قطعي»[٣].

وفي مشروعية القضاء قال: «القضاء مشروع بالكتاب والسنة والإجماع»[٤].

(١) المصدر السابق (٧/ ٩٠).
(٢) آيات الهداية ٦/ ٦٩.
(٣) رسالة في أحكام الخمر والزنا، ص(٤٥)، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
(٤) فضل العلم والقضاء، ص(٨٢)، دار المنار ١٤١٨هـ.

وما سلف يوضح موقف علماء المدينة النبوية من الإجماع، وجهودهم في تقرير مصدرية هذا الأصل ودعوة الأمة للإقرار بهذا المصدر من مصادر التشريع.

وقبل الخروج من هذا المبحث أحب أن أنبه أني لم أقف على قول لأي أحد منهم في التفريق بين الاحتجاج بالإجماع في المسائل العلمية ـ العقدية ـ والاحتجاج في المسائل العملية ـ الشرعية ـ والله أعلم.

المبحث الثالث
موقفهم من الأدلة العقلية الصحيحة

قال ابن سيده: «العَقل ضد الحُمق والجمع عُقول، عَقَلَ يَعْقِل عقلاً وَعَقُل فهو عاقل من قوم عُقَلاء والمَعْقُول العَقْل وهو أحد المصادر التي جاءت على معقول كالميسور والمعسور»(١).

وسمي عقل الإنسان عقلاً لأنه يعقله أي يمنعه من التورط في الهلكة.

ومما لا شك فيه أن الإسلام عني عناية كبيرة بالعقل ورفع من شأنه ولا أدلّ على ذلك من جعله مناطًا للتكليف وشرطًا لقيام الحجة بل إن الإسلام منع كل ما يعطل العقل ويحول دون أداء مهمته مثل التقليد الأعمى واتباع الهوى والخرافات الباطلة.

وكما أن الإسلام لم يهمل العقل وأعطاه مجالاً في الاستدلال إلا أنه لم يعطه أكبر من قدره بل منعه من أن يتجاوز حدوده. فلا يمكن بحال تقديمه على النص أو معارضته، بل إن أهل السنة والجماعة لا يسلمون أصلاً بإمكان التعارض بين العقل والنقل.

فالعقل يمكن الاستدلال به على بعض المسائل الاعتقادية كالمسائل الخبرية استدلالاً مساندًا لا مستقلاً.

وعلماء المدينة النبوية تعرضوا لهذا النوع من الاستدلال وهي الأدلة العقلية أي التي تدرك بالعقل. فهذا الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ يقرر أن العقل له دوره في مجال العقيدة وغيرها كيف وهو الأساس في التكليف وذكر

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (١/ ٢٠٤) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١هـ.

الشرط في حجية العقل واعتباره دليلاً وهو أن لا يتجاوز العقل حدوده ويسلك مجالاً ليس مجاله فيقول: «لا يجوز تعطيل العقل في مجال العقيدة وغيرها لأن العقل أساس التكليف ومناط الأهلية إلا أنه لا يجوز أن يتجاوز العقل حدوده ويتجاهل وظيفته ويجتح في مجال الخيال الفاسد والأوهام الكاذبة، والخيال والوهم لا يصلحان أساسًا للعقيدة والمعرفة الصحيحة حتمًا»[1].

والعقل الصريح لا يعارض بحال النقل الصحيح هذا ما قرره أهل السنة والجماعة، فالعقل الذي قرروه مصدرًا ليس بإطلاقه إنما هو العقل الذي يكون موافقًا لدلالة النص، لا العقل الذي انزلق عن طريق الحق إلى طريق توهيمات وضلالات الفلاسفة والمتكلمين.

يقول الشيخ محمد أمان: «دعوتنا إلى وحدة المصدر للعقيدة الإسلامية حقيقة دل عليها الشرع بالقواطع من الأدلة النقلية، والعقل السليم لا يعارضها، على القاعدة التي تقول: العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح»[2].

وممن اعتبر العقل من الأدلة وحث على استعماله وبين مكانته وأهميته الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم ـ رحمه الله ـ فقال: «وعلى العقل مدار الأمور كلها، فتعلق به التكليف الشرعي، فبالعقل يعرف الإنسان الأمر والنهي والحق والباطل، والنافع من الضار، وبالعقل ينظر في عواقب الأمور وأسبابها ومسبباتها، لذلك فإنه مطلوب من الإنسان أن يستعمل هذه المواهب الإلهية فيما خلقت له، وأن يستدل بها على ما ينفعه أو يضره في

(١) مجموع رسائل الجامي ص(٢٤٥).
(٢) المصدر نفسه ص(٢٤٥).

الدنيا والآخرة»[١].

وهنا أمر يجدر الإشارة إليه، وهو أن الدلائل العقلية الصحيحة هي ما اتفق عليه العقلاء ولم تخالف الكتاب والسنة، فكل ما صح من الأدلة العقلية نقبله، وأما الأدلة العقلية الباطلة فلا يجوز قبولها والأخذ بها بل يجب ردّها، وهو ما سنوضحه عند الحديث عن موقفهم من مصادر الخلف ومنها الفلسفة وعلم الكلام، والله أعلم.

(١) رسالة في أحكام الخمر والزنا ص(١٩).

المبحث الرابع
موقفهم من الفطرة

أما الفطرة فقد ذهب جمهور السلف على أن المراد بها الإسلام. دلَّ على ذلك الكتاب والسنة فقال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «هذا نصب على المصدر دل عليه الفعل الأول عند سيبويه وأصحابه، فدل على أن إقامة الوجه للدين حنيفًا هو فطرة الله التي فطر الناس عليها، كما في نظائره مثل قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2] فهذا عندهم مصدر منصوب بفعل مضمر لازم إضماره دل عليه الفعل المتقدم كأنه قال: كتب الله ذلك عليكم وسن الله ذلك، وكذلك هنا فطر الله الناس على إقامة الدين لله حنيفًا وكذلك فسره السلف»[3].

وفي السنة أن النبي ﷺ سمع رجلاً يؤذن قال الرجل: الله أكبر الله أكبر قال رسول الله ﷺ: «**على الفطرة**»[4].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: «قوله ﷺ على الفطرة أي على

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٣.

(٣) درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٣٧٢)، تحقيق: عبد اللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٧هـ.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب الإمساك عن الإغارة على قوم في دار الكفر إذا سمع فيهم الأذان (٣/ ٢٠٦).

الإسلام»(١).

وهنا ندرك أن الفطرة هي الإسلام الذي يقوم على الأمر بالمصالح والنهي عن المفاسد، كما يظهر جليًا من خلال التأمل في دلالة النصوص الشرعية والتي تتوافق والدلالة الفطرية في مقتضى المصالح والمفاسد، والدلالتان متطابقتان بحيث يستحيل أن يحصل تناقض بينهما. فكل ما حسّنه الشرع فهو موافق للفطرة وكل ما قبحه فهو مخالف لها. ولذلك نجد أهل السنة والجماعة اعتبروا هذه الدلالة ـ الدلالة الفطرية ـ واستدلوا بها، وعلماء المدينة النبوية اعتبروا هذه الدلالة أيضًا. ومنهم الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم ـ رحمه الله ـ فقد قرر ما قرره أهل السنة والجماعة من أن كل ما خالف الإسلام ونظامه وما دلّ عليه فإنه خالف الفطرة فيقول: «واعتقد أن الآراء التي تخالف نظام الإسلام لم تكن منبعثة من القلب ولا من الفطرة»(٢)

بل إنه ـ رحمه الله ـ عقد فصلاً فقال: «فصل في توافق الشرع مع الفطرة» قرر فيه أن الإنسان مجبول على حب النفع وكراهية الضر، والشرع جاء بما ينفع الناس. وبما يدفع عنهم الضر، ثم دلّل على ذلك بمثال فقال: «فطبيعة الإنسان ملازمة له في الخير والشر، في المباحات والمحرمات، ومن هذا ندرك شيئًا من حكمة الخالق تبارك وتعالى في وضع الحدود والعقوبات فهي متوازنة مع التركيب النفساني في الإنسان»(٣).

وخلاصة القول أن مصادر الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة خمسة مصادر: الكتاب والسنة، وهما المصدران الأصليان لتلقي العقيدة، أمّا

(١) شرح مسلم للنووي (٣/ ٣٠٦).
(٢) فضل العلم والقضاء (١٧٩)
(٣) المصدر السابق (١٧٦)

الإجماع فيمكن اعتباره مصدرًا ثالثًا أصليًا، أو مصدرًا ثانويًا تابعًا، لأنه حصيلة فهم النصوص من الكتاب والسنة. وأما العقل والفطرة فهما مصدران ثانويان أيضًا، لأنهما يعتبران مؤيدان للنصوص الشرعية في باب العقائد وغيرها. ولأنهما لم يأتيا بعقيدة استقلالاً. والله أعلم.

الفصل الثاني

موقفهم من مصادر الخلف

وفيه مباحث :

المبحث الأول : **موقفهم من العقل المجرد**

المبحث الثاني : **موقفهم من علم الكلام والفلسفة**

المبحث الأول
موقفهم من العقل المجرد

عرفنا مما سبق أن أهل السنة والجماعة اعتبروا النصوص الشرعية هي الأصل في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، وفي نفس الوقت قرروا أنه لا يمكن تعارض الأدلة الشرعية مع الأدلة العقلية. وقد نازع أهل السنة والجماعة أقوام جعلوا العقل مهيمنًا على الشرع، فالدلالة العقلية المحضة عندهم هي الأصل في الاستدلال. فإذا ما وافقت الدلالة الشرعية دلالتهم العقلية أخذوا بها وإذا ما خالفتها فلابد من سلوك طريق تأويل النصوص أو تفويضها. هذا إذا لم يكن الطعن فيها من طريق الثبوت وردها.

وهذا المسلك هو مسلك المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، وكان من أبرز من أصَّل لهذا المذهب هو الفخر الرازي كما في أساس التقديس[1]، وكذلك ـ من قبله ـ الجويني في الإرشاد[2]، والغزالي في فيصل التفرقة[3].

ولكن من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن قيَّض من علماء أهل السنة مثل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ـ من وقف في وجه الفرق الكلامية بعد أن قرأ واستوعب ما ذكروه وكتبوه، فألف في الرد عليهم وبيان ضلالهم وانحرافهم عن المنهج القويم والصراط المستقيم، وكان ممَّا صنفه في هذه المسألة «درء تعارض العقل والنقل» و«بيان موافقة صريح المعقول

---

(١) أساس التقديس للفخر الرازي (٢٢٠ ـ ٢٢١).
(٢) الإرشاد للجويني (٣٠١ ـ ٣٠٢).
(٣) فيصل التفرقة للغزالي (١٥٤ ـ ١٥٩).

لصحيح المنقول» وكتاب «بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية» فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وأما علماء المدينة النبوية فقد ساروا على نفس هذا المنهج فوقفوا ضد دعاة العقل المجرد من دلالة الكتاب والسنة فهاهو الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي ـ رحمه الله ـ يحذر من تقديم العقل على النقل فيقول: «إن المسلم لابد له من الوقوف على ما قال عليه الصلاة والسلام ولا يحشن شيئًا بعقله»[١].

وقد بين الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ أن سبب ضلال أهل الكتاب وتنكبهم الطريق الصحيح هو تحكيمهم العقل وتقديمه على النقل فيقول: «لقد ضل فلاسفة البشرية حين تصرفوا بعقولهم في ذات الجبار نفيًا وإثباتًا من قديم الأزمان، ثم تبعهم أهل الكلام في هذه الأمة فتصرفوا بزعمهم حتى افترقت أمة محمد ﷺ لاقتفائها أثر فلاسفة البشرية»[٢].

وأبان ـ رحمه الله ـ أن العقل محدود وضعيف فيما ليس له به برهان فلذلك لا يجوز تصرفه في أمور خارج حدوده، ولذلك يقول: «فلا يجوز أن يتصرف العقل الإنساني بصفات الله تعالى فيكيف ويمثل وينفي ويثبت من تلقاء عقله المحدود الضعيف وبما ليس له به برهان»[٣].

وممن تعرض لهذه الطريقة ـ تقديم العقل على النقل ـ وأبان موقفه منها الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ فقال: «والقول أن المعول عليه هو الدليل العقلي وأما النقلي فتابع له إن وافق قبل وإلا رد، كل ذلك تصرف

(١) الجواب الإفريقي ص(٥٧)، مطبعة الاعتصام، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٦هـ.

(٢) آفاق الهداية (٧/ ٢٥).

(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٥).

محدث وقول في شريعة الله بلا هدى ولا دليل منير، وكل ما كان كذلك يجب رده صونًا للشريعة وحفظا للعقيدة»[1].

كما نجد الشيخ عبدالله بن زاحم ـ رحمه الله ـ يعقد مقارنة بين طريقة أهل السنة والجماعة في تمسكهم بالأثر فهدوا إلى الحق بإذن الله وبين من قدموا آراءهم وعقولهم على الوحي فضلوا وأضلوا ـ والعياذ بالله ـ فيقول: «وهذا شأن أهل السنة والجماعة، طلبوا الحق من الله تعالى فهداهم الله إليه وأما أهل الضلالة فأعجبوا برأيهم وعقلهم وطلبوا الحق من المخلوق العاجز وهو العقل، فالعقل مهما انتصر وتبصّر فإنه لا يدرك الأشياء كلها»[2].

---

(١) مجموع رسائل الجامي ص(١٤٦).

(٢) فضل العلم والقضاء ص٣٢.

المبحث الثاني
موقفهم من علم الكلام والفلسفة

معلوم أن أهل السنة والجماعة كان موقفهم واضحًا من علم الكلام والفلسفة فقد حاربوا خرافات المتكلمين ونقدوا أصول المذاهب الفلسفية مع تأصيل المنهج الإسلامي الصحيح في الاستدلال.

وعلماء المدينة النبوية كانت جهودهم واضحة في ذم طريقة المتكلمين والفلاسفة يقول الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ: «أما الفلسفة، وعلم الكلام، والمنطق، فليس لها نصيب من هذا العلم أبدًا، لأنه لا يعلم بصفات الله إلا الله أو رسول الله ﷺ الذي علَّمه الله، والله أعلم بنفسه من غيره من المخلوقات. فالفلسفة والمنطق أمور دخيلة على الإسلام، لا يعرفها، بل ينكرها ويبطلها»[1].

وفي معرض رده على الفرق الكلامية يقول ـ رحمه الله ـ: «وهكذا كل هؤلاء الطوائف من المتكلمين المتفلسفين، الذين أعرضوا عن القرآن والسنة النبوية، واشتغلوا بالفلسفة والكلام»[2].

وبالجملة فإن علماء المدينة النبوية ومن خلال ما سطروه كانت دعوتهم هي التمسك بما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ـ رضي الله عنهم ـ في كل شيء من الأصول والفروع والله أعلم.

---

(١) رسائل في العقيدة ص(٤٧). مكتبة الفرقان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

(٢) رسائل في العقيدة ص٣٠

الباب الثاني

جهودهم في تقرير التوحيد وتوضيحه

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: **جهودهم في تقرير توحيد الربوبية**

الفصل الثاني: **جهودهم في تقرير توحيد الألوهية**

الفصل الثالث: **جهودهم في تقرير توحيد الأسماء والصفات**

الفصل الأول
جهودهم في تقرير توحيد الربوبية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **تعريف توحيد الربوبية**

المبحث الثاني: **دلالات توحيد الربوبية**

أ ـ دلالة الفطرة

ب ـ دلالة الخلق والآفاق

تمهيد

قسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات).

ومنهم من قسمه إلى قسمين باعتبارين هما:

- الاعتبار الأول: باعتبار ما يجب على المكلف، وهو قسمان:

١ـ توحيد المعرفة والعلم والاعتقاد، وهو يشمل توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

٢ـ توحيد العبادة والعمل، ويقال له توحيد الإرادة والقصد والطلب، وهو يشمل توحيد الألوهية.

الاعتبار الثاني: باعتبار متعلقه ـ الذات الإلٰهية ـ وهو ثلاثة أقسام:

١ـ توحيد الربوبية: وهو من جهة انفراده تعالى بالخلق والرزق والتدبير.

٢ـ توحيد الأسماء والصفات: وهو من جهة انفراده بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

٣ـ توحيد الألوهية ـ توحيد العبادة ـ: وهو من جهة استحقاقه وحده سبحانه العبادة.

وهذا التقسيم هو تقسيم اصطلاحي دليله الاستقراء والتتبع، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وأمَّا التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في الطلب والقصد»[1].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٩)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

وقال مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ـ رحمه الله ـ: «وإنما التوحيد الذي أمر الله به العباد هو توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية»[١].

وقال الألوسي ـ رحمه الله ـ: «فإن توحيد الربوبية يشير إلى توحيد الألوهية»[٢].

وقال الشيخ عبدالرحمٰن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ: «أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات»[٣].

وأنواع التوحيد لا شك أنها متلازمة، لا يصدق على العبد أنه موحد حتى يأتي بها جميعًا، لأن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية هو متضمن لتوحيدي الربوبية والأسماء والصفات.

ومن علماء المدينة النبوية من قسّم التوحيد إلى تلك الأقسام المذكورة ومنهم الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ حيث قال: «التوحيد نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد في الطلب والقصد وهو الآلهية والعبادة»[٤].

وعلى هذا التقسيم سار الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «إن هذا التوحيد قسمان:

الأول: إثبات حقيقة الرب، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه.

---

(١) رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر (١/٦٧)، تحقيق أسعد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة ١٤١٠هـ.

(٢) روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (٥/٢١٩)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) تفسير الكريم الرحمن (١/٦٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ.

(٤) إرشاد الحائرين لرد شبهات المستبلهين ص: (١٢).

الثاني: هو توحيد القصد والطلب، وهو توحيد الألوهية، وهو توحيد العبادة»(١).

وممَّن نصَّ على هذا التقسيم من علماء المدينة النبوية الشيخ عبدالله بن حمد الخربوشي ـ رحمه الله ـ حيث قال: «أقسام التوحيد ثلاثة:

الأول: توحيد الألوهية ويسمىٰ توحيد العبادة.

الثاني: توحيد الأسماء والصفات.

الثالث: توحيد الربوبية»(٢).

وممن ذكر أنواع التوحيد الثلاثة وأدلتها الشيخ عبدالعزيز الشبل ـ رحمه الله ـ في رسالة "أصول عقيدة أهل السنة والجماعة" حيث قال:

«وأنواع التوحيد ثلاثة:

١ـ توحيد الربوبية وهو إقرار العبد بأفعال الله لقوله سبحانه: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴿٣١﴾ ﴾(٣) والدليل الثاني في سورة المؤمنون من الآية ٨٤ إلى الآية ٨٩.

٢ـ توحيد العبادة: ويسمىٰ توحيد الألوهية وهذا النوع الذي خلق الله الخلق لأجله، وخلقت الجنة والنار والسموات والأرض لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾(٤) وله أدلة أخرى منها قوله: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ** ﴾(٥) ومنها: ﴿ **قُلْ**

---

(١) العقيدة الخالصة ص: (٤٥ـ٤٦).

(٢) دليل المسلم المبتدىء ص: (٣٩).

(٣) سورة يونس الآية: ٣١.

(٤) سورة الذاريات الآية: ٥٦.

(٥) سورة آل عمران الآية: ٦٤.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾(١).

٣ـ توحيد الأسماء والصفات: ودليله قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾(٢) وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ إلى آخر سورة الحشر(٣). ا.هـ(٤).

وقد قسم الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ التوحيد باعتبار آخر بعد ذكره لأقسام التوحيد التي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة فقال:

والتوحيد ينقسم باعتبار آخر إلى قسمين:

أولاً: توحيد إجمالي.

ثانيًا: توحيد تفصيلي.

ـ التوحيد الإجمالي: هو الذي يدرك بالآيات العقلية.

ـ التوحيد التفصيلي: هو الذي يدرك بالآيات القولية.

والتوحيد الإجمالي الذي يدرك بالآيات العقلية هو توحيد الربوبية.

والآيات العقلية هي: السموات والأرض وما بينهما، بالنظر إلى الخلق تستنتج أنَّ لهذا الخلق ربًا عظيمًا متصفًا بجميع صفات الجمال والكمال.

وهذا في الإمكان أن يدركه كل أحد لأنه فطري، أمّا التوحيد التفصيلي الذي بيّنه الله عز وجل في هذه السورة، فلا يمكن إدراكه إلاّ بالآيات القولية،

---

(١) سورة الكافرون الآية: ١.

(٢) سورة الإخلاص، الآيات: ١ـ٤.

(٣) سورة الحشر، الآيات: ٢٢ـ٢٤.

(٤) ص(١).

وهي القرآن والسنة[١].

وهذا التقسيم لا يعارض ما تقدمه من تفصيلات، فهو تقسيم للتوحيد باعتبار ما دلّ عليه.

والمقصود أن العبد يجب عليه التمسك بأنواع التوحيد التي ذكرها العلماء المستنبطة من نصوص الكتاب والسنة والله أعلم.

(١) رسائل في العقيدة ص: (٤٧).

المبحث الأول
تعريف توحيد الربوبية

معنى الرب في اللغة:

قبل الشروع في تعريف ـ توحيد الربوبية ـ نقف على أصل معنى الرب.

جاء في اللسان في معنى الرب أنه: «ينقسم إلى ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك ويكون الرب: السيد المطاع. قال الله تعالى: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾[1] أي: سيده، ويكون الرب: المصلح، رب الشيء إذا أصلحه، . . . ، وفي حديث ابن عباس مع ابن الزبير ـ رضي الله عنهم ـ: «لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم»[2] أي: يكونون علي أمراء وسادة»[3].

قال ابن فارس: «الراء والباء يدل على أصول. فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب: المالك، والخالق والصاحب، والرب المصلح للشيء، يقال: ربَّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها»[4].

قال الأزهري: «رب كل شيء: مالكه»[5].

فالرب إذًا معناه القائم على الشيء والمصلح له، وهو صاحبه ومالكه

(١) سورة يوسف الآية: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ (٥/ ٢٤٥) برقم (٤٦٦٦).

(٣) لسان العرب (١/ ٤٤٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٨١).

(٥) تهذيب اللغة (١٥/ ١٢٨)، دار إحياء التراث العربي ببيروت، تحقيق محمد عوض.

ومدبره، وهذه المعاني اللغوية كما هي في الشرع فالرب سبحانه وتعالى هو مالك ومدبر الخلق القائم بأمر خلقه سبحانه وتعالى.

المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبية:

هو إفراد الله تعالى بأفعاله: كالخلق والرزق والإحياء والإماتة فالعبد يجب أن يعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الله هو الرازق الخالق المدبر.....

هذا هو ملخص ما ذكره أهل العلم في تعريف توحيد الربوبية.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته وكل من في السموات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية، لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة، والتوكل، والرجاء، والخوف، والحب، والإنابة، والإخبات، والخشية، والتذلل، والخضوع إلا له وههنا افترق الناس وصاروا فريقين فريقًا مشركين في السعير، وفريقًا موحدين في الجنة، فالإلهية هي التي فرقتهم، كما أن الربوبية هي التي جمعتهم»[(١)].

وقال السفاريني ـ رحمه الله ـ: «توحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق ولا محيي ولا مميت ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى»[(٢)].

وقال محمد صديق حسن خان مبينًا معنى توحيد الربوبية: «أن الله وحده هو الخالق للعالم هو الرب لهم والرازق لهم، وهذا لا ينكره المشركون ولا يجعلون لله فيه شريكًا بل هم مقرون به»[(٣)].

وقد عرَّف بعض علماء المدينة النبوية توحيد الربوبية ومنهم الشيخ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤).

(٢) لوامع الأنوار البهية لمحمد بن أحمد السفاريني (١/ ١٢٨). طبع المنار ١٣٢٥هـ.

(٣) الدين الخالص (١/ ٦١)، مطبعة المدني، مصر ١٣٧٩هـ.

السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «توحيد الربوبية هو الإيمان بأن الله خالق كل شيء ومالكه وموجده ومعدمه متى شاء هو الضار النافع المدبر لكل الأمور»(١).

وممن وضّح معنى توحيد الربوبية الشيخ عبدالله الخربوش ـ رحمه الله ـ حيث قال: «توحيد الربوبية وهو أن تعتقد أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت مربي جميع العالمين بالنعم»(٢).

وذكر الشيخ عبدالعزيز الشبل في رسالة «أصول عقيدة أهل السنة والجماعة» ما نصه: «وهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأنه سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المدبر والمقدر»(٣).

وممن تعرّض لمعنى توحيد الربوبية الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وتوحيد الربوبية في اصطلاح علماء التوحيد قيل هو توحيد المعرفة والإثبات، أي معرفة أن رب العالمين واحد وهو الله تعالى وإثبات الربوبية له وحده. وقيل هو توحيد الله في أفعاله أي في الخلق والرزق والإحياء والإماتة.

وإذا رجعنا إلى مدلول التضعيف في كلمة (التوحيد) من أنه للدلالة على النسبة كالتصديق والتكذيب، فإنه يكون المعنى الاصطلاحي لتوحيد الربوبية هو: نسبة الربوبية الحقة للعالمين هي لله تعالى. فهو الذي أوجد العالم من العدم وربى العباد على النعم وهو مدبر أمره ألا له الخلق

(١) العقيدة الخالصة ص: (٥٢).
(٢) دليل المسلم المبتدىء ص: (٣٩).
(٣) ص: (١).

والأمر»[١].

وممّن بيّن معنى توحيد الربوبية الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وهذا النوع من التوحيد هو: توحيد الله بأفعاله، فنوحده بأنه الخالق السيد المالك المحيي المميت النافع الضار وغير ذلك من أسمائه التسعة والتسعين اسمًا، نوحده بتلك الأسماء.

هذا هو المسمى بتوحيد الربوبية، أي توحيد السيادة، توحيد الخلق، توحيد الرزق، توحيد النفع والضر، توحيد الإحياء، وتوحيد الإماتة»[٢].

وفي موضع آخر عقد فصلاً في توحيد المعرفة والإثبات وقال فيه ـ رحمه الله: «على العبد أن يوحّد الله عز وجل في ربوبيته وأسمائه وصفاته: بأن يتيقن أنه واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا شبيه له، ولا نظير له، ولا عون، ولا شريك، ولا ظهير، ولا وزير، ولا ند، ولا مشير»[٣].

وبهذا يظهر أن من علماء المدينة النبوية من سار في تعريف توحيد الربوبية على ما سار عليه من قبلهم من علماء أهل السنة والجماعة والله أعلم.

---

(١) رسالة في توحيد الربوبية ص: (٨).

(٢) رسائل في العقيدة ص: (٢٥).

(٣) رسائل في الفقه ص: (٢٠٠).

المبحث الثاني
دلالات توحيد الربوبية

لا شك أن مسألة إثبات أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت من المسائل البدهية، لأنها متقررة حتى عند المشركين قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾(٢).

ومع ذلك فإن لهذا النوع من أنواع التوحيد دلالات وفيما يلي أذكر منها:

١ـ دلالة الفطرة:

الفطرة في اللغة: «أصل الفَطْر الشق طولاً.... وفطر الله الخلق وهو إيجاده الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعل من الأفعال، فقوله تعالى: فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا(٣) إشارة منه تعالى إلى ما فطر أي: أبدع وركز في الناس حق معرفته تعالى.... قال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِي فَطَرَنَا ﴾(٦) أي: أبدعنا وأوجدنا»(٧).

(١) سورة لقمان الآية: ٢٥.
(٢) سورة الزخرف الآية: ٨٧.
(٣) سورة الروم الآية: ٣٠.
(٤) سورة فاطر الآية: ١.
(٥) سورة الأنبياء الآية: ٥٦.
(٦) سورة طه الآية: ٧٢.
(٧) المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد (١/ ٣٨٢) تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

قال الجرجاني في تعريفاته: «والفطرة الجبلة المتهيئة لقبول الدين»[١].

أمَّا الفطرة في الشرع فقد ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مولود يولد إلاَّ على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»[٢].

وقد عرف السلف الفطرة بعدة تعريفات منها:

قال عنها الإمام أحمد: أنه الدين أو الإسلام[٣].

وقال بعضهم: هي الخلقة على معرفة الله تعالى والإيمان به[٤].

وقيل: هي ما خلقهم عليه من السعادة والشقاء[٥].

وهنا نجد أنَّ من علماء المدينة النبوية من ذكر هذه الدلالة وهي الفطرة ومنهم الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث ذكر أنَّ الفطرة هي القابلية الكامنة لهذا الدين. وبيَّن أهمية العقيدة التي توجه هذه الفطرة، ولعلَّه قصد والله أعلم أن العقيدة الصحيحة ترسخ هذه الفطرة وتحميها من شوائب الشرك

(١) (١٤٧)، دار الحلبي، مصر.

(٢) رواه البخاري: كتاب الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام (٢/ ١٢٠) برقم (١٣٥٩)، ورواه مسلم في كتاب القدر باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين (١٦/ ٤٢٣) برقم (٦٦٩٧).

(٣) التمهيد لابن عبد البر (١٨/ ٧٢).

(٤) المصدر السابق (١٨/ ٦٨).

(٥) المصدر نفسه.

فقال ـ رحمه الله ـ: «هنا تظهر جليًا مهمة العقيدة ودورها الهام، ومهمتهامساندة الفطرة وتوجيهها وجهتها السليمة، أجل مهمة العقيدة أن تساعد الفطرة في الاهتداء إلى الله وإخلاص العبادة له وحده، ذلك الاهتداء الذي كان كامنًا فيها، وتلك القابلية التي كانت تنتظر التوجيه»[1].

وممَّن ذكر هذه الدلالة على هذا النوع من أنواع التوحيد الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾[2] أي: ونستسلم وننقاد، ونجيب داعي الله إلى هداه، لا أن تستهوينا الشياطين، والاستسلام لرب العالمين هو الأمر الفطري، لأنه الرب المالك المتصرف»[3].

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر: «إثبات وجود الله وهذا أمر فطري تدل عليه الكائنات»[4].

٢ـ دلالة الخلق والآفاق:

لاشك أن القرآن الكريم اهتم كثيرًا بهذه الدلالة على هذا النوع من أنواع التوحيد. وذلك بأساليب متنوعة. فمرة يرشدنا إلى النظر والفكر فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾[5] وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾[6] وقال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾[7]، ومرة يذكِّر بهذا التوحيد بالخلق

(١) مجموع رسائل الجامي ص: (٢٩١).
(٢) سورة الأنعام الآية: ٧١.
(٣) آيات الهداية (١/ ١٥٧).
(٤) تعريف عام بعموميات الإسلام ص: (٦٤).
(٥) سورة الغاشية الآية: ١٧.
(٦) سورة ق الآية: ٦.
(٧) سورة آل عمران الآية: ١٩١.

والتصريف ليلفت الأنظار والأسماع والعقول إلى معنى هذا التوحيد كقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

وأمّا هذه الدلالة فإن من علماء المدينة النبوية من تعرض للحديث عنها ومنهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال: «س: بم عرفت ربك؟

جـ: عرفته بآياته ومخلوقاته، الليل والنهار والشمس والقمر والسموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن»[2].

وممن ذكر هذه الدلالة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال: «فالإنسان ينظر إلى نفسه وإلى ما حوله الأقرب فالأقرب كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك.

١ ـ ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3] فيسأل كيف وجدت ومن أوجدني، كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[4] وقوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾[5].

٢ـ وإلى ما حوله ابتداءً من أقرب الأشياء إليه ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[6]. ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٤.

(٢) عقيدة السلف ص: (٨).

(٣) سورة الذاريات الآية: ٢١.

(٤) سورة الواقعة الآيتان: ٥٨ـ٥٩.

(٥) سورة الطارق الآية: ٥.

(٦) سورة الواقعة الآيتان: ٦٣ـ٦٤.

مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[١].

ثم يوسع مدى النظر ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾[٢].

فيستدل بوجودها وبقائها في الوجود وتدبيرها وتغير أحوالها على وجود موجد لها وقائم عليها بتدبير أمرها وغالب عليها بتغير أحوالها أو فنائها»[٣].

وممن تعرض لهذه الدلالة الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ فعند حديثه عن توحيد الربوبية ذكر ـ رحمه الله ـ أن هذا النوع من أنواع التوحيد يدرك بالآيات العقلية ثم ذكر المقصود من قوله ـ بالآيات العقلية ـ فقال: «والآيات العقلية: هي السموات والأرض وما بينهما، وبالنظر إلى الخلق تستنتج أن لهذا الخلق ربًا عظيمًا متصفًا بجميع صفات الجمال والكمال»[٤].

وبهذا يظهر أن من علماء المدينة النبوية من تعرض لذكر هاتين الدلالتين من دلالات هذا النوع من أنواع التوحيد، والذي أقرّ به جميع الناس حتى المشركين إلا من شذ، والقرآن الكريم كما أسلفت اهتم اهتمامًا عظيمًا في تقرير هذا النوع من أنواع التوحيد والله أعلم.

---

(١) سورة الواقعة الآية: ٦٩.
(٢) سورة الغاشية الآية: ١٧ـ٢٠.
(٣) رسالة في توحيد الربوبية ص: (١٠).
(٤) رسائل في العقيدة ص: (٤٧).

الفصل الثاني
توحيد الألوهية

وفيه تمهيد وعشرة مباحث:

المبحث الأول: **تعريفه**

المبحث الثاني: **أهميته**

المبحث الثالث: **معنى كلمة التوحيد**

المبحث الرابع: **شروط لا إله إلا الله**

المبحث الخامس: **مفهوم العبادة**

المبحث السادس: **بعض الأمور التي تنافي أصل التوحيد**

أ ـ نداء الأموات والاستغاثة بهم

ب ـ الذبح لغير الله تعالى

ج ـ النذر لغير الله

المبحث السابع: **بعض الأمور التي تنافي كمال التوحيد**

أ ـ تعليق التمائم والأوتار

ب ـ التبرك بالأحجار والأشجار

ج ـ الحلف بغير الله

د ـ قول ما شاء الله وشئت

المبحث الثامن: **التوسل**

المبحث التاسع: **شبه حول التوسل والجواب عنها**

المبحث العاشر: **الشفاعة.**

تمهـــيد

لا شك أن أول ما دعا إليه الرسل جميعًا هو توحيد الألوهية، فما من نبي إلا وقد بدأ دعوته بقوله: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾(١) وذلك لأن توحيد الربوبية قد اتفقت عليه الخلائق مؤمنها، وكان توحيد الألوهية هو الفارق بين المؤمنين الصادقين في إيمانهم وبين المشركين الذين أنكروا حقًا لله تعالى وحده لا شريك له.

فهذا التوحيد الذي يقوم على صرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له هو المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾(٢)

وقد حذر النبي ﷺ مما يضاد هذا التوحيد من الشرك، وما عصي الله تعالى بأعظم من الشرك الذي هو أظلم الظلم، نسأل الله السلامة من قليله وكثيره، روى البخاري من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار**»(٣).

ولذلك اعتنى علماء السلف الصالح بهذا النوع من التوحيد أيما عناية وتبعهم في ذلك العلماء من بعدهم ومنهم علماء المدينة النبوية فقد أولوا لهذه القضية اهتمامًا عظيمًا جدًا، يظهر ذلك من خلال ما كتبوه من رسائل وكتب، فلم يدخروا جهدًا في بيان حقيقة هذا التوحيد وما يجب على العبد من عبادة الله وحده لا شريك له وعدم صرف شيء من ذلك لغيره.

---

(١) سورة هود، الآيات: ٥٠، ٦١، ٨٤.
(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ (٥/ ١٨٠) برقم (٤٤٩٧).

المبحث الأول
تعريفه

لعل من المناسب قبل التعريف بتوحيد الألوهية التنبيه على الخطأ في فهم معنى الإله، فقد وقع الخلط بين معنى «الرب» و«الإله» وقد سبق أن ذكرت معنى «الرب» عند تعريف توحيد الربوبية[١]، وأما الإله فمعناه في اللغة «المعبود مطلقًا بحق أو بغير حق، فكل معبود فهو إله»[٢]. وألفاظ القرآن الكريم دلَّت على هذا المعنى[٣]؛ فتقرر أن الإله ليس معناه الخالق أو الرازق بل هو المعبود، وكل من عبد شيئًا فقد اتخذه إلهًا من دون الله عز وجل. ولذلك جاء كلام أهل السنة والجماعة عن توحيد الألوهية بأنه هو إخلاص العبادة لله تعالى وحده وقصده بالعبادة وإرادته بذلك دون سواه، وأن توحيد الألوهية هو تحقيق شهادة أن لا إله إلاَّ الله فهو معنى لا إله إلاَّ الله[٤].

وقد سار علماء المدينة النبوية على ما سار عليه سلفهم من العلماء ـ رحمهم الله ـ في تعريف هذا النوع من التوحيد، ومنهم الشيخ السيد قاسم الأنديجاني فيقول في كتابه «شرح العقيدة الخالصة» عند تعريف توحيد الألوهية: «هو التوحيد في القصد والطلب، وهو توحيد الألوهية وهو توحيد العبادة، وهو إفراد الله بالعبادة بجميع أنواعها، ونفي العبادة عما سواه عملا

(١) ص (٧١).
(٢) العين: ٤/ ٩٠، والمحكم والمحيط الأعظم: ٤/ ٣٥٨، ولسان العرب: ١٣/ ٤٧٠، والقاموس المحيط: ٢/ ١٦٣١.
(٣) تفسير الطبري: ١/ ٥٤.
(٤) ينظر: الفتاوى (٥/ ٢٥٠)، وعدة الصابرين لابن القيم الجوزية (١/ ٣٥) دار الكتب العلمية. بيروت، وتيسير العزيز الحميد (١/ ٢٧)، وأضواء البيان (٢/ ١٦٩)، (٢/ ٢١٩).

واعتقادا وخلافه الشرك، فالمشركون جعلوا لله شركاء في هذا التوحيد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا»[١].

وممن أبان معنى هذا التوحيد الشيخ عبدالعزيز الخلف في كتابه «آفاق الهداية» فقال ـ رحمه الله ـ: «وتوحيد الألوهية هو صرف جميع العبادات لله وحده لا شريك له، سرها وجهرها صغيرها وكبيرها، سواء في ذلك المفروضة على المسلم أو نوافل الدين كما جاء بنص القرآن الكريم والسنة المطهرة»[٢].

وممن أوضح معنى هذا النوع من التوحيد الشيخ عبدالله الخربوش فقال: «وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة»[٣]، وفي موضع آخر ذكر أقسام التوحيد الثلاثة وتعريف كل نوع فقال: «توحيد الألوهية ويسمى توحيد العبادة، وهو إخلاص العبادة لله الذي خلقنا من أجلها قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾[٤]»[٥].

وممن تعرض لمعنى توحيد الألوهية الشيخ حماد الأنصاري في رسائل العقيدة فقال ـ رحمه الله ـ: «ومعنى توحيد الألوهية: توحيد العبادة لله عز وجل بجميع أنواعها، بحيث لا تصرف أي نوع منها لغير الله من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، ونذر، واستعانة، واستغاثة، وخشية، وتوكل، وغير ذلك من أنواعها الكثيرة بل تصرفها كلها لله عز وجل، وبهذا تخرج من الشرك بجميع أنواعه»[٦].

---

(١) شرح العقيدة الخالصة ص(٤٦).
(٢) آفاق الهداية (٧/ ٦١).
(٣) دليل المسلم ص(٢٦).
(٤) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٥) دليل المسلم ص(٣٩).
(٦) رسائل في العقيدة ص(٤٣).

ويتبين مما سبق أن من علماء المدينة النبوية ممن بيَّن معنى هذا النوع من التوحيد بيانًا صحيحًا موافقًا لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع حرصهم على توضيح هذا التوحيد للناس وتحذيرهم مما يضاده من الشرك والعياذ بالله.

المبحث الثاني
أهمية توحيد الألوهية

لقد دلَّت نصوص الكتاب والسنة دلالة واضحة على أهمية هذا التوحيد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾[١]، وقال ﷺ: «**قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[٢].

وهذه النصوص وغيرها من النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة تدل على أهمية إفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له. وهذا التوحيد هو المقصود من الخلق وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وتوحيد الربوبية لا ينفع صاحبه بدون توحيد الألوهية، كما لا ينفع توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية.

ومما يدل على أهمية ومكانة هذا التوحيد أنه أول شيء دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، فدعوتهم تبدأ بقولهم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[٣].

ولذلك نجد أن من علماء المدينة النبوية من بيّن أهمية هذا التوحيد بيانًا شافيًا حيث ذكر الشيخ محمد الطيب الأنصاري أن هذا التوحيد هو ما أرسل الله به المرسلين ليبلغوه للناس، وهذا التوحيد لا ينجو أحد بغيره من عذاب الله تعالى فيقول في «البراهين الواضحات»:

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١١.

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٣١٦/١٨) رقم (٧٤٠٠).

(٣) سورة هود، الآيات: ٥٠، ٦١، ٨٤.

إفراد رب العرش بالعبادة   دين الكرام المرسلين القاده
أرسلهم ليعلموا عباده   أن يفردوه جل بالعباده
وذلك التوحيد لا ينجو أحد بغيره من العذاب والنكد[١]

وفي موضع آخر ذكر ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ قاتل المشركين من أجل عدم إقرارهم بهذا التوحيد مع إقرارهم بتوحيد الربوبية فيقول ـ رحمه الله ـ:

ثم عرفت أن خير الخلق   قاتلهم لردهم للحق
وليكون واصباً لله   الدين كله بلا اشتباه
من الدعاء والنذر واستغاثة   والذبح والخوف والاستعانة
ورغبة ورهبة وذبح   وكلها عن غير ربي نح[٢]

وممن أبان أهمية توحيد الألوهية الشيخ محمود شويل حيث قال في كتابه «إرشاد الحائرين» ما نصه: «قد بينا آنفا نوعي التوحيد النوع المسمى بتوحيد الألوهية والنوع المسمى الربوبية الذي أقر به سائر مخلوقات الله ماعدا طوائف عموا وصموا وبينًا أن من أقر بهذا التوحيد لا يكون موحدًا حتى يضم إليه توحيد الألوهية المقتضي إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له»[٣].

وممن وضح أهمية هذا النوع من التوحيد الشيخ عمر إبراهيم بري حيث بين أن العبادة إنما تكون لله وحده وأن من صرف شيئًا منها ولو جزءًا يسيرًا لغير الله فقد كفر بالله واستحق غضبه ومقته فيقول ـ رحمه الله ـ:

والله لا يرضى بأن يشرك في   عبادة معه بشان يقتفي

---

(١) البراهين الواضحات ص(٣).
(٢) البراهين الواضحات ص(٥).
(٣) إرشاد الحائرين ص(٦٠).

لا ملك مقرب ولا نبي ولو يكون مرسلاً قد اجتبي
فالجزء من عبادة لما سواه كفر مخالف لما فيه رضاه[١]

أما السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني فيلاحظ القارىء اهتمامه الكبير بهذا الجانب فقال ـ رحمه الله ـ: «وهذا التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل أممهم وقومهم، ونزلت فيه الكتب، ولم يختلف فيه أحد منهم، وقد بين الله تعالى في كتابه الكريم في غير ما موضع منه، وأهلك الذين لم يقبلوه، فهؤلاء نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى وهارون وعيسى وغيرهم من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أرسلهم الله في القرون الماضية والأجيال الخالية إلى أممهم وقومهم، فدعوهم إلى عبادة الله وحده، لاشريك له، ونفي العبادة عما سواه كل منهم يقول: ياقوم اعبدوا الله، مالكم من إله غيره»[٢].

وممن أبان أهمية هذا التوحيد الشيخ عبدالله الخربوش فقد قرر ما قرره غيره من علماء أهل السنة والجماعة من أن «جميع العبادات ظاهرها وباطنها يجب على العبد أن يصرفها لله جل جلاله فهي خالص حقه ومن صرف شيئًا منها لغيره لقد أعطى حق الله غيره وهذا شرك لا يغفره الله»[٣].

وممن أبان أهمية هذا النوع من أنواع التوحيد الشيخ عطية محمد سالم ففي أثناء حديثه عن قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾[٤] قال ـ رحمه الله ـ: «والخطاب موجه إلى النبي ﷺ، علمًا بأنه معصوم من أن يجعل مع الله إلهًا آخر، ومن أقل من ذلك. ولكن لأهمية

(١) تسهيل الحفظ والوصول ص(٣).
(٢) شرح العقيدة الخالصة ص(٤٩).
(٣) دليل المسلم المبتدي ص(٣٩ـ٤٠).
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٢.

إفراد الله تعالى بالألوهية وخطر اتخاذ إلها آخر معه، مما وقع من آحاد الناس وجماعات الأمم، جاء الخطاب للقدوة من باب الاعتناء والاهتمام بالموضوع، وهذا نهاية في النهي وغاية في التحذير»[١].

وفي موضع آخر يذكر الشيخ عطية ـ رحمه الله ـ أهمية هذا التوحيد للعبد نفسه؛ لأن في هذا التوحيد الأمن والاستقرار والثبات بعكس عبادة غير الله تعالى فيها من الحيرة والتذبذب ما لا يعلمه إلا الله تعالى فيقول ـ رحمه الله ـ: «إن إفراد الله تعالى بالعبادة علاوة على ما هو حق لله يستحقه على عباده كما في حديث معاذ: «**أتدري ما حق الله على العباد؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا**»[٢] علاوة على ذلك فهي موجبة الاستقرار والثبات، وعبادة غيره تستوجب الحيرة بين أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى ائتنا، ليس أحدهم بأولى من الآخر، وإذا كان الأمر كذلك، فإن هدى الله هي الهدى، وهو موجب الاستسلام لرب العالمين»[٣].

والذي نخلص إليه مما تقدم أن علماء المدينة النبوية جهودهم واضحة في بيان أهمية توحيد الألوهية الذي هو أساس قبول الأعمال عند الله سبحانه وتعالى، فلا يصلح عمل أريد به غير الله تعالى، والمأمور به هو أن يكون العمل خاليًا من شوائب الشرك، ولذلك يجب على العبد أن يجتهد في تحقيق الإخلاص في الأقوال والأفعال.

---

(١) آيات الهداية (١/ ٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل (٧/ ٨٩) رقم (٥٩٦٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ١٧٦) رقم (١٤٢).

(٣) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٦٧).

المبحث الثالث
معنى كلمة التوحيد

كلمة التوحيد هي أصل الدين، وهي أساس دعوة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي تعني عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، والبراءة من كل ما يعبد من دونه سبحانه وتعالى.

ولقد أخبر الله تعالى بأن المشركين علموا معنى هذه الكلمة وفهموها، ولذلك لما دعاهم النبي ﷺ لها كان ردهم كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[1] فلم يسلموا لهذه الكلمة ولم ينطقوا بها لعلمهم بمعناها. ومن قبلهم قوم هود وغيرهم لما دعاهم أنبياؤهم لهذه الكلمة قالوا كما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[2].

وفي الأزمنة المتأخرة ظهر الخلل في فهم معنى هذه الكلمة. وإنك لتشعر بالأسى على أقوام ينتسبون إلى العلم ثم هم يجهلون أمراً فهمه المشركون الأولون ـ نسأل الله الهداية ونعوذ بالله من الغواية ـ قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ: «والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه ـ إلى أن قال ـ فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها

---

(١) سورة ص، الآية: ٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٧٠.

من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله»[١].

ومع ظهور هذا الانحراف في فهم هذه الكلمة قام علماء أهل السنة والجماعة ببيان المعنى الصحيح لهذه الكلمة مستدلين على ذلك بالكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، ومن هؤلاء العلماء الذين قاموا بهذا البيان علماء المدينة النبوية. ومنهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ.

فقد أجاب على سؤال يقول: ما معنى لا إله إلا الله؟ فقال ـ رحمه الله ـ: «معناه لا معبود بحق إلا الله وحده»[٢]، وفي موضع آخر من منظومة البراهين الواضحات بيّن ـ رحمه الله ـ ماذا أراد النبي ﷺ من الكلمة التي جاء بها وهي لا إله إلا الله والتي دعا إليها قومه فكذبوه وتعجبوا من هذه الكلمة فقال:

(بيان مراد النبي ﷺ بلا إله إلا الله)

لكنما المراد من ذي الكلمة مدلولها لا لفظها لتفهمه

وجهال الكفار يعلمون ما أراده بها النبي المعتمي[٣]

إفراد رب العرش بالتعلق والحب والخضوع بالتحقق

والكفر بالطاغوت وهو ما عبد من دونه مع البراء للأبد

فإنه لما دعى بالقول بها قريشًا قابلوا بالجهل

وعجبوا منه فقالوا أجعل الآية اتل تعجبن ممن جَهِل[٤]

وممن أبان معنى هذه الكلمة العظيمة الشيخ محمود شويل ـ رحمه

(١) كشف الشبهات، للشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي: دار الكتاب الإسلامي ص(٤).

(٢) أصول الدين الإسلامي ص(١١).

(٣) قال صاحب القاموس المحيط (المعتمي الأسد) (١/ ١٦٩٦).

(٤) البراهين الواضحات ص(٧).

الله ـ في كتابه «رفع الشك والارتياب» فقال: «معنى لا إله إلا الله هو التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات»(١).

وفي موضع آخر ذكر المعنى الحقيقي الذي فهمه الصحابة من هذه الكلمة وتمسكوا بها وعملوا بمقتضاها، والفرق بينهم وبين أهل البدع الذين لم يفهموا معنى هذه الكلمة فضلوا الطريق المستقيم ـ نعوذ بالله من الضلال ـ فيقول ـ رحمه الله ـ: «فقارن أخي بين معنى لا إله إلا الله الذي تمسك به الصحابة فكانت أعمالهم ما دوّنه لهم التاريخ وبين معناها الذي تمسك به أهل البدوي، والجيلاني، والكاظم، وإدريس، ومحرز، وخوجات الهند، وبيرات الأفغان، فاعبدوا الله أيها الناس وأفردوه بالدعاء وأخلصوا له النداء»(٢).

وفي آخر الكتاب ـ رفع الشك والارتياب ـ ذكر معنى جملة لا إله إلا الله فقال: «فجملة معنى لا إله إلا الله إننا نعبد الله وحده ولا نعبد غيره بدعاء ولا غيره»(٣).

وعلى طريقتهم سار الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث بيّن أن لا إله إلا الله معناها إثبات حق العبودية لله وحده لا شريك له فقال: «معنى لا إله إلاّ الله: لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له من خلقه، يعني: أنفي جميع ما يعبد من دون الله، وأثبت العبادة لله وحده»(٤).

(١) رفع الشك والارتياب ص(٢٠).
(٢) المصدر السابق ص(٢٤).
(٣) المصدر السابق ص(٢٨).
(٤) شرح العقيدة الخالصة ص(١٦٥).

وممن وضّح معنى هذه الكلمة مفصّلة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «فـ «لا إله» أي لا معبود يستحق أي نوع من أنواع العبادة «إلاّ الله» جل جلاله فهو وحده المعبود بحق وغيره عبادتهم باطلة»[١].

وممَّن أبان معنى هذه الكلمة الشيخ علي بن محمد بن سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «معناها أنه النفي والاثبات فتنفي عبادة غير الله وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له»[٢].

وممَّن أبان معنى هذه الكلمة وبيَّن واجب المسلمين تجاهها الشيخ محمد أمان حيث قال ـ رحمه الله ـ: «فجمهور المسلمين بحاجة ماسة إلى أن يفهموا معنى كلمة التوحيد من جديد لئلا تلتفت قلوبهم إلى غير خالقها وبارئها في كل شيء لأن الكلمة تعني أن تكون العبودية لله وحده لا إله إلا هو ولا رب سواه ولا حاكم غيره إلى أن قال ـ رحمه الله ـ إن الكلمة تعني ألا تخضع القلوب ولا تعنو الوجوه إلا للحي القيوم»[٣].

وممَّن تعرض لمعنى هذه الكلمة الشيخ حماد الأنصاري حيث قال ـ رحمه الله ـ: «لا إله إلاَّ الله بمعنى: إقرار جميع أنواع العبادة لله دون غيره»[٤].

وممَّن أبان معنى هذه الكلمة وأكَّد على أهمية العناية بها الشيخ عطية محمد سالم حيث قال: «وهنا نؤكد لدارسي العقيدة ومدرسيها وجوب

---

(١) آفاق الهداية ص(٧ـ٣٣).

(٢) حاشية تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، لعلي بن محمد بن سنان: ص(٤٧)، دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

(٣) رسائل الجامي ص(٩٢).

(٤) رسائل في العقيدة ص(٤١).

العناية بتوحيد الألوهية ليكون ملزمًا أكيدًا لمن يقر بالربوبية أن عليه الإقرار بعبادة الله تعالى وحده، وأن هذا الإقرار هو معنى (لاإله إلا الله) وأنه جاءت به الرسل من عند الله»[1].

ومن خلال عرض كلام علماء المدينة النبوية لمعنى (لا إله إلا الله) نجد أنهم قرروا ما قرره علماء أهل السنة والجماعة في معنى هذه الكلمة. ولا شك أن هذه الكلمة العظيمة فضائلها كثيرة جدًا من أعظمها أنها تنجي من النار وتدخل الجنة، ولكن لا يكون ذلك حتى يستجمع العبد شروطها وتنتفي عنه موانعها، والمبحث التالي خصصته في جهود علماء المدينة النبوية في بيان شروط لا إله إلا الله. والله الموفق.

---

(١) آيات الهداية (١/ ٢٤٦).

المبحث الرابع

شروط لا إله إلا الله

النصوص الواردة في فضل لا إله إلا الله بعضها جاء مطلقًا وبعضها جاء مقيدًا مثل قوله عليه الصلاة والسلام عندما سأل من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، فقال: «**لقد ظننت ياأباهريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه**»[١]، وفي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - حين أعطاه النبي ﷺ نعليه، فقال: «**من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة**»[٢]، وفي حديث آخر: «**لا يلقى بهما عبد غير شاك فيها إلا دخل الجنة**»[٣]، فمن خلال هذه الأحاديث ذكر العلماء بأن النطق بلا إله إلا الله وحده لا يكفي لنجاة العبد ما لم يعمل بمقتضى لا إله إلا الله فهذه الكلمة العظيمة لابد من تحقيق مقتضاها كما قال الحافظ ابن رجب - رحمه الله -: «وقالت طائفة من العلماء: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، ومقتض لذلك. ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع. وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو الأظهر»[٤].

---

(١) رواه البخاري: كتاب العلم: باب الحرص على الحديث (١/ ٣٨) برقم (٩٩).

(٢) رواه مسلم في كتاب العلم: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ١٨٢) برقم (١٤٦).

(٣) رواه مسلم: كتاب العلم: باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ١٧٠) برقم (١٣٧).

(٤) تحقيق كلمة الإخلاص ص(٩).

وكلام الحافظ ـ رحمه الله ـ يدل على أن لا إله إلا الله لها شروط متى ما استكملها العبد نال الفضل المترتب عليها وقد ذكر هذه الشروط غير واحد من أهل العلم مثل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتبعه في ذلك الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمهما الله ـ وغيرهم وفيما يلي أذكر هذه الشروط وأدلتها: ـ وهي سبعة شروط ـ

١ـ العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا. قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[١] وفي الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**»[٢].

٢ـ اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[٣] وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى بها عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»[٤].

٣ـ الإخلاص: المنافي للشرك. قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[٦]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله**

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ١٦٦) برقم (١٣٥).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٥.

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا (١/ ١٧٠) برقم (١٣٧).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٣.

(٦) سورة البينة، الآية: ٥.

إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه»[١].

٤ـ الصدق: المنافي للكذب المانع من النفاق. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝﴾[٢]، وفي الصحيح عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»[٣].

٥ـ المحبة: لهذه الكلمة ولما دلت عليه المنافية للبغض. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[٤]. وفي الصحيح عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[٥].

٦ـ الانقياد: المنافي للترك قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾[٦].

٧ـ القبول: المنافي للرد قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب الحر على الحديث (١/ ٣٨) برقم (٩٩).

(٢) سورة العنكبوت: الآيات: ١ـ٣.

(٣) صحيح البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم (١/ ٤٦) برقم (١٢٨).

(٤) سورة البقرة: الآية: ١٦٥.

(٥) مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٢/ ٢٠٤) برقم (١٦٣).

(٦) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾[١].

والمتأمل في كتب علماء المدينة النبوية يجد أنهم ذكروا بعض هذه الشروط فقال الشيخ محمود شويل في رسالته «إرشاد الحائرين لرد شبهات المشبهين»: «إذا تحقق هذا عُلِمَ أن من توهم أنه بمجرد نطقه بكلمة التوحيد من غير تحقيق لمعناه وعمل به يكون ناجيًا يدخل الجنة ولا يدخل النار بحال، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة»[٢].

وبهذا يبين أهمية قبول هذه الكلمة والانقياد لها. وفيه رد على من ادَّعى النجاة يوم القيامة بمجرد نطقه لهذه الكلمة. وفي موضع آخر يذكر ـ رحمه الله ـ شرط الإخلاص والصدق في هذه الكلمة حيث قال: «وقد صح أن من قال لا إله إلا الله خالصًا صادقًا من قلبه ومات على ذلك فإنه لا يخلد في النار إذ لا يخلد في النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»[٣].

وفي موضع آخر أيضًا ذكر شروطًا أخرى فذكر شرط العلم واليقين وبين أن لا إله إلا الله لا تصح بدون هذه الشروط فقال ـ رحمه الله ـ: «فإن الشهادة لا تصح إلا إذا كانت عن علم ويقين وإخلاص وصدق»[٤].

وممن أبان شروط لا إله إلا الله الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ فقد نقل الإجماع على بطلان منفعة من نطق بالشهادتين دون ما تقتضيه من الشروط وذكر بعض تلك الشروط مثل العلم واليقين والانقياد والإخلاص فقال: «فلابد في الشهادتين من العلم واليقين والعمل بمدلولهما، أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا يقين ولا عمل بما تقتضيه من البراءة من الشرك

(١) سورة الصافات، الآية: ٣٥-٣٦.
(٢) إرشاد الحائرين. ص(٢٠).
(٣) المصدر نفسه ص(٢١-٢٢).
(٤) المصدر نفسه ص(٢٣).

وإخلاص القول والعمل فغير نافع إجماعًا»[١].

وممن أبان شرطا من تلك الشروط الشيخ عطية سالم ـ رحمه الله ـ فقد ذكر شرط اليقين الذي هو منافي للشك فقال: «والإيمان لا يصح مع الشك وإنما هو جزم وقطع ويقين»[٢].

ويتضح مما سبق أن علماء المدينة النبوية ساروا على مثل ما سار عليه علماء أهل السنة والجماعة من وجوب العمل بمقتضى هذه الكلمة حتى ينال العبد الثواب العظيم من الله تعالى لمن نطق بها وعمل بمقتضاها والله أعلم.

---

(١) آفاق الهداية (٧/ ٣٢).

(٢) آيات الهداية (٢/ ١٠٤).

المبحث الخامس
مفهوم العبادة

عرفنا مما سبق أن توحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة، والسؤال هو ما معنى العبادة وكيف فسرها علماء المدينة النبوية؟

لقد انحرفت طوائف عن المفهوم الصحيح للعبادة، فحصروها في بعض الشعائر التعبدية فقط؛ كالصلاة والصوم والحج. والمتأمل في حال كثير من المسلمين اليوم يجد أن مفهوم العبادة عندهم لا يعدو أن تكون شعائر تعبدية يأدونها من صلاة وصيام وحج وقراءة قرآن... فحسب. أما المجالات الأخرى من معاملات ومباحات وأخلاق فلا دخل لها في العبادة عندهم. وهذا ربما قالوه بلسان الحال دون لسان المقال. والعبد المؤمن يجب أن يدرك تمامًا أنه ما خلق إلا لعبادة الله تعالى، فكل أعماله من شعائر تعبدية، أو معاملات، أو ما كان منها مباحات ينبغي أن يستشعر فيها معنى العبودية لله تعالى. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[1].

ولذلك كان لزامًا على علماء أهل السنة والجماعة بيان أعظم المصطلحات الدينية، فالعبادة هي لب التوحيد وأساسه. وقبل بيان علماء المدينة النبوية لمفهوم العبادة يحسن بنا أن نذكر نبذة موجزة في تعريف العبادة لغة واصطلاحًا.

تعريف العبادة لغة:

لعلماء اللغة كلام طويل في معنى «العبادة» لغة، ومن تلك المعان أنها

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣.

تأتي بمعنى التذلل والخضوع والمملوكية والتنسك.

قال الراغب: «العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل»[١]. وقال الجوهري: «أصل العبودية: الخضوع والتذلل»[٢]. وقال الزمخشري في معنى العبادة: «اعبدني فلان: ملكنيه»[٣]. وقال الرازي: «والتعبد التنسك»[٤]. والعبادة في الاصطلاح لها معنيان باعتبارين وهما:

ـ الاعتبار الأول: التعبد بمعنى: التذلل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه[٥].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ معرفًا العبادة بهذا الاعتبار أنها «كمال المحبة مع كمال الذل»[٦].

ـ الاعتبار الثاني: المتعبد به: وأحسن من عرّفه بهذا الاعتبار شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ حيث قال: «العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة؛ كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام...»[٧].

والمتأمل في كتب علماء المدينة النبوية يجد إن منهم من وضّح معنى العبادة وبينوه للناس بيانًا شافيًا. فهذا الشيخ محمد الطيب الأنصاري يذكر

(١) المفردات في غريب القرآن (١/ ٣١٩) مادة «عبد».
(٢) لسان العرب (٣/ ٢٧١) مادة «عبد».
(٣) أساس البلاغة (١/ ٤٠٦).
(٤) مختار الصحاح (١/ ٩).
(٥) المجموع الثمين من فتاوى العثيمين (٢/ ٢٥).
(٦) الكافية الشافية ص(٣٢).
(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، كتاب العبودية جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم (١٠/ ١٤٩) مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

معنى العبادة جوابًا على سؤال فيقول ـ رحمه الله ـ: «العبادة هي غاية الخضوع والتذلل وغاية الحب والتعلق لمن فعل له ذلك»[١] أي لمن خلقه ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة. وبهذا يبين الشيخ الأنصاري أن العبادة ترتكز على ركنين غاية الخضوع والتذلل مع نهاية الحب والتعلق، ولأن العبادة معنى زائد عن مجرد الخضوع والتذلل.

وفي موضع آخر ذكر ـ رحمه الله ـ تعريف العبادة فقال: «والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال كأركان الإسلام الخمسة، الدعاء والرجاء، والخوف والتوكل، والرغبة والرهبة، والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر. وغير ذلك من أنواع العبادة»[٢].

وهذا التعريف هو نفسه تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، مما يدل على أن علماء أهل السنة والجماعة المتقدمين منهم والمتأخرين على طريقة واحدة ومنهج واحد مرجعهم الأصلي هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه سلف هذه الأمة الأخيار عليهم من الله تعالى الرضوان.

وممن بيّن معنى العبادة الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ في «إرشاد الحائرين» فقال ـ رحمه الله ـ: «العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل»[٣].

وممن تعرض لبيان مفهوم العبادة السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ فقال: «معنى العبادة لله وحده هو الإيمان والإسلام والإحسان والقيام والركوع والسجود، والدعاء، والمحبة، والتوكل، والخشية، والإنابة، والاستغاثة، والاستعاذة، والنذر والذبح، وغير ذلك مما لم يذكر

---

(١) أصول الدين الإسلامي ص(٨).

(٢) المصدر السابق ص(٢٩).

(٣) إرشاد الحائرين ص(٥).

هنا»[١].

وفي موضع آخر ذكر معنى العبادة أيضًا فقال: «معنى العبادة لله وحده لا شريك له وعدم الإشراك به أحدًا من خلقه هو الإخلاص له، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، والخوف من الله وحده، وعدم الخوف من غيره، والرجاء منه في السراء والضراء»[٢].

وبهذا يظهر لنا أنه لا تعارض بين هذه العبارات في معنى العبادة، فجميعها دال على معنى واحد صحيح، وبذلك تظهر موافقة علماء المدينة النبوية أهل السنة في تعريفهم العبادة، وتقريرهم أن هذه العبادة يدل معناها على صرف الأعمال الظاهرة والباطنة لله جل وعلا. وهذا هو ما يقتضيه العقل والنقل، فإن الذي ينفرد بالخلق والإنعام هو الذي يستحق التوجه إليه بالرغبة والرهبة وحده لا شريك له؛ ومن الظلم والسفه أن يطلب الخير ممن لا يملكه، أو الخوف من الشر ممن لا يقدر عليه؛ هذا ما يقرره العقل، وأما النقل فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[٣].

---

(١) شرح العقيدة الخالصة ص(٥٧).

(٢) المصدر السابق ص(٥٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١.

المبحث السادس
أمور تنافي أصل التوحيد

إن العقيدة الصحيحة هي الصافية من كل ما يشوبها من مظاهر الشرك القولية والفعلية والعقدية الظاهرة والباطنة، وقد حرص الشارع على منع كل ما يناقض التوحيد، وعلى سد الذرائع المؤدية إلى الشرك كبيره وصغيره جليه وخفيه، وعند التأمل في تلك النواقض نجد أنها تنقسم إلى قسمين:

١ـ ما يناقض أصل التوحيد كالشرك الأكبر، وهو الشرك الذي يخرج صاحبه من الملة، ويوجب لصاحبه الخلود في النار، ويحبط جميع أعماله ويبيح دمه وماله قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1]. ومظاهر هذا الشرك كثيرة، ومنها شرك العبادة، وشرك المحبة، وشرك الطاعة، وشرك الخوف... وغيرها من مظاهر الشرك التي تكون في الغالب في توحيد الألوهية.

٢ـ ما يناقض كمال التوحيد، مع بقاء أصله؛ كالشرك الأصغر، فهو لا يخرج صاحب من الملة ولا يوجب لصاحبه الخلود في النار، ولا يحبط عمل من وقع فيه ولكن ينقص من توحيده، وينقسم إلى قسمين:

(أ) ظاهر. (ب) خفي.

وله أنواع كثيرة منها ما هو قولي ومنها ما هو عملي ومنها ما هو شرك في النيات (شرك الإرادات).

وقد ذكر العلماء هذه النواقض وبينوها أيما بيان كما تراه في كتب أئمة الدعوة ـ رحمهم الله ـ، والناظر في كتب علماء المدينة النبوية يجد أنهم

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

تناولوا هذه المسألة بالتحقيق والبيان، ومنهم الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الإنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث ذكر ما يضاد التوحيد وهو الشرك، وبين أنواعه ودليل كل نوع فقال ـ رحمه الله ـ: «الشرك الأكبر هو يخرج عن الدين ويجعله مشركًا مخلدًا في النار. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[١]. ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٢] وهو أربعة أنواع:

الأول: شرك الدعوة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٣].

الثاني: شرك النية والإرادة والقصد. قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾[٤].

الثالث: شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥].

الرابع: شرك المحبة، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٦]»[٧].

وفيما ذكره ـ رحمه الله ـ من أنواع الشرك دلالة واضحة على استفادته

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

(٤) سورة هود، الآية: ١٥.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٧) العقيدة الخالصة: ص(٤٥٩).

من كتب ورسائل أئمة الدعوة[١] ـ رحمه الله ـ.

وفيما يلي أذكر بعض الأمور التي تنافي أصل التوحيد والتي ذكرها علماء المدينة النبوية وحذروا الأمة منها ومن تلك الأمور:

١ـ دعاء الأموات والاستغاثة بهم:

من المعلوم أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته ومن أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان تلك العبادة والدعوة إليها. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[٣]، والآيات الواردة في هذا الباب كثيرة، والتي تدل على وجوب إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وما من شك أن الدعاء من أهم أنواع العبادة وأجمعها فلذلك وجب إخلاص الدعاء لله وحده، قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٥]، والنبي ﷺ لم يكن يدعو ويستغيث إلاّ بربه سبحانه وتعالى، وكذلك أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، ولا أدلّ على ذلك من يوم بدر، فقد كان عليه الصلاة والسلام يستغيث بربه ويدعوه ويلح في الدعاء رافعًا يديه إلى السماء حتى سقط الرداء من على كتفه ﷺ، وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ يقول له بلسان من امتلأ قلبه إيمانًا ويقينًا بالله تعالى: «حسبك يارسول الله فإن الله منجز لك

---

(١) الجامع الفريد يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الإسلامية، رسالة أنواع التوحيد وأنواع الشرك للعلامة الشيخ عبدالله بن حسن بن الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب ص(٣٤١) طبعة محمد النعمان.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٤) سورة غافر، الآية: ١٤.

(٥) سورة الجن، الآية: ١٨.

ما وعدك»[1] فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، فمن نصرهم وأمدهم بأسباب النصر؟ إنه الله الذي بيده كل شيء. فالنفع والضر بيده سبحانه وتعالى، لا كما يظنه الجهلة من القبوريين الرافضة وغيرهم من الصوفية وأصحاب الطرق المنحرفة المخالفين للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. والناظر في الواقع الذي عاشته الأمة وتعيشه اليوم من انتشار مظاهر الشرك والغلو في الأموات والصالحين ليأسف أشد الأسف على الواقع الأليم الذي تعيشه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وأمّا ما يظنه بعض الناس من أن البلاء يندفع عن أهل بلد أو إقليم بمن هو مدفون عندهم من الأنبياء والصالحين، كما يظن بعض الناس أنه يندفع عن أهل بغداد البلاء لقبور ثلاثة: أحمد بن حنبل، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار ويظن بعضهم أنه يندفع البلاء عن أهل الشام بمن عندهم من قبور الأنبياء كالخليل وغيره عليهم السلام ـ إلى أن قال ـ فكل هذا غلو مخالف لدين الإسلام، مخالف للكتاب والسنة والإجماع، فالبيت المقدس كان عنده من قبور الأنبياء والصالحين ما شاء الله، فلما عصوا الأنبياء وخالفوا ما أمر الله به ورسله، سلط عليهم من انتقم منهم»[3].

وقد أشرت في تمهيد هذه الرسالة عن المقامات والمشاهد والأضرحة التي كانت في الحجاز في تلك الفترة وفي المدينة النبوية على وجه الخصوص، ومن

---

(١) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن: باب قوله: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) (٦/ ٦٣).

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٩.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٣٥-٤٣٦).

علماء المدينة النبوية من قام بواجب الدعوة إلى الله تعالى وتصحيح الاعتقاد وإزالة المنكرات والدعوة إلى إخلاص الدعاء لله وحده لا شريك له.

ولعل الشيخ محمد الطيب الأنصاري من أبرز علماء المدينة النبوية الذين حذّروا الأمّة من صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى وخصوصًا الدعاء الذي هو أصل العبادة فيها كما بين ﷺ، فبيّن أنه لايجوز الدعاء أو الاستغاثة بغير الله تعالى؛ لأنه حق لله تعالى وحده، ولو كان هذا المدعو والمستغاث به هو النبي ﷺ فإذا كان ذلك لا يجوز في مقام النبي ﷺ فغيره من باب أولى؛ فقال ـ رحمه الله ـ في رسالته «عقيدة السلف الصالح»: «وأن معنى محبته ﷺ طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لا إطراؤه والغلو فيه ورفعه عن منزلته التي أنزله الله عز وجل بدعائه والاستغاثة به فقد قال ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[1] وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل**»[2] وأن الاستغاثة به ـ فضلاً عن غيره من الأولياء وأصحاب

(١) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة البقرة (٥/ ٢١١) رقم (٢٩٦٩)، وأخرجه أبوداود في كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/ ٧٦) برقم (١٤٧٩)، وأخرجه النسائي في سننه الكبرى في كتاب التفسير، تفسير سورة غافر (٦/ ٤٥٠) برقم (١١٤٦٤)، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١١هـ: تحقيق عبدالغفار البنداري وسيد كسروي وأخرجه ابن ماجه: كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨) برقم (٣٨٢٨) دار الفكر: بيروت: تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، وهو في مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٧١) برقم (١٨٤١٠)، وصححه الألباني في الجامع (١/ ٦٤١) برقم (٣٤٠٧).

(٢) قال الهيثمي في المجمع: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث، وقد رواه أحمد بغير هذا السياق وهو في الأدب في باب القيام (١٠/ ١٥٩). ولفظ أحمد: «إنه لا يقام لي بل يقام لله تبارك وتعالى» (٥/ ٣٠٧) برقم (٢٢٥٨) وأخرجه بهذا اللفظ ابن سعد في الطبقات (١/ ٣٨٧) قال شيخ الإسلام: «إن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب والسنة» الاستغاثة (١/ ٣٠٨) وقد ضعفه صاحب النهج السديد ص(٨٨).

المشاهد ـ شرك بالله تعالى . والتعلق بغير الله تعالى في جلب خير أو دفع شر استقلالاً أو وسطًا : شرك»[١] .

وفي موضع آخر يقرر ـ رحمه الله ـ بطلان رجاء النفع من الأموات للأحياء وأن ذلك شرك بالله تعالى، وجهلٌ بحقيقة التوحيد. فقال ـ رحمه الله ـ: «فإذا تقرر وثبت واتضح بطلان رجاء النفع من الأموات والعول منهم على الأحياء بكرامات ينتفعون بها، وأنه لا يرجوها منهم إلا من اتخذ لله شريكًا جهلاً منه بحقيقة التوحيد»[٢] .

وها هو ـ رحمه الله ـ يبين بجلاء أن هؤلاء الأموات الذين يدعونهم المشركون الضالون قد انقطعت أعمالهم وتجدهم نادمين على ما فرطوا من أعمارهم ولو لحظة واحدة من غير عمل صالح فكيف يسوغ لعاقل أن ينزل حاجته عندهم ويطلبهم قال ـ رحمه الله ـ: «فإن كان الغلاة في صالحي الأموات يعتقدون أن الله يوكل الأحياء على خلقه يتصرفون في ملكه كيف شاءوا فلا شك قد وقعوا في ورطة تعجيز الله وتكذيبه وإن لم يعتقدوا في الأحياء فكيف يعتقدونه في الأموات الذين انقطعت أعمالهم المتندمين على ما فرطوا من أعمارهم ولو لحظة من غير عمل صالح»[٣] .

وممّن تعرض لهذه المسألة الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ فبعد حديثه عن معنى كلمة التوحيد وما دلّت عليه بيّن ما عليه عبّاد القبور من الجهل بهذه الكلمة فقال ـ رحمه الله ـ: «فما أجهل عبّاد القبور بحالهم وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) فإن مشركي العرب وغيرهم جحدوا (لا إله إلا الله) لفظا ومعنى وهؤلاء

---

(١) أصول الدين الإسلامي ص(٣١).

(٢) الدلائل اليقينيات ص(١٢).

(٣) المصدر السابق ص(١١).

المشركون أقروا بها لفظا وجحدوها معنى، فتجد أحدهم يقولها وهو يؤله غير الله بأنواع العبادة كالحب والتعظيم، والخوف والرجاء، والتوكل والدعاء وغير ذلك من أنواع العبادة»[١].

وتعرض ـ رحمه الله ـ لهذه المسألة عند رده على الحرازي فقال: «نسأله بل نسأل العلماء كافة عن معنى قول الله تعالى من سورة الرعد من كتابه الكريم: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[٢]، وقوله في سورة فاطر: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٣]، وقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[٤]، فهذه ثلاث آيات أيها القوم ـ الذين يعقلون ـ ينعى الله تعالى فيها نعيًا صريحًا جليًا واضحًا، على من يدعو غيره تعالى، كائنًا من كان ذلك المدعو أو ينادي حيًا غائبًا، أو ميتًا مقبورًا، كائنًا من كان ذلك الحي الغائب أو الميت المقبور بالكفر والشرك، وإثبات العبادة إثباتًا واضحًا بمثل ذلك الدعاء.... إلى أن قال ـ رحمه الله ـ فلم يرد عن أحد من علمائهم ـ أي علماء الصحابة والقرون المفضلة ـ ولا أحد من جهالهم أنه نادى ميتًا أو دعا نبيًا أو وليًا، ومن شك في ذلك

---

(١) إرشاد الحائرين ص(٢٧).
(٢) سورة الرعد، الآية: ١٤.
(٣) سورة فاطر، الآيتان: ١٣، ١٤.
(٤) سورة الأحقاف، الآيتان: ٥ـ٦.

فلينقل لنا نقلاً واحدًا صحيحًا ضد ما كتبناه»[١].

وهذا عرض مدعم بالأدلة على بطلان دعاء غير الله سواء كان المدعو حيًا أو ميتًا نبيًا أو وليًا صالحًا.

وممن وضّح خطورة دعاء غير الله تعالى والاستغاثة والاستعانة بالمخلوق الضعيف أو الميت أو الغائب الذي لا يملك لنفسه جلب نفع أو دفع ضر فضلاً عن أن يملك لغيره ذلك: الشيخ عمر إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ في نظمه للثلاثة الأصول في التوحيد، فقال ـ رحمه الله ـ:

واعلم فعلم المرء حقًا ينفعه ... ينقذه من جهله بل يرفعه

أنواع ما أمرته ياذا الفتى ... من العبادات بنظمي قد أتى

اسلامنا الإيمان والإحسان ... كذا الدعاء والخوف والتكلان

كذا إنابته خشوع رغبة ... كذا رجاء خشية ورهبة

مع استعاذة والاستعانة ... والذبح والنذر مع استغاثة

فإن صرفت واحدًا لغيره ... فقد صرفت يا فتى عن خيره

وكنت كافرًا وكنت مشركًا ... فاحرص رعاك الله أن لا تشركا

وممّن تعرض لهذه المسألة الشيخ صالح بن أحمد المصوعي ـ رحمه الله ـ في ردّه على مزاعم محمد بن أحمد نور ضد أئمة الدعوة في مسائل متفرقة، فقال في ما يتعلق بدعاء الأموات والاستغاثة بهم: «والحاصل أن الاستغاثة بالأموات لم تثبت قط، ولم يقل بها أحد من أهل العلم الذين يعتد بهم، إلاّ الجهلة عبّاد العباد، وقد سقت بعض الأدلة في الدعاء، وهذه بعضها:

---

(١) القول السديد في قمع الرازي العنيد ص(٣٠، ٣١، ٣٢).

- قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(١).

- وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

- وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾(٣).

- وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾(٤).

- وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾(٥)»(٦).

وممن جلّى هذه المسألة الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «الدعاء هو التضرع لله تعالى، وطلب حاجته منه، وهو لا يجوز لأحد غير الله في الأمور المعنوية مثل التوفيق وزيادة العمر وإذهاب الخوف من قلبه وإعطاء الولد وغيره، لأن غير الله تعالى لا يقدر على شيء من هذه الأشياء والقادر هو الله وحده لا شريك له الذي لا إله غيره»(٧).

وبيّن ـ رحمه الله ـ في موضع آخر حكم من دعا غير الله تعالى في

(١) سورة يونس، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٢.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٣.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٣.
(٦) تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور بالقرآن والحديث، صالح بن أحمد المصرعي ص(٣٨).
(٧) العقيدة الخالصة ص(٨٢).

السراء والضراء فقال: «فمن دعا غير الله أيًا كان في السراء والضراء كان أغلظ شركًا من المشركين الأولين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ على شركهم»(١).

وهو بذلك يوضح أن مشركي زماننا يشركون في السراء والضراء أما المشركون الأولون فكانوا يشركون في السراء وأما في حال الشدة فإنهم يخلصون الدعاء لله تعالى ولذلك حكم ـ رحمه الله ـ بأن شرك أهل زماننا أغلظ من شرك المشركين الأولين.

وممن تعرض لهذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ فقد حكى عن حال كثير من المسلمين بدعائهم الأموات سواء كان المدعو نبيًا أو وليًا، وأن هؤلاء الداعين قد خرجوا من زمرة الإسلام كله بسبب دعاءهم غير الله، فقال ـ رحمه الله ـ: «والجهل في أمم كثيرة من المسلمين بدعواهم الأموات يخرجهم من زمرة الإسلام كله لأن دعوتهم للأموات شرك.. إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «وكل من دعا أحدًا من دون الله تعالى من نبي مرسل أو ملك مقرب أو ولي أو شجر أو حجر أو حي أو ميت بعيدًا أو قريبًا فإنه قد جعل ما يدعوه ندًا لله تعالى والعياذ بالله. ومن دعا شيئًا من دون الله يكون مشركًا كافرًا إلا أن يعود إلى الإسلام، ويتوب من شركه ثم لا يعود إليه أبدًا»(٢).

وفي موضع آخر بيّن رحمه الله أن أولئك الأموات أيًا كانوا لا يملكون لأحد جلب منفعة أو دفع مضرة، فقال ـ رحمه الله ـ: «وأولئك الأموات أيًا كانوا لا يملكون لأحد نفعًا ولا ضرًا، فمن قال: إن أحدًا منهم يملك لمن

(١) المصدر السابق ص(١٥٩).
(٢) آفاق الهداية (٧/ ٢٩).

دعاه ضرًا أو نفعًا فإنه مشرك كافر»[١].

وأكثر من تعرض لهذه المسألة الشيخ علي بن محمد سنان ـ رحمه الله ـ، فقال في رسالته الموسومة «حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ وسؤاله الشفاعة»: أما الاستغاثة بالإنسان الميت أو الغائب فلا تجوز؛ لأن كلًّا منهما لا يملك أن يجيب طلبًا، سواء كان المستغاث به ملكًا أو نبيًا، أو وليًا، أو دونهم، فالله عز وجل الذي يستغاث به وحده ـ فيما لا يقدر عليه المخلوق ـ لرفع الشدائد وتفريج الكروب، يقول تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝﴾[٢] ويقول سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٣] إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «واستغاثة المضطر هي دعاء والدعاء عبادة»[٤].

كما أوضح ـ رحمه الله ـ الاستغاثة الجائزة وغير الجائزة فقال ـ رحمه الله ـ: «إن الاستغاثة الجائزة هي ما تطلب من الله جل جلاله ومن العبد الحي الحاضر فيما يقدر عليه[٥]. أما الاستغاثة غير الجائزة فهي ما تطلب من غير الله سواء كان ملكًا أو نبيًا، أو وليًا، وذلك فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله تعالى،

(١) المصدر نفسه (٧/ ٥٩).
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٦٣، ٦٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.
(٤) حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ لعلي بن محمد بن سنان، مقال.
(٥) وهذا مقيد بأن يعتقد أنه مجرد سبب، قال الشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمه الله ـ: «وإذا طلبت من أحد الغوث وهو قادر عليه؛ فإنه يجب عليك تصحيحًا لتوحيدك أن تعتقد أنه مجرد سبب وأنه لا تأثير له بذاته في إزالة الشدة؛ لأنك ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب، وهذا قادح في كمال التوحيد: القول المفيد (١/ ٣٢٥).

وبناء على ذلك فإن الاستغاثة بالنبي ﷺ في حياته فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله والاستغاثة به ﷺ بعد مماته أمر لا يجوز شرعًا بأمر الله تعالى وبأمر رسوله ﷺ»[١].

وممن تعرض لهذه المسألة الشيخ محمد أمان رحمه الله حيث ذكر أن دعاء غير الله تعالى شرك لا يغفر إلاَّ بالتوبة فقال ـ رحمه الله ـ: «فمن عبد غير الله بالدعاء والاستغاثة والذبح والنذر والتوكل وما في هذه الأشياء من أنواع العبادة كالركوع والسجود والطواف فقد أشرك مع الله شركًا لا يغفر إلاَّ بالتوبة التي هي الإقلاع والندم والعزم على عدم العودة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾[٢]»[٣].

وممن حذَّر من هذا الباب من أبواب الشرك الشيخ عطية محمد سالم حيث قال ـ رحمه الله ـ: «وهكذا كل من طلب نفعًا أو رجا دفع ضر من أحد غير الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله كان قد ارتكب بابًا من أبواب الشرك، وعليه الحديث: «**إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٤]»[٥].

ومن خلال ما سقته من كلام علماء المدينة النبوية في هذه المسألة يتضح بجلاء جهودهم في إبطال دعاء الأموات والاستغاثة بهم، وهم بذلك

---

(١) حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ ص(٤).

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) رسالة ما هكذا تورد الإبل ص(٢).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٩٣) برقم (٢٦٦٩)، والترمذي في سننه: أبواب صفة القيامة (٤/ ٦٦٧) برقم (٢٥١٦). والمستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله الحاكم: تحقيق مصطفى عطا: كتاب معرفة الصحابة، ذكر عبدالله بن عباس رضي الله عنهما (٣/ ٦٢٤) برقم (٦٣٠٤)، دار الكتب العلمية، وصححه الألباني في الجامع (٢/ ١٣١٨) برقم (٧٩٥٧).

(٥) رسالة في الربوبية ص(٩).

سائرون على ما سار عليه سلفهم من علماء أهل السنة والجماعة، فجزاهم الله خير الجزاء على ما قدموه للأمة.

ومن الأمور التي تنافي أصل التوحيد والتي ذكرها علماء المدينة النبوية، وحذروا الأمة منها هي:

٢ـ الذبح والنذر لغير الله تعالى:

الذبح والنذر لله تعالى من العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، ومن يتقرب إلى غير الله بالذبح والنذر فقد جعل لله شريكًا في عبادته. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[١].

وقد تعرض علماء المدينة النبوية لهاتين المسألتين بالبيان، والإيضاح بل إن المتأمل في كتبهم يجد أنهم عنوا عناية كبيرة فيهما.

فيقول الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ في العقيدة الخالصة: «الذبح هو النحر مع ذكر اسم الله تعالى، تعظيمًا له بقوله: بسم الله، الله أكبر، فإذا قصد به تعظيم غير الله حرم المذبوح، وهذا مشرك»[٢]. ثم ذكر ـ رحمه الله ـ قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[٣].

وممن تعرض لهذه المسألة الشيخ محمد أمان حيث بيّن أن من صرف هذه العبادة لغير الله فقد وقع في الشرك فقال ـ رحمه الله ـ: «فمن عبد غير الله بالدعاء والاستغاثة والذبح.. إلى أن قال: فقد أشرك مع الله شركًا لا يغفر إلاّ بالتوبة التي هي الإقلاع والندم والعزم على عدم العودة»[٤].

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) العقيدة الخالصة ص(١٢٥).

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢ـ١٦٣.

(٤) ما هكذا يا سعد تورد الإبل ص(٢).

ومِمَّن بيَّن هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث بين أن هذه العبادة وغيرها من العبادات لا تصلح أن تكون إلا لله عز وجل، وأن صرفها لغيره تعالى شرك، فقال ـ رحمه الله ـ: «والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والإنابة والرهبة والخشوع والخشية والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة والذبح والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له، فمن صرف منها شيئًا لغير الله فإنه مشرك كافر»[1].

ومِمَّن أبان هذه المسألة بيانًا شافيًا الشيخ علي بن محمد سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وكم وكم تذبح الذبائح لغير الله، سواء عند القبور أو في البيوت أو عند العيون إذا نقص منها الماء؛ لاعتقادهم أن الشيطان وضع قدمه على العين فلا تجري ثم يأكلون هذه الذبائح مع علمهم من كتاب الله أنها محرمة، فالذابح لغير الله ملعون بحديث رسول الله ﷺ وأكل الحرام محرم بكتاب الله، اسمع قول النبي ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[2]. فمن يحب أن يكون ملعونًا مطرودًا من رحمة الله كإبليس لعنه الله إلى يوم الدين. فالذابح لغير الله ملعون وآكل ما حرمه الله ملعون[3] ـ إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: وقوله ﷺ: لعن الله من ذبح لغير الله المراد به أن يذبح باسم غير اسم الله تعالى كمن يذبح للصنم أو للصليب أو لموسى أو لعيسى صلى الله عليهما وسلم، أو للكعبة. ونحو ذلك وكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء

---

(١) آفاق الهداية (٧/ ٦٢).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم ماذبح لغير الله، ولعن فاعله (١٣/ ١٤٢) برقم (٥٠٩٧).

(٣) لم يثبت في لعن آكل ما حرم الله من الكتاب والسنة عدا ما جاء في في الربا وإنما جاء الوعيد في ذلك والله أعلم.

كان الذابح مسلمًا أو نصرانيًا أو يهوديًا»[١].

وممّن حذّر من هذه المسألة الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث بيّن فعل النذر والمشروع منه، ومتى يكون شركًا، فقال ـ رحمه الله ـ: «النذر هو تعليق شيء على شيء، مثل أن يقول الرجل: لئن نجاني الله من هذا البلاء أو رزقني ولدًا لأتصدقنّ كذا، أو لأصومنّ كذا، وهذا النذر جائز[٢] يلزمه الوفاء به، ولا يجوز أن يقول: لئن أنجاني النبي أو الولي فلان لأتصدقن كذا أو لأصومن كذا. وهذا شرك»[٣].

وقد تعرض لهذه المسألة غير واحد من علماء المدينة النبوية ضمن ما ذكروه من العبادات التي لا يجوز صرفها إلاّ لله وقد مرّ معنا بعضها، مما يدلنا على جهودهم الواضحة في بيان هذه المسألة للناس.

---

(١) حاشية تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص(١١).

(٢) اختلف العلماء في حكم النذر، فالجمهور من المالكية وأكثر الشافعية والحنابلة على أنه مكروه، ينظر: المغني لابن قدامة (٦٢١/١٣)؛ وسبل السلام للصنعاني (٢١٢/٤)، وذهبت الحنفية إلى استحباب النذر، ينظر: الاختيار لتعليل المختار، لعبدالله بن محمود الحنفي (٧٦/٣)، وذهب إلى تحريم النذر الصنعاني، ينظر: سبل السلام (٢١٢/٤).

(٣) العقيدة الخالصة ص(١٣٠).

المبحث السابع
التوسل

إن مما وقع فيه الاشتباه والإجمال من الألفاظ؛ لفظ التوسل، حتى صار يطلق على غير معناه المراد منه، ولذا اعتنى به من عرف مدى خطورته، فأوضح حقيقته، وفرّق بين ما دلّ عليه الكتاب والسنة من التوسل، وبين ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه، ويجدر بنا أن نقدم بين يدي الكلام عليه بيان معنى التوسل لغة وشرعًا، وبيان أقسامه.

التوسل لغة:

يعني التقرب، وطلب المنزلة عند معظَّم. في اللسان: الوسيلة: المنزلة عند الملك، والوسيلة الدرجة، والوسيلة القربة، وتوسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملاً تقرب به إليه، والواسل الراغب إلى الله.

قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم   بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

والوسيلة الوصلة والقربى وجمعها الوسائل[1].

قال ابن فارس: «الواو والسين واللام كلمتان متباينتان جدًا. الأولى: الراغب إلى الله ـ عز وجل ـ، ومن ذلك القياس والوسيلة. والأخرى: السرقة، يقال: أخذ إبله توسلاً»[2].

قال ابن الأثير: «هي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به

---

(١) لسان العرب، باب اللام فصل الواو (١١/ ٧٢٤-٧٢٥)، مختار الصحاح (٧٢١)، القاموس المحيط، باب اللام فصل الواو (٤/ ٦٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٦/ ١١٠).

وجمعها وسائل، يقال: وسل إليه وسيلة، وتوسل»[1].

وقال أبو طالب في مطلع لاميته:

ولما رأيت القوم لا وُدَّ فيهمو وقد قطعوا كل العرى والوسائل[2]

يريد أنواع الصلة وضروب الروابط.

وبهذا يتبين المعنى اللغوي للوسيلة فهي تتضمن ثلاثة معاني وهي: القربة، والرغبة، والتوصل.

معنى التوسل شرعًا:

استعمل الكتاب والسنة لفظ التوسل في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[4] وفي البخاري عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته أحلت له شفاعتي يوم القيامة**»[5].

ـ أما معنى الوسيلة في الآية الأولى فقد روى ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ عن أبي وائل[6] قال: القربة في الأعمال. وعن عطاء قال: القربة، وعن السدي قال: فهي المسألة والقربة، وعن قتادة قال: أي تقربوا إليه

(١) النهاية (٥/ ١٨٥) مادة «وسل».

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٧٢) دار المعرفة، بيروت.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٥) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء (١/ ١٧١) برقم (٦١٥).

(٦) هو شيخ الكوفة وأعلم أهلها بحديث ابن مسعود شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي، مخضرم، أدرك النبي ﷺ ولم يره، مات سنة اثنين وثمانين. ينظر ترجمته في: السير للذهبي (٤/ ١٦١)، وطبقات ابن سعد (٦/ ٩٦).

بطاعته والعمل بما يرضيه، وعن مجاهد قال: القربة إلى الله تعالى، وعن الحسن قال: القربة وكذا عن عبدالله بن كثير[(١)] قال: القربة، وعن ابن زيد قال: المحبة تحببوا إلى الله[(٢)].

وجاء في الدر المنثور قوله: «وأخرج الطستي وابن الأنباري في «الوقف والابتداء» عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال: الوسيلة الحاجة قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة العبسي وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة   إن يأخذوك تكحلي وتخضبي[(٣)]

أخرج الحاكم وصححه عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ في قوله: ﴿ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال: القربة[(٤)].

وبهذا يتضح أن الوسيلة في الآية معناها القربة والطاعة، وقد نقل ابن كثير اتفاق المفسرين على هذا المعنى[(٥)].

ـ أما معنى الوسيلة في الآية الثانية فمثل معنى الأولى، فقد روى ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: الوسيلة القربة، وعن قتادة قال: القربة والزلفى[(٦)].

---

(١) عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زاذان بن فيروزان بن هرمز مقرئ مكة وأحد القراء السبعة: قال ابن عيينة لم يكن يسكن إقراء من حميد بن قيس وعبدالله بن كثير. ينظر: السير للذهبي (٥/ ٣١٨).

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٢٢٦).

(٣) الدر المنثور لعبدالرحمن بن الكمال السيوطي (٣/ ٧١) دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

(٤) المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٤١).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٣).

(٦) تفسير الطبري (١٥/ ١٠٦).

ـ أما معنى الوسيلة في حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ فقد فسرتها أحاديث أخرى بأنها أعلى درجة في الجنة، كما في المسند عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا صليتم عليَّ فسلوا لي الوسيلة**» قيل: يارسول الله، وما الوسيلة؟ قال: «**أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلاَّ رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو**»(١).

وعند تأمل معنى التوسل في الآيتين والحديث نجده متقاربًا، لأن القربة والطاعة توصل بإذن الله إلى القرب منه سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة في الجنة.

أقسام التوسل:

لا شك أن كلمة التوسل أصبح يدخل ضمنها أنواع كثيرة جدًا نراها ونسمع بها. وعند النظر في النصوص الشرعية والآثار الثابتة عن السلف الصالح، يظهر لنا أن التوسل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: التوسل المشروع، وهو التوسل الذي أذن فيه الشارع. ووضحه لنا الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين. وقد دلَّت النصوص على أنواعه وهي:

١ـ التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى: ودليل هذا النوع قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٢). وهذه الآية صريحة في مشروعية التوسل إلى الله تعالى بأسماءه الحسنى، وفي الحديث: «**اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا**

(١) (٢/٢٦٥) برقم (٧٥٨٨). ورواه الترمذي وضعفه (٥/٥٨٦) برقم (٣٦١٢) ولكن الحديث له شاهد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن مسلم (٤/٣٠٨) برقم (٨٤٧) ولهذا صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٣/١٨٩) برقم (٢٨٥٧).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

لي»[1] والشاهد من الحديث هو التوسل إلى الله بصفة من صفاته وهي: العلم والقدرة.

٢ـ التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح قام به الداعي. وأدلة مشروعية هذا النوع كثيرة قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝﴾[2]، وأما الدليل من السنة فقصة أصحاب الغار[3].

٣ـ التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين: ودليل مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝﴾[4]. ومن السنة حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفًا، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» قال أبوهريرة: فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه. فقال: يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «اللهم اجعله منهم»[5].

القسم الثاني: التوسل الممنوع:

وهذا القسم من التوسل هو الذي لا أصل له في الدين، ولم يأذن فيه الشارع ولم يعمل به السلف الصالح، وبما أن التوسل من العبادات التوقيفية

(١) سنن النسائي (٣/ ٥٥) برقم (١٣٠٦)، والمستدرك للحاكم (١/ ٧٠٥) برقم (١٩٢٣) وصححه الألباني في الجامع (١/ ٢٧٩) برقم (١٣٠١).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرًا فترك أجره (٣/ ٦٩) برقم (٢٢٧٢)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار (٢/ ٧٩٣) رقم (٢١٥٢).

(٤) سورة يوسف، الآيتان: ٩٧ـ٩٨.

(٥) رواه البخاري في الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب (٧/ ٢٥٣) برقم (٦٥٤١).

فلا يجوز التقرب إلى الله بشيء منه إلاَّ بما ثبتت مشروعيته، وهذا القسم نوعان:

١ـ التوسل البدعي: وهو التوسل الذي لا دليل عليه من الكتاب والسنة ولا عمل سلف الأمة، وهذا النوع من التوسلات لا يمكن حصرها ولكن اذكر منها:

(أ) التوسل إلى الله بجاه أحد من خلق الله. كأن يقول: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك، أو بجاه عبدك فلان أن ترزقني...».

(ب) التوسل إلى الله بالإقسام على الله بالمتوسل به كأن يقول: «اللهم إني أقسم عليك بفلان، أن تقضي لي حاجتي...».

(ج) التوسل إلى الله بذات وشخص المتوسل به. كأن يقول: «اللهم إني أتوسل إليك بعبدك فلان أن ترحمني...»[١].

وهذا النوع من التوسل إذا وقع فيه العبد فقد ارتكب محرمًا لأنه من المحدثات في الدين.

٢ـ التوسل الشركي: وهذا النوع كتوسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم، واستغاثة الأموات ودعائهم وطلب ما لا يقدر عليه إلاَّ الله تعالى منهم.

وهذا النوع وإن كان في الحقيقة أنه شرك محض ولكن يسمى «توسلاً شركيًا» باعتبار زعم من يفعله أنه توسل به إلى الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ

(١) ينظر: التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، ص(١٤) لمحمد نسيب الرفاعي، المكتبة المكية، الطبعة الثانية، حلب.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾[١].

وقد كان لبعض علماء المدينة النبوية جهودًا في تصحيح هذه المسألة ومنهم الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ فقد ذكر نوعًا من أنواع التوسل المشروع وكذا التوسل الممنوع فقال: «وإنما التوسل إلى الله تعالى بفعل الطاعات سرًا وجهرًا، وكذلك ترك المحرمات والمنهيات فإنها الوسيلة إليه تعالى ليطلب المسلم ما هو بحاجة إليه من أمور الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾[٢] قال العلماء: الوسيلة فعل الطاعات وجميع القرب التي يتقرب بها المؤمن، أما دعاء الأموات والتوسل بهم فلا يجوز جملة وتفصيلاً، لأنهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا. فضلاً عن غيرهم»[٣].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث ذكر نوعًا من أنواع التوسل المشروع وهو الإيمان بالله تعالى فقال في التوسل: «إنما يكون ذلك بالإيمان بالله وعدم الالتجاء إلى غيره فيما لا يقدر عليه غير المليك المقتدر كرد البصر وإعطاء الولد وإنزال المطر»[٤].

كما أشار ـ رحمه الله ـ إلى نوع من أنواع التوسل المشروع وهو التوسل بدعاء العبد الصالح الحي الذي ترجى إجابة دعائه عند الله تبارك وتعالى فقال: «وإلى هذا النوع من التوسل بالنبي ﷺ في حياته أشار عمر في

(١) سورة الزمر: الآية: ٣.
(٢) سورة المائدة: الآية: ٣٥.
(٣) آفاق الهداية (٧/ ٦٢-٦٣).
(٤) مجموع رسائل الجامي ص(١٠٠).

عام الرمادة بقوله: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك[(١)] . وقد عرفنا كيف كانوا يتوسلون به عليه السلام يطلبون منه الدعاء يطلبون منه أن يدعو الله لهم يغيثهم يطلبون منه فيدعو الله لهم ليرد بصر من فقد بصره، والله على كل شيء قدير»[(٢)] .

وممن وضح التوسل بأنواعه الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث بين أن التوسل منه ما هو توسل شركي، وتوسل بدعي، وتوسل مشروع مأذون به، كالتوسل بأسماء الله وصفاته وغير ذلك فقال ـ رحمه الله ـ: «هذا وقد أغنانا الله عز وجل عما حرّم من التوسلات الشركية والبدعية بما شرع لنا من التوسل المشروع، وهو التوسل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[(٣)] .

وكذلك شرع لنا التوسل إليه بالأعمال الصالحة من دعائه وطاعته واتباع رسوله ﷺ، وحبه والإيمان به، كما في حديث أصحاب الغار الذين توسلوا إليه لما وقعوا في الشدة بأعمالهم الصالحة ففرّج عليهم. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾[(٤)] وقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان أن الوسيلة إليه تعالى في هذه الآية هي: طاعة الله تعالى بما شرع

(١) رواه أبوداود في أبواب قيام الليل، باب الاستغفار (٢/ ٨٨) برقم (١٥٣١) والنسائي في السنن الكبرى كتاب الجمعة باب الأمر بإكثار الصلاة والسلام على النبي ﷺ يوم الجمعة، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب فضل الجمعة (١/ ٣٤٥) برقم (١٠٨٥)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨) برقم (١٦٢٠٧). وصححه الألباني في الجامع (١/ ٤٤٠) برقم (٢٢١٢).

(٢) مجموع رسائل الجامي ص(٩٦).

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

والانتهاء عما نهى عنه ومنع. وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١]. فهذا هو التوسل المشروع، وما ذكره ـ رحمه الله ـ من أنوع التوسل المشروع دلالاته قائمة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ ومنهج جميع صحبه ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ وبعد ذكره لأنواع التوسل ذكر أقسام التوسل غير المشروع فقال ـ رحمه الله ـ: «وأما التوسل غير المشروع فهو قسمان:

١ـ **توسل شركي**: كدعاء غير الله. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[٢] وقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

وكذلك الاستغاثة والاستعاذة بغير الله، وتعليق التمائم، والحلقات، والطيرة، هذه كلها من الشرك، لا يجوز لمؤمن بالله أن يصرف الاستغاثة، والذبح، والاستعاذة لغير الله، فمن صرف شيئًا منها لغير الله فقد أشرك، كما جاءت به النصوص.

٢ـ **التوسل البدعي**: كأن يقول: توسلت بجاه فلان، أو بحرمته، أو بحقه عليك، أو بفضله، أو بعلمه، فإن هذه الألفاظ بدعية، لم ينقل عن النبي ﷺ في واحد منها شيء صحيح ولا حسن، بل كل ما نقل في هذا الباب موضوع، أو ضعيف جدًا، لا يصلح للاحتجاج به، أو صحيح خارج عن الموضوع»[٤].

وما سبق ذكره هو تقرير بعض علماء المدينة النبوية للوسيلة الشرعية،

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٧.

(٣) سورة النمل، الآية: ٦٢.

(٤) رسائل في العقيدة: ص(٢٥١ـ٢٥٢).

وبيان غيرها من التوسلات الشركية والبدعية . ومن أجل تتميم الفائدة وبيان جهود بعض علماء المدينة النبوية في هذا الباب أذكر بإذن الله في المبحث التالي الشبهات التي تثار حول التوسل وتوجيه بعض علماء المدينة النبوية لها والله الموفق .

المبحث الثامن
شبهات حول التوسل والجواب عنها

إن من الأسباب التي أدّت إلى انتشار التوسل غير الشرعي هو الاستدلال ببعض الأحاديث والآثار التي لم يدركوا معناها الصحيح الذي نقل لنا عن أئمة السلف الصالح، أو التي لم يدركوا درجتها. وهنا أورد بعض تلك الأحاديث والآثار، ثم أورد كلام علماء المدينة النبوية حول توجيه هذه الأحاديث والآثار وبيان معانيها الصحيحة.

أولاً: حديث الأعمى:

عن عثمان بن حنيف ـ رضي الله عنه ـ «أن رجلاً ضريرًا أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. فقال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير لك. قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى، اللهم شفّعه فيّ، فعاد وقد أبصر»[1].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/١٣٨)، والترمذي في أبواب الدعوات برقم (٣٨٣١)، وابن خزيمة (٢/٢٢٥) برقم (١٢١٩)، ورواه الحاكم (١/٤٥٨)، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. قال الألباني: (صحيح الإسناد. وقد أعله بعضهم كصاحب (صيانة الإنسان) وصاحب (تطهير الجنان ص٣٧) وغيرهما بأن في إسناده أبا جعفر قال الترمذي: (لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وليس الخطمي) فقالوا: هو إذن الرازي وهو صدوق ولكنه سيء الحفظ قلت ـ أي الألباني ـ ولكن هذا مدفوع بأن الصواب أنه الخطمي نفسه، وهكذا نسبه أحمد في رواية له (٤/١٣٨) وسماه في أخرى: (أبا جعفر المدني) وكذلك سماه الحاكم، والخطمي هذا لا الرازي هو المدني وقد ورد هكذا في المعجم الصغير للطبراني وفي طبعة بولاق من سنن الترمذي أيضًا. ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة ويروي عنه شعبة كما في إسناده هنا وهو صدوق وعلى =

وهذا الحديث مما استدل به القوم على جواز التوسل بالجاه والذات، وأن النبي ﷺ من أشرف الوسائل التي يتوسل بها إلى الله تعالى، وإذا جاز التوسل بالنبي ﷺ جاز التوسل بغيره من الأنبياء والصالحين قياسا عليه ﷺ.

ومعنى هذا الحديث واضح بيّن، فليس فيه حجة على جواز التوسل بالجاه والذات، بل لم يرد فيه هذان اللفظان، وإنما ورد لفظ الدعاء. فتوسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ، ولذلك قال: «ادع الله أن يعافيني» فهو توسل إلى الله بدعائه ﷺ، ولذلك وعده النبي ﷺ بالدعاء، وخيّره إلى ما هو أفضل فقال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك» فأصر الأعمى فقال: «فادعه». فدعا له النبي ﷺ وجاء في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللهم فشفعه فيّ» أي اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيّ واقبل دعاءه في أن ترد عليّ بصري. ولذلك ذكر العلماء هذه الحادثة ضمن معجزات النبي ﷺ واستجابة الله لدعائه. قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وهذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺ ودعائه المستجاب وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات؛ فإنه ﷺ ببركة دعائه لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره»[(١)].

وقد تعرض علماء المدينة النبوية للجواب عن الاستدلال بهذا الحديث من ناحيتين:

الناحية الأولى: من حيث الإسناد:

= هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه) التوسل أنواعه وأحكامه ص٦٩، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة. ومما يؤيد ذلك أيضًا أنه قد وقع التصريح باسمه ـ أي الخطمي ـ في رواية البخاري في تاريخه (٦/ ٢٠٩) واسمه عمير بن يزيد واسم أبي جعفر الرازي عيسى بن ماهان. وبذلك يتبين صحة الحديث. والله أعلم.

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٦٦).

قال الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ: «أما الإسناد، فهو أول ما يجب أن يكون الكلام فيه، فإن الاعتقاد وأمره أغلى ما عند المؤمن، فلا يجوز والحالة هذه أن يترك عرضة للأخطاء... وإسناد هذا الحديث في جميع طرقه عند جميع رواته قد انفرد به راوٍ واحد: هذا الراوي هو أبوجعفر الذي رواه عن شعبة عند ابن ماجه والترمذي وأحمد، والذي رواه عند هؤلاء الثلاثة عن عمارة بن خزيمة بن ثابت» ثم ذكر الخلاف في أبي جعفر الخطمي هل هو أبوجعفر الخطمي عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري المدني ثم البصري، أو أبوجعفر عيسى بن ماهان الرازي التميمي. فخلص إلى ما يلي: «وإذا وصلنا إلى ذلك الدور من التحقيق وجدنا أمامنا أمرين لا مندوحة لنا من اختيار أحدهما: الأول: أن نذهب قولاً واحدًا إلى أن ذلك الراوي ليس هو الخطمي كما قال الترمذي وكما رجح الحافظ ابن حجر.

الثاني: أن نلتزم التوقف، وتجويز كلا الاحتمالين والقولين ريثما يقدر لنا قبس من نور في الدُّجُنَّة[1] نتلمس به ما غم علينا وعلى الباحثين. وعلى الاحتمالين والقولين لا يصح لنا أن نبادر إلى القول بصحة الحديث... ثم انتهى به البحث إلى القول بعدم صحة الحديث حيث قال: «بعد هذا البيان الشافي الوافي للمنصف ظهر لنا أن حديث الأعمى ليس من الصحاح ولا الحسان، وأنه لا يجوز لمن لا يرضى لنفسه وعقيدته إلاَّ الصحة واليقين أن يعمل به أو إلزام الناس به، أو اتخاذه قاعدة من قواعد الإسلام أو عقيدة من عقائده، فإن أبا جعفر المتفرد بروايته رجل مجهول لا تعرف حاله، ولا يدرى مكانه من الصحة والضعف على وجه اليقين فيجب رد أخباره»[2].

(١) الدجنة: الظلمة. القاموس المحيط (٢/ ١٥٧٠) مادة «دجن».

(٢) القول السديد ص(٧٤ـ٩٠).

وممن تكلم على إسناد هذا الحديث وذهب إلى تضعيفه الشيخ علي بن سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال : «وقد ضعفه بعض المحدثين ، وذلك لأن في سنده أباجعفر . ثم ذكر كلام المحدثين في أبي جعفر الرازي فقال : «والأكثرون على ضعفه» حتى قال : «هذا الكلام عن أبي جعفر الرازي . وأما إذا كان أبوجعفر المدني فهو مجهول وإذا كان رجلاً آخر فلابد من تعيينه»[١] .

الناحية الثانية : من حيث المتن :

فعلى القول بصحة الحديث ، فإنه يدل دلالة واضحة أن توسل الضرير لم يكن بذاته ﷺ أو بجاهه ، بل هو دليل على نوع من أنواع التوسل المشروع ، وهو التوسل بالدعاء . قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ : «وحديث الأعمى الذي رواه الترمذي والنسائي هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه ـ أي النبي ﷺ ـ فإن الأعمى قد طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره ، فقال له : «إن شئت صبرت وإن شئت دعوت» فقال : بل ادعه . فهذا توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته ، وقد دعا له النبي ﷺ»[٢] .

وقد تعرض علماء المدينة النبوية لبيان دلالة الحديث على التوسل المشروع حيث قال الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ «فإتيان هذا الأعمى إلى النبي ﷺ قبل أن يطلب منه الدعاء دليل على أنه لا يصح سؤال النبي ﷺ ذلك ولا دعاؤه ، ولا الطلب منه في غيبته . . .» ثم أخذ يرد على القبوريين الذين يتوسلون بالأموات ويسألون الغائبين فقال :

١ـ طلب الدعاء منه ﷺ وقوله : «ادع الله أن يرد بصري» دليل على أنه لا يصح سؤال النبي ﷺ ذلك ولا سؤال غيره مثله .

---

(١) حاشية تطهير الاعتقاد ص(٥٦) .

(٢) قاعدة في التوسل والوسيلة ص(١٨٥) .

٢ـ إذا كان دعاء الرسول والصالحين جائزًا في حضرتهم ومغيبهم وفي حياتهم وبعد مماتهم كما تفعلون، فلماذا لم يدع ذلك الأعمى في غيبة النبي ﷺ، بل رأى أنه لابد من إتيانه، وطلب ذلك حضورًا.

٣ـ إذا كان سؤال الله بحق النبي ﷺ وبجاهه من الإسلام فلماذا لم يسأل.

ثم أخذ في بيان أوجه الرد عليهم من ألفاظ الحديث فقال: «أما قوله: «وأتوجه إليك بنبيك» و«توجهت بك إلى ربي» فالتوجه وما يراد به التوجه بدعاء الرسول ﷺ لا بذاته ولا بشخصه، لأن أصل المسألة كان في الدعاء، وفي طلبه من النبي ﷺ، ولم يكن أصلها في سؤال الله بجاهه أو بذاته حتى يصح ما زعم المخالف.

وقوله في خاتمة الحديث: «اللهم شفعه في» فالأمر إذًا أمر شفاعة، ومن الدليل عليه قوله أيضًا: «وإن شئت دعوت» وقد شاء بلا خلاف ولا شك، فقد دعا إذًا بلا خلاف ولا شك، لأنه قد علق الدعاء بالمشيئة، والمشيئة قد وقعت فالدعاء كذلك وقع، وهو مثل حديث الاستسقاء بالعباس»[١].

وممن تعرض لبيان الدلالة الصحيحة من هذا الحديث الشيخ علي بن سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وحجة المخالفين للحق هو حديث الأعمى مع أنه ما استغاث بالنبي ﷺ وإنما طلب منه الدعاء فخيّره عليه الصلاة والسلام بالصبر وله الجنة، أو الدعاء، فدعا له فرفع الله ضره ورد له بصره. وهذا الفعل جائز لأنه جاء إليه وهو حي أمامه وهكذا كل رجل صالح تعرفه وتطلب منه الدعاء فلا خلاف في ذلك عند العلماء»[٢].

---

(١) القول السديد ص(٩١ـ١٠١).

(٢) حاشية تطهير الاعتقاد ص(٥٦).

وممن تعرض لبيان هذه المسألة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وربما أمر النبي ﷺ من طلب منه الدعاء أن يتضرع إلى الله ليجيب الله دعوة نبيه له عليه الصلاة والسلام إذا توجه به إلى ربه وطلب منه الشفاعة كما يظهر ذلك جليًا في قصة الأعمى وعلى كل فالمدعو هو الله، والمرجو هو الله الذي يغيث العباد وينزل الغيث هو وحده والله الذي يجيب دعوة المضطر، ويرد البصر على من فقد بصره، هو الله وحده لا شريك له، ولكن النبي ﷺ يدعو ويشفع وكذلك ورثته من العلماء والصالحين» وقال ـ رحمه الله ـ: «وقد عرفنا كيف كانوا ـ يعني الصحابة ـ يتوسلون به عليه السلام يطلبون منه الدعاء يطلبون أن يدعو الله لهم ليغيثهم يطلبون منه فيدعو الله لهم ليرد الله بصر من فقد بصره والله على كل شيء قدير وحده»[١].

وممن أبان المفهوم الصحيح لهذا الحديث الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وحديث الأعمى حجة لعُمَر، ولعامة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمى أن يتوسل إلى الله بشفاعة النبي ﷺ ودعائه لا بذاته، وقال له في الدعاء: «اللهم شفعه في»[٢].

وقال ـ رحمه الله ـ في هذا الحديث بأنه: «لا يدل على التوسل بذاته الشريفة ﷺ، بل إنما يدل على التوسل بدعائه ﷺ للأعمى، لقوله ﷺ للأعمى: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت» ولقول الأعمى في آخر دعائه: «اللهم فشفعه في»[٣].

---

(١) مجموع رسائل الجامي ص(٩٦).
(٢) تحفة القاري ص(١٩٣).
(٣) المصدر نفسه ص(٢٤٥).

ثانيا: قصة توسل عمر بالعباس ـ رضي الله عنهم ـ:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: إن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» قال: فيسقون»[١].

ولقد احتج القوم بهذه القصة على جواز التوسل بذوات الصالحين، وأن الصحابة توسلوا بالعباس ـ رضي الله عنهم ـ لذاته وذلك لقربه من النبي ﷺ.

وهذا الاحتجاج باطل لا تقوم به حجة، والمعنى الصحيح لقول عمر ـ رضي الله عنه ـ والذي دلّ عليه المنقول والمعقول أي إنا كنا نقصد ونطلب من نبيك ﷺ أن يدعو لنا، والآن وقد انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى فلا يمكن أن يدعو لنا فإننا نقصد ونطلب من عم نبيك أن يدعو لنا.

فكان عدول عمر ـ رضي الله عنه ـ عن التوسل بالنبي ﷺ إلى التوسل بالعباس؛ لأن التوسل بالنبي ﷺ غير ممكن بعد وفاته، هذا من ناحية، ولقرب العباس ـ رضي الله عنه ـ من النبي ﷺ من ناحية، ولصلاحه ودينه.

ومما يدل على ما ذكر ما نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «قد بيّن الزبير بن بكار في «الأنساب» صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: «اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب

---

(١) رواه البخاري في الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (٢/ ٢٠) برقم (١٠١٠).

وتواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث» قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس»(١).

وبذلك يتبين خطأ من زعم أن توسل عمر بالعباس كان بذات العباس لا بدعائه. ومما يؤكد هذا المعنى أيضًا رواية الإسماعيلي في مستخرجه على الصحيح لهذا الحديث بلفظ: «كانوا إذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به، فيستسقي لهم فيسقون، فلما كان في إمارة عمر...» الحديث(٢). فقوله: «فيستسقي لهم» صريح في أنه ﷺ كان يطلب لهم السقيا من الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «أما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه، أو بعد موته ﷺ مثل: الإقسام بذاته، أو بغيره من الأنبياء، أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم، فليس هذا مشهورًا عند الصحابة والتابعين، بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان، لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي ﷺ لا عند قبره ولا غير قبره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد، بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال عمر: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» فجعلوا هذا بدلاً عن ذاك لمّا تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه، وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بالمخلوق على الله عز وجل، أو السؤال به، فيقولون: نسألك أو نقسم بنبيك، أو بجاه

(١) فتح الباري (٢/ ٥٧٧) وقد عزاه الحافظ إلى كتاب الأنساب للزبير بن بكار.
(٢) فتح الباري (٢/ ٣٩٩).

نبيك، ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس»[1].

وهذا التوجيه الصحيح قرره علماء المدينة النبوية ومنهم الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وقد فتح الشيطان للقبوريين في هذا الحديث فإذا أوردته لرد شبهتهم قالوا إنما فعل عمر ذلك ليبين جواز الاستشفاع بغير النبي ﷺ ويكفي لرد هذا الإفك ظهور بطلانه لمن عنده أدنى مسكة من علم وعقل؛ إلى أن قال رحمه الله: «يعني أن ما سماه عمر توسلاً بالعباس هو تقديمه على نفسه في الاستسقاء إلى دعاء الله تعالى أن يسقيهم الغيث (المطر) وصرح بأن سبب ذلك أن النبي ﷺ هو الذي كان يستسقي لهم بصلاته ودعائه وأن هذا قد امتنع بموته ﷺ فقدم عمه الذي هو أقرب الناس إليه وأشبههم به وادعى إلى خشوع المؤمنين رجاء أن يستجيب الله له فهذا هو الذي يصح أن يقتدي بعمر فيه[2] لا دعاء الموتى وطلب قضاء الحاجات منهم وهو عين الشرك بالله تعالى»[3].

وممن تعرض لتوجيه هذا الأثر الشيخ علي بن سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وهذا خاص بحياته ﷺ أما بعد مماته فلا يجوز وقد فهم الصحابة رضي الله عنهم فكانوا لا يتوسلون به ﷺ ولا يدعونه ولا يستغيثون به بعد مماته بل كانوا يلجؤون إلى الله تعالى حيث إنهم علموا وفهموا أنه لا يُلْجأ إلاَّ إلى الله تعالى لا إلى غيره وقصة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما تأخر المطر فنادى العباس ـ رضي الله عنه ـ فقال في كلامه: اللهم إنا كنا نستسقي بنبيك فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينك فاسقنا، وتقدم العباس فدعا ربه فسقاهم الله. وهذا دليل ظاهر الدلالة وأفصح وأوضح بيان ولكن

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص(٢٥١ ـ ٢٥٢).

(٢) الصحيح أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قدوة وقد أمر النبي ﷺ الاقتداء بالخلفاء الراشدين، والاقتداء به حتى في هذه المسألة لأنه ليس فيها ما فهموه من التوسل الذي يدعون إليه.

(٣) إرشاد الحائرين ص(٣١).

القلوب المريضة لا تقبل لأن الشيطان لقنهم الباطل ودحض الحق ليضلهم ويبعدهم إلى النار، فالصحابة فهموا وأجمعوا على هذا الذي فعله عمر والعباس ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ. اللهم ألحقنا بهم في جنات النعيم»[١].

وممن أبان التوجيه الصحيح لهذا الأثر الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث ذكر أن الذين يحتجون بهذا الأثر على جواز التوسل بجاه الأشخاص وحرمتهم وحقهم يجهلون لغة الصحابة في معنى التوسل أصلاً، ثم بين ـ رحمه الله ـ المعنى الصحيح للتوسل الذي نطق به عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: «التوسل الذي عناه عمر ـ رضي الله عنه ـ هو الذي وضحه حديث أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، والحديث في الصحيحين ولفظه هكذا: أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله قائم يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا ثم قال: يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله يده ثم قال: «اللهم أغثنا اللهم أغثنا» ثلاثًا. قال أنس: «والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت» قال أنس: «والله ما رأينا الشمس سبتًا أي أسبوعًا» قال أنس: «ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله قائم فقال يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا» قال أنس: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر فانقلعت وخرجنا نمشي في الشمس»[٢].

---

(١) حاشية تطهير الاعتقاد ص(٥٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع (٢/ ٢١) برقم (١٠١٣).

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ مثالاً آخر وهو حديث الأعمى الذي سبق ذكره في الشبهة الأولى، ثم قال: «ففي كلتا الواقعتين آية من آيات النبوة لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام كما لا يخفى، وإلى هذا النوع من التوسل بالنبي ﷺ في حياته أشار عمر في عام الرمادة بقوله: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك" وقد عرفنا كيف كانوا يتوسلون به ﷺ يطلبون منه أن يدعو الله لهم ليغيثهم، يطلبون منه فيدعو الله لهم ليرد الله بصر من فقد بصره والله على كل شيء قدير»[١].

ثم دلل ـ رحمه الله ـ على ما قرره فقال: «ومما يزيد المقام وضوحًا ويقطع دابر تلك الأوهام التي لا تزال عالقة بأذهان بعض العوام وأشباه العوام من أن الرسول ﷺ يدعو للناس بعد موته ويُتوسَّل به بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى. مما يقطع دابر هذه الأوهام: حديث رواه البخاري في صحيحه كتاب المرض عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت ذات مرة وهي مريضة: «وارأساه، فقال رسول الله ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك» أي: إن مُتِّ وأنا حي سأستغفر لك»[٢]. ذلكم هو لفظ الحديث وهذا معناه واضح جلي وبه فسر الحافظ ابن حجر ثم ساق رواية أخرى توضح معنى الحديث أكثر فأكثر وملخصها هكذا: «أما يرضيكِ لو مُتِّ قبلي حتى أكفنك وأصلي عليك وأدفنك وأدعو لك» ومفهوم الحديث: «أما لو مُتُّ أنا قبلك فليس في إمكاني أن أفعل كل ذلك». وهذا معنى لا يختلف فيه اثنان من طلاب الحق، اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

ثم إن عدول الصحابة عن التوسل به بعد وفاته يدل أيضًا على أن

(١) مجموع رسائل الجامي ص(٩٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف (٨/١٥٩).

التوسل به لم يكن بالذات، إذ لو كان كذلك لما عدلوا عنه لأن جسده الشريف لم يزل ولن يزل محفوظًا في قبره إلى يوم البعث؛ لأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ عند الترمذي وغيره[(١)](٢).

وممن تعرض لهذه القصة وبين التوجيه الصحيح لها الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ ففي معرض رده على عبدالله بن محمد الغماري الحسني صاحب كتاب «إتحاف الأذكياء في التوسل بالأنبياء وغيرهم من الصالحين والأولياء»[(٣)] قال في التوسل بالنبي ﷺ بعد موته ما نصه: «فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعًا بعد مماته، كما كان يشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به. بل قال عمر في دعائه الصحيح المشهور الثابت، باتفاق أهل العلم، بمحضر من المهاجرين والأنصار عام الرمادة المشهور، لما اشتد به الجدب، حتى حلف عمر لا يأكل معهم حتى يخصب الناس، لما استسقى بالناس، قال: «اللهم إنَّا كنَّا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقنا، وإنَّا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فيسقون» وهذا دعاء أقره عليه جميع الصحابة، ولم ينكره أحد من شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية، ودعا بمثله معاوية بن أبي سفيان في خلافته لما استسقى بالناس»[(٤)]. فلو كان توسلهم بالنبي ﷺ بعد مماته كتوسلهم به في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٨) برقم (١٦٢٠)، وأبوداود (٢/ ٨٨) برقم (١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١) برقم (١٣٧٤) وابن ماجه (٤(١/ ٣٤٥) برقم (١٠٨٥) وصححه الألباني في الجامع (١/ ٤٤٠) برقم (٢٢١٢) ولم أجده عند الترمذي.

(٢) مجموع رسائل الجامي ص(٩٩ ـ ١٠٠).

(٣) طبع بمصر بالمطبعة الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٥٣هـ.

(٤) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٤) تاريخ أبي زرعة الدمشقي رقم (١٧٠٢، ١٧٠٣).

العباس، ويزيد بن الأسود ونحوهما، ونعدل عن التوسل بالنبي ﷺ الذي هو أفضل الخلائق، وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله؟!!

فلمَّا لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره. وشفاعة غيره، علم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته»[1].

وهذا التقرير من علماء المدينة النبوية هو ما قرره علماء أهل السنة والجماعة من قبل ـ رحمهم الله ـ.

(١) تحفة القاري في الرد على الغماري ص(٢٤٤ ـ ٢٤٥).

ثالثًا: حديث فاطمة بنت أسد:

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «لما ماتت فاطمة بنت أسد، أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعيني، وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة.

ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه، فألبسها إياه، وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وغلامًا أسود، يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين. وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبوبكر رضي الله عنهم»[1].

احتج بهذا الحديث الغماري الحسني وغيره على مذهبهم الباطل في مشروعية التوسل بذوات المخلوقين وحقهم وجاههم، وهذه دعوة باطلة،

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/٣٥١) برقم (٨٧١)، وفي الأوسط برقم (١٨٩)، وأبونعيم في الحلية (٣/١٢١)، قال الألباني: (ومن طريق الطبراني رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وإسنادهما ضعيف لأن روح بن صلاح الذي في إسناده قد تفرد به كما قال أبو نعيم نفسه وروح ضعفه ابن عدي. وقال ابن يونس: رويت عنه مناكير. وقال الدارقطني: ضعيف في الحديث. وقال ابن ماكولا: ضعفوه. وقال ابن عدي بعد أن أخرج له حديثين: له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة. فقد اتفقوا على تضعيفه فكان حديث منكرًا لتفرده به. وقد ذهب بعضهم إلى تقوية هذا الحديث لتوثيق ابن حبان والحاكم لروح هذا ولكن ذلك لا ينفعهم لما عرفا به من التساهل في التوثيق) التوسل أنواعه وأحكامه ص١٠٢.

فإن هذا الحديث قد ضعفه أهل الحديث، وذكروا أنه لا يصح ولا يصلح الاحتجاج به. ولعل الشيخ حماد الأنصاري من علماء المدينة النبوية من أشهر من وضح أحوال سند الحديث والذي فيه روح بن صلاح فقد ضعفه أئمة الجرح والتعديل باتفاق، وقد أجاب على توثيق ابن حبان والحاكم بعد ذكره لرأي أئمة الجرح والتعديل فيه فقال ـ رحمه الله ـ: «قال ابن حجر في اللسان: «إن روح بن صلاح ذكره ابن يونس في تاريخ الغرباء، وقال: هو من أهل الموصل قدم مصر وحدث بها رويت عنه مناكير»[1].

وقال الدارقطني: ضعيف في الحديث[2]، وقال ابن ماكولا: ضعفوه، سكن مصر[3]. وقال ابن عدي ـ بعد أن أخرج له حديثين ـ: وله أحاديث كثيرة في بعضها نُكْرة[4]»[5]. وقال الذهبي في الديوان: «روح بن صلاح عن ابن لهيعة، قال ابن عدي: «ضعيف[6]»[7]. وقال السهسواني في الصيانة[8]: «روح ضعيف، ضعفه ابن عدي، وهو داخل في القسم المعتدل من أقسام من تكلم في الرجال، كما في فتح المغيث»[9] ولا اعتداد بذكر ابن حبان له في الثقات[10]. فإن قاعدته معروفة من الاحتجاج بمن لا يعرف كما

(١) لسان الميزان (٢/ ٤٦٥).

(٢) المؤتلف والمختلف (٣/ ١٣٧٧).

(٣) الإكمال (٥/ ١٥).

(٤) الكامل (٣/ ١٠٠٦).

(٥) لسان الميزان (٢/ ٤٦٥).

(٦) الكامل (٣/ ١٠٠٥).

(٧) ديوان الضعفاء والمتروكين (١/ ٢٩٤).

(٨) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ زيني دحلان ص: (١٢٣ـ١٢٤)، مطبوع في مطابع نجد التجارية بالرياض سنة ١٣٩٥هـ.

(٩) فتح المغيث للسخاوي (٤/ ٣٦٤).

(١٠) الثقات (٨/ ٢٤٤).

في الميزان[١].

وكذلك لا اعتداد بتوثيق الحاكم وتصحيحه، فإنه داخل في القسم المتسامح.

قال السخاوي: وقسم متسمح كالترمذي والحاكم[٢].

وقال السيوطي في التدريب: وهو متساهل. فما صححه ولم نجد فيه لغيره من المعتمدين تصحيحًا ولا تضعيفًا حكمنا بأنه حسن، إلاَّ أن تظهر فيه علة توجب ضعفه[٣].

ـ إلى أن قال رحمه الله ـ: فقول الحاكم وابن حبان عند التعارض لا يقام له وزن، حتى ولو كان الجرح مبهمًا لم يذكر له سبب، فكيف مع بيانه كما هو الحال في ابن صلاح هذا.

فأنت ترى أئمة الجرح قد اتفقت عباراتهم على تضعيفه، وبينوا أن السبب روايته المناكير، فمثله إذا انفرد بالحديث يكون منكرًا لا يحتج به، فلا يُغْتَرّ بعد هذا بتوثيق من سبق ذكره إلاَّ جاهل أو مغرض.

فحديث أنس هذا الذي تبين أنه ضعيف، أوهم الغماري أنه صحيح بتمسكه بتوثيق ابن حبان والحاكم لروح بن صلاح، وقد بينا ضعفه وعدم اعتداد العلماء بتوثيق المذكورين فتذكر!

ولم يكتف ـ يعني الغماري ـ بهذا التلبيس، بل قال عقبه: ولهذا الحديث طرق منها:

عن ابن عباس عند أبي نعيم في المعرفة والديلمي في الفردوس بإسناد حسن، كما قاله الحافظ السيوطي.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ١٧٥).

(٢) فتح المغيث (٤/ ٣٦٤).

(٣) تدريب الراوي (١/ ١١٣).

فهذا كذب منه على ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وربما على السيوطي أيضًا، فليس في حديث ابن عباس موضع الشاهد من حديث أنس، وهو قوله: «بحق نبيك والأنبياء الذين قبلي، فإنك أرحم الراحمين»[1].

وبعد هذا البيان يظهر جليًا بطلان ما استدل به القوم على مذهبهم الباطل، فجزى الله علماء أهل السنة والجماعة خير الجزاء على هذا البيان والتوضيح.

(١) تحفة القاري ص(١٨٦ـ١٨٨).

رابعًا: حديث خطيئة ادم عليه السلام:

عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال: ياآدم! وكيف عرفت محمدًا، ولم أخلقه؟ قال: يارب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم! إنه لأحب الخلق إليَّ ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»[1].

وهذا الحديث لا يصح الاحتجاج به فقد تكلم أهل الجرح والتعديل في سنده لأن فيه عبدالله بن مسلم متهم بالوضع[2]، وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه وهو متهم بالوضع أيضًا وليس بشيء عند أئمة الجرح والتعديل قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «خبر باطل»[3] وقال في تلخيص المستدرك: «بل هو موضوع وعبد الرحمن واه»[4].

قال شيخ الإسلام: «رواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه»[5] قال

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٦٧٢) والبيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٤٨٩)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بقوله: بل موضوع وقال في الميزان: عبدالله بن مسلم، أبو الحارث الفهري روى عن إسماعيل بن مسلمة وقعنب بن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خبرًا باطلاً فيه: (يا آدم لولا محمد ما خلقتك) الميزان (٢/ ٥٠٤)، وحكم الألباني على الحديث بأنه موضوع في السلسلة الضعيفة (١/ ٨٨) برقم (٢٥).

(٢) قال ابن حبان فيه: (يروي عن الليث بن سعد وابن لهيعة ومالك ويضع عليهم الحديث) المجروحين (٢/ ٤٤)، دار الوعي، حلب ١٣٩٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق محمود إبراهيم زايد.

(٣) ميزان الاعتدال (٢/ ٥٠٤).

(٤) تلخيص المستدرك (٢/ ٦١٥).

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص(١٦٨).

الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ: «جملة القول أن الحديث لا أصل له عنه ﷺ، فلا جرم أن حكم عليه بالبطلان الحافظان الجليلان الذهبي والعسقلاني»[١].

وقد أجاب الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ على هذا الخبر مبينًا الحق الذي لبّس به الغماري على العامة في هذا الحديث فقد نقل كلام أهل العلم وحكمهم على الحديث المذكور ومما ذكره قوله: «ففي هذا الحديث آفات كثيرة سكت عنها الغماري لأنها لا تتلائم مع غرضه من التلبيس».

فذكر ـ رحمه الله ـ حال عبدالله بن مسلم وأن ابن حبان ذكره من المتهمين بوضع الحديث[٢]، وذكر عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ونقل عن الحاكم الذي روى الحديث قوله: «روى عبدالرحمن عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن العمل فيها عليه»[٣] وقال البخاري وأبوحاتم الرازي: «ضعفه علي بن المديني جدًا»[٤]. وقال ابن خزيمة: «عبدالرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه»[٥].

ـ إلى أن قال رحمه الله ـ: وما ذكرناه في هذا المكان من كلام أئمة هذا الشأن في بيان حال عبدالرحمن وحال الفهري فيه كفاية لمن له أدنى معرفة بهذا الشأن فكيف يسوغ لأحد الاحتجاج بحديث في إسناده مثل هذين الضعيفين المشهورين بالضعف ومخالفة الثقات، اللذين لو كان أحدهما وحده في طريق الحديث لكان محكومًا عليه بالضعف وعدم الصحة. فكيف

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص(١٠٥).

(٢) كتاب المجروحين (٢/ ٤٤).

(٣) المدخل إلى الصحيح ص(١٥٤).

(٤) التاريخ الكبير (٥/ ٢٨٤) والجرح والتعديل (٥/ ٢٣٤).

(٥) تهذيب التهذيب (٦/ ١٧٩).

إذا كانا مجتمعين في الإسناد؟!

وقال ابن عبد الهادي: «وإني لأتعجب من السبكي كيف قلَّد الحاكم فيما صححه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل، وفيه قول الله لآدم: «ولولا محمد ما خلقتك»، مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جدًا وقد حكم عليه الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبدالرحمن بن زيد صحيح، بل هو مفتعل على عبدالرحمن، ولو كان صحيحًا إلى عبدالرحمن لكان ضعيفًا غير محتج به؛ لأن عبدالرحمن لسوء حفظه هو رجل صناعته العبادة والتقشف ليس من أهل الحديث»[1][2].

والحديث في إسناد هذا الحديث وبيان حاله يغني عن الحديث في متنه، فالحديث موضوع لا يحتج به، والله أعلم.

---

(١) الصارم المنكي ص(٣٦).

(٢) تحفة القاري في الرد على الغماري ص(١٩٩ ـ ٢٠٠).

خامسًا: أثر عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ:

عن أبي الجوزاء أوس بن عبدالله قال: «قحط أهل المدينة قحطًا شديدًا؛ فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا إلى قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كوًا إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف قال: ففعلوا، فمطرنا حتى نبت العشب، وسمنت الإبل، حتى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق»[١].

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «وما يروى عن عائشة رضي الله عنها ـ من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر، فليس بصحيح، ولا يثبت إسناده، وإنما نقل ذلك من هو معروف بالكذب ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان بعضه باقيًا كما كان على عهد النبي ﷺ بعضه مسقوف وبعضه مكشوف...»[٢].

وهذا الأثر من الآثار التي أنكرها الشيخ حماد الأنصاري في استدلال الغماري بها، فقال ـ رحمه الله ـ: «فيه أربع آفات:

١ـ أبو النعمان عارم: قد اختلط في آخر عمره[٣].

٢ـ أبو الجوزاء أوس بن عبدالله، قال البخاري: «في إسناده نظر ويختلفون فيه»[٤].

٣ـ عمرو بن مالك النكري: «صدوق له أوهام» قاله في التقريب[٥] قال ابن

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه (١/٤٧) برقم (٩٢)، قال الألباني: (ضعيف لا تقوم به حجة) التوسل أنواعه وأحكامه ص١٢٨.

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة ص(٦٨).

(٣) نص على اختلاطه البخاري وأبوحاتم وابن حبان وغيرهم. ينظر: التاريخ الكبير (١/٢٠٨)، والجرح والتعديل (٨/٥٩)، وكتاب المجروحين (٢/٢٩٤).

(٤) التاريخ الكبير (٢/١٧).

(٥) تقريب التهذيب رقم (٥١٠٢).

حبان: «يعتبر حديثه من غير رواية ابنه يخطىء ويغرب»[١].

٤ـ سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد «صدوق له أوهام»[٢]»[٣].

أما متن هذا الأثر فهو يشير إلى أنه موضوع، فمن الذي يجرأ على نبش قبر النبي ﷺ، ومتى حدث هذا ومن فعل ذلك، وكيف بقي هذا الأمر مكتومًا فلم تذكره كتب التاريخ والسير، وإذا كان كشف قبر النبي ﷺ مجلبة للمطر فإنه عليه الصلاة والسلام كان وهو حي معرضًا جسمه للسماء ككل الناس، ومع هذا أصاب المدينة القحط في زمنه عليه الصلاة والسلام، فهذا كله يدل أن هذا الأثر كذب على عائشة ـ رضي الله عنها ـ[٤]. والله أعلم.

---

(١) الثقات (٧/ ٢٢٨).

(٢) تقريب التهذيب رقم (٢٣١٢).

(٣) تحفة القاري ص(٢١٢ ـ ٢١٣).

(٤) بتصرف. التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، لمحمد نسيب الرفاعي، المكتبة المكية، الطبعة الثانية.

سادساً: قصة مالك مع أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور:

روى القاضي عياض ـ رحمه الله ـ في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» وقال: «ناظر أبوجعفر ـ أمير المؤمنين ـ مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾(١) ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ . . .﴾(٢) وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾(٣).

وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا، فاستكان لها أبوجعفر، وقال: يا أبا عبدالله، استقبل القبلة وأدعو، أم استقبل رسول الله ﷺ، فقال: ولم تصرف وجهك منه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله»(٤).

وقد حكم أهل العلم على هذه القصة بأنها مكذوبة وسندها منقطع.

قال ابن عبدالهادي ـ رحمه الله ـ: «المعروف عن مالك أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، وهذه الحكاية التي ذكرها القاضي عياض، ورواها بإسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه»(٥).

وهذا الأثر من الآثار التي أنكر الشيخ حماد الأنصاري استدلال الغماري بها حيث قال بعد ذكره تعليق الغماري على الأثر ما نصه: «هذا كله كلام الغماري، وهو كلام رجل إمعة كل من يمشي يمشي معه وإلا فهذه

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٤) (٢/ ١٤).

(٥) الصارم المنكي ص(٢٥٩).

الحكاية من نظر في سندها جزم بأنها مفتراة وكذب وهي كما يلي:

رواها القاضي عياض في «الشفا» عن غير واحد بإسناد غريب منقطع مظلم.

- ثم ذكر - رحمه الله - محمد بن حميد راوي هذا الأثر عن مالك وأقوال أهل العلم فيه فقال: قال إسحاق بن منصور: «أشهد على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان»(١) وقال أبوزرعة: «كان يكذب»(٢).

وقال ابن حبان: «ينفرد عن الثقات بالأشياء المقلوبات، ولاسيما إذا حدث عن شيوخ بلده»(٣).

فإذا كانت هذه حال ابن حميد عند أئمة هذا الشأن، فكيف يقول السبكي في حكاية روايتها منقطعة: «إسنادها جيد» مع أن في طريقها إليه من ليس بمعروف. إلى أن قال - رحمه الله -: «فانظر إلى هذه الحكاية وضعفها، وانقطاعها ونكارتها وجهالة بعض رواتها، ونسبة بعضهم إلى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن مالك(٤) وغيره من

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٦٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) كتاب المجروحين (٢/ ٣٣).

(٤) المعروف الثابت عن مالك - رحمه الله - يكذب هذ الخبر فقد جاء في المبسوط - ولعله الذي لحماد بن زيد الجهضمي والذي جمع فيه كلام الإمام مالك من كبار تلاميذه، توفي ٢٨٢هـ ينظر الأعلام (١/ ١١٠) - (عن إسماعيل بن إسحاق عن مالك أنه قال: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو ولكن يسلم ويمضي. وقال في المبسوط أيضًا: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له: فإن ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في اليوم المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال: لم يبلغني عن أحد من أهل الفقه ببلدنا=

العلماء»[١].

هذه جملة ما ذكره علماء المدينة النبوية من الشبهات حول التوسل والإجابة عنها والله أعلم.

= ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح به أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك إلا من جاء من سفر أو أراده) الفتاوى (٢٧/ ١١٧).

(١) تحفة القاري ص(٢١٦ ـ ٢١٧).

المبحث التاسع

الشفاعة

لعل من أبرز المسائل التي تناولها علماء المدينة النبوية بالبيان والإيضاح هي الشفاعة، وقبل البدء في ذكر ما قرروه في هذه المسألة، أقدم بمقدمة تعرفنا بموقف السلف من هذه المسألة.

الشفاعة في اللغة:

جاء في اللسان: «الشفع خلاف الوتر وهو الزوج تقول: كان وترًا فشفعته شفعًا وشفع الوتر من العدد شفعًا صيره زوجًا»(١).

وفي القاموس: «الشفع خلاف الوتر وهو الزوج وقد شفعه كمنعه... إلى أن قال: وعين شافعة تنظر نظرين وشفعت لي الأشباح بالضم أي أرى الشخص شخصين لضعف بصري وانتشاره»(٢).

وجاء في النهاية لابن الأثير: «ومنه الشفعة - بالضم - وهي مشتقة من الزيادة لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به كأنه كان واحدًا وترًا فصار زوجًا شفعًا»(٣).

قال الراغب: «والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة قال تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾(٤) وقال تعالى: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾(٥)، وقال

(١) (٨/ ١٨٣).
(٢) (١/ ٩٤٧).
(٣) (٢/ ٤٨٥).
(٤) سورة مريم، الآية: ٨٧.
(٥) سورة طه، الآية: ١٠٩.

تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾[١] وقال: ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾[٢] أي من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعًا له، أو شفيعًا في فعل الخير والشر فعاونه وقواه وشاركه في نفعه وضره»[٣].

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «الاستشفاع طلب الشفاعة وهي: انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه»[٤].

ومن خلال ما سبق من تعريف الشفاعة في اللغة يظهر لنا أن الشفاعة تدل على الانضمام والازدواج إلى الغير لحصول مقصود سواء كان ذلك المقصود خيرًا أو شرًا.

الشفاعة في الشرع:

أما المعنى الشرعي للشفاعة فهو موافق للمعنى اللغوي. قال ابن الأثير في النهاية: «هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم»[٥].

وأهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة والمؤمنين، كما دلت عليه نصوص الكتاب العظيم والسنة المطهرة الصحيحة.

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «وأن الله يخرج أقوامًا من النار بشفاعة محمد ﷺ»[٦].

وقال أبوحاتم وأبوزرعة ـ رحمهما لله ـ: «أدركنا العلماء في جميع

(١) سورة النساء، الآية: ٨٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٥.
(٣) المفردات في غريب القرآن (١/٢٦٣)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
(٤) فتح الباري (١١/٤٣٣).
(٥) (٢/٤٨٥).
(٦) طبقات الحنابلة (١/٣٤٤).

الأمصار . . فكان مذهبهم . . . الشفاعة حق»[١].

قال ابن خزيمة ـ رحمه الله ـ: «باب ذكر أبواب شفاعة النبي ﷺ التي قد خُص بها دون الأنبياء سواه صلوات الله عليه وسلامه لأمته وشفاعة النبي ﷺ دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم وشفاعة بعض أمته لبعض أمته ممن أوبقتهم خطاياهم وذنوبهم فأدخلوا النار ليخرجوا منها بعدما قد عذبوا فيها بقدر ذنوبهم وخطاياهم التي لا يغفر الله لهم ولم يتجاوز لهم عنها بفضله وجوده، بالله نتعوذ من النار»[٢].

وقال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ: «اعلموا رحمكم الله أن المنكر للشفاعة يزعم أن من دخل النار فليس بخارج منها، وهذا مذهب المعتزلة يكذبون بها وبأشياء سنذكرها إن شاء الله مما لها أصل في كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ وسنن الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان وقول فقهاء المسلمين»[٣].

وقال السفاريني ـ رحمه الله ـ عن الشفاعة: «انعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة»[٤].

ودلالة ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره ظاهرة في نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة الصحيحة.

أولاً: دلالة الكتاب الكريم:

١ـ قال الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ

---

(١) عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة ص(١٩٩) جمع عبدالله بن محمود الحميدان.
(٢) التوحيد ص(٢٤١).
(٣) الشريعة ص(٣٣١).
(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/٢٠٨).

﴿ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[١].

٢ـ وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[٢].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[٣].

وغير ذلك من الآيات التي دلت على ثبوت الشفاعة والتي لا تتحقق إلا بشرطين وهما: إذن الله للشافع أن يشفع ورضى الله عن المشفوع. وبيان دلالة هذين الشرطين قريبًا بإذن الله.

ثانيًا: دلالة السنة المطهرة:

ودلالة السنة على ثبوت الشفاعة كثيرة جدًا ولكن أذكر منها:

١ـ حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»[٤].

٢ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا»[٥].

والشفاعة إثباتها مقيد بشرطين، دلَّ على ذلك الكتاب العزيز وهذان الشرطان هما:

١ـ الإذن من الله للشافع كي يشفع.

---

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.

(٢) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا» (٣/٦٧) برقم (٤٨٢).

(٥) رواه البخاري في كتاب الدعوات، باب ولكل نبي دعوة مستجابة (٧/١٨٧) برقم (٦٣٠٤).

٢ـ الرضى عن المشفوع فيه فالمشرك لا تنفعه الشفاعة.

ودليل هذين الشرطين قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[1].

وما قرره السلف في المسألة فقد قرره بعض علماء المدينة النبوية وبينوه أوضح بيان ومنهم الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ونعتقد أن شفاعة نبينا محمد ﷺ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين حق لكن بعد إذن الله للشافع ورضاه عن المشفوع له. قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[3] وأن نبينا محمدًا ﷺ هو أول شافع وأول مشفع، وأنه قد خص بشفاعات لا يشاركه فيها غيره: أولها الشفاعة في فصل القضاء وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الأنبياء والمرسلون، ومنها الشفاعة في إخراج من أدخل النار[4]»[5].

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ في نظمه «البراهين الواضحات» الشفاعة، وأنها ثابتة إذا تحققت شروطها، كما بين أنها ملك لله تعالى يهبها لمن يشاء من خلقه، فهي تطلب من الله تعالى لا من نبي مرسل ولا ملك مقرب. فقال:

(١) سورة النجم، الآية: ٢٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٤) قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ مستدركًا على الشيخ الطيب ـ رحمه الله ـ في عده الشفاعة في إخراج من أدخل النار من الشفاعة الخاصة فقال: «الصواب أنها من الشفاعة المشتركة كما يعلم ذلك من الأحاديث المستفيضة عن النبي ﷺ وإنما الذي يخصه عليه الصلاة والسلام بعد الشفاعة العظمى الشفاعة في دخول أهل الجنة كما صرح به الحديث عنه ﷺ. وهكذا الشفاعة في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب من خصائصه عليه الصلاة والسلام. والله الموفق.
(٥) عقيدة السلف الصالح ص(٣١).

وإنْ يَقُلْ هل تُنكرنْ شفاعة　　　نبيّنا يومَ تقومُ الساعةْ

وتبرأنْ منها فقل لاَ بلْ أنا　　　مُثبتُها راجٍ لها بلاَ عَنا

فكيفَ لا وَالشافعُ المشفّع　　　هو وذا عليه أمرٌ مُجْمَعُ

لكنني أطْلُبُها من ربّي　　　إذ هي مُلْكُه بغيرِ رَيْبِ

في الزمرِ اتلونّ قل لله[1]　　　فلا تكنْ عَنْ تَلْوِها بساهِ

وهي لا تكونُ قطعًا إلاَّ　　　من بعدِ إذنِهِ[2] تعالى جَلاَّ

من ذا الذي يشفع عنده[3] إتى　　　في سورة العوان[4] أيضًا مثبتا

والشُّفعا لا يشفعون إلاَّ　　　لِمَنْ أُنيلَ الارتضاءَ الأعلى

ولا ينال الارتضاءَ الأعلى　　　إلاَّ امرؤٌ موحدٌ للمولى

في آل عمران[5] والأنبياء[6]　　　والنجمِ[7] خُذ ذَيْنِ بلاَ مراءِ

فحينَ بانَ أنها لله جل　　　جميعها ولا لغيره دخلْ

وبعد إذنه تكونُ للنبي　　　وَمنْ بِها بفضلِ ربّه حُبي

وليسَ يشفعُ النبيُّ في أحدْ　　　إلاَّ بإذنِ الله فيا ذاكَ الأحدْ

وليسَ يأذنُ الإلهُ في سوى　　　من هو في التوحيدِ قلبُه ارتوى

تَبيَّنَ استبدادُ ربِّ الناسِ　　　بها جميعها بلاَ التباسِ

أطْلُبُها منه أقولُ ربِّ　　　هَبْ لي شفاعةَ النبيِّ الحبّ

لا تَحْرِمَنّيها وَفيَّ شَفِّعِ　　　نَبيَّنا الموصوفَ بالمُشَفَّعِ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) يعني سورة البقرة إشارة لقوله تعالى (عوان بين ذلك).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٧) سورة النجم، الآية: ٢٦.

ونحوها وليس ضيقٌ فيه — لكــلِّ مــا مــوحــدٍ بنيــهِ
وإنْ يقُلْ أُعْطِيها وأنَّ قدْ — أسألُه ممَّا أنْ لهُ الأحدْ
يقُلْ نعم أعطيها لكن مَنَعْ — سؤالَها من غيرِهِ فلتَرْتدِعْ
أيضًا فقد أُعْطِيَها غيرُ النَّبيْ — ممن بفضلِ ربِّه قد اجْتُبي
مثلُ الملائكِ والأوليا فهلْ — تطلبُها من كلِّ صالحِ العملْ
وإنْ تقلْ أفعلْ صرتَ عابدا — للصَّلحَــاءِ للسعيــرِ واردا
وإنْ تَقُلْ لا فمقالُكَ بطلْ — أطْلُبُ ما أُعطِي لآخرِ الجدلْ[(١)]

وممن قرر ثبوت الشفاعة وذكر أنواعها وشروطها وأقسامها الشيخ السيد قاسم الإنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «إن الشفاعة نوعان: شفاعة منفية وشفاعة مثبتة. فالشفاعة المنفية هي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه أحد غير الله أو تطلب من الله تعالى فيما لا يرضاه الله ولا رسوله. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[(٢)].

والشفاعة المثبتة هي التي تطلب من الله تعالى فيمن يراضيه الله تعالى فيشفع فيه بإذنه، والشافع مكرم بقبول شفاعته، وهذه الشفاعة ثمانية أنواع:

الأول: الشفاعة الكبرى، وهي الفصل بين الخلائق، وهي خاصة لنبينا ﷺ كما ورد في الأحاديث الصحيحة.

والثاني: شفاعته ﷺ في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيدخلون الجنة بشفاعته ﷺ.

والثالث: شفاعته ﷺ في أقوام أُمر بهم إلى النار، فلا يدخلونها بل

(١) البراهين الواضحات ص(١٩ـ٢٠).
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

يدخلون الجنة.

والرابع: شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فوق ما يقتضيه أعمالهم.

والخامس: شفاعته ﷺ في قوم يدخلون الجنة بغير حساب ولا سؤال.

والسادس: شفاعته ﷺ في تخفيف العذاب عمن يستحقه.

والسابع: شفاعته ﷺ في أن يؤذن في دخول الجنة لجميع المؤمنين.

والثامن: شفاعته ﷺ لأهل الكبائر، وهذه والنوع الرابع يشترك فيها الأنبياء والملائكة والصالحون والعلماء[١].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث أشار إلى ما أشار إليه الشيخ السيد قاسم الإنديجاني من شروط وأنواع الشفاعة وذكر بعض أقسام الشفاعة فقال:

«وإنما الشفاعات يوم القيامة بيد الله وحده لا شريك له، ومتى كان المؤمن مطيعًا لله وحده لا شريك له فإنه ممن رضي عنه تعالى ويستحق شفاعة الشافعين بفضل الله ورحمته.

فالأنبياء والصالحون يشفعون بإذن الله لأهل الكبائر فيخرجون من النار وبعد أن يكفر الله تعالى عنهم أوزارهم في نار جهنم. هذا هو الذي ثبت بالنصوص الشرعية قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[٢].

والشفاعة يوم القيامة لا تكون من أحد إلا بأمر الله وحكمته، وهي الشفاعة المثبتة، ولا شفاعة لأحد من خلق الله تعالى لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، إلا بأمر الله تعالى ورضائه.

(١) العقيدة الخالصة ص(١٤٤ ـ ١٤٥).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

والشفاعات المثبتة كلها يوم القيامة لأهل الكبائر يخرجون من النار ويدخلون الجنة بفضل الله ورحمته.

وأما شفاعة محمد ﷺ لعمه أبي طالب حتى كان في ضحضاح من النار فهي ثابتة في الخبر الصحيح، فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ وذكر عمه أباطالب فقال: «**لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة يجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه: يغلي منه أم دماغه**» وفي رواية: «**يغلي منه دماغه من حرارة نعليه**»[١]،[٢].

كما ذكر ـ رحمه الله ـ أن أهل البدع والضلال يحرمون من شفاعة النبي ﷺ وغيره يوم القيامة فقال: «ولا شفاعة لأهل البدع والضلال من أي أحد من خلق الله، لأنهم قد كذبوا على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ[٣]»[٤].

وممن أثبت الشفاعة وأشار إلى أنواعها وشروطها الشيخ علي بن سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ولابد من التنبيه هنا إلى أن الشفاعة لا ينالها يوم

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار: باب قصة أبي طالب (٤/ ٢٩٨) رقم (٣٨٨٣).

(٢) آفاق الهداية (٧/ ٦٣).

(٣) لعلَّه يشير إلى الحديث الذي رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي: إمام ظلوم غشوم وكل غال مارق**» (٨/ ٢٨١) برقم (٨٠٧٩). قال المنذري في الترغيب (٣ / ١٤٤) والهيثمي في المجمع (٥/ ٢٣٥) والسخاوي في تخريجه لأحاديث العادلين (ص١٨٤) برقم (٥٥) جميعهم قالوا: رجاله ثقات. قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: قلت: وهذا إسناد حسن؛ رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير أبي غالب وهو صاحب أبي أمامة. وهو حسن الحديث ـ إلى أن قال ـ والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٨) برقم (٣٥) وابن سمعون الواعظ في المجلس الخامس عشر (٥٣ ـ ٥٤) ورواية ابن سمعون «صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي إمام ظلوم غشوم وذو بدعة مارق». السلسلة (١/ ٧٦٢) برقم (٤٧٠). قلت: وبهذا يظهر صحة ما ذهب إليه الشيخ عبدالعزيز من حجب الشفاعة لأهل البدع.

(٤) آفاق الهداية (٧/ ٦٣).

القيامة إلاّ العبد الموحد فقد روى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «من قال لا إله إلاّ الله خالصًا من قلبه»[١]. ولهذا نفى الله تعالى حصول الشفاعة للمشركين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴾[٣]»[٤].

وبذلك يشير ـ رحمه الله ـ إلى الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية، كما أشار أيضًا أن الشفاعة ملك لله تعالى يهبها لمن يشاء، ولا تتحقق إلاّ بشرطين فقال ـ رحمه الله ـ: «إن الله عز وجل هو مالك الشفاعة، ويملكها لمن شاء يوم القيامة، وهو سبحانه لم يملكها بعد لرسوله ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[٥] إن الشفاعة لا يعطاها الشافع إلاّ بعد أن يأذن الله تعالى له بها يوم القيامة، وبعد أن يرضى سبحانه عن المشفوع له»[٦].

وممن أثبت الشفاعة وقررها من علماء المدينة النبوية الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث وضح أن الشفاعة ملك لله تعالى لا تتحقق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (١/ ٣٨) برقم (٩٩).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٠.

(٤) رسالة حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ وسؤاله الشفاعة ص(٣٤).

(٥) سورة الزمر، الآية: ٤٤.

(٦) رسالة حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ وسؤاله الشفاعة ص (٣٥).

لأحد إلاَّ بشرطين وساق على ذلك الأدلة، فقال ـ رحمه الله ـ: «والمتأمل نصوص الشفاعة في كتاب الله، وقد قاربت الثلاثين نصًا سيجد منهجًا متكاملاً في موضوع الشفاعة، حريًا بإفراده بتأليف يجمع أطرافه، وينسق جوانبه، نلم بذلك إلمامة موجزة بقدر المستطاع، مستعينين الله في ذلك.

ومن ذلك: النص على أن الشفاعة من حيث هي لله تعالى، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

فإذا كانت الشفاعة لله جميعًا، ولا يملك منها أحد، فلا شفاعة إلاَّ لمن أذن له سبحانه بها، كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[2] وقوله: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ﴾[3] ومعلوم أن الشفاعة ترجى يوم القيامة، وقال تعالى عن ذلك اليوم: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَـٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[4] في هذا الهول الشديد لا تنفع الشفاعة إلاَّ بشرطين: من أذن له، ومن رضي قوله»[5].

وذكر ـ رحمه الله ـ بعض من تكون لهم الشفاعة بإذن الله فقال: «فثبتت الشفاعة للملائكة والأنبياء والشهداء والصديقين والعلماء والصالحين، كل حسب مقامه عند الله. وهناك شفاعة الأطفال للوالدين. والقرآن والصيام

---

(١) سورة الزمر، الآية: (٤٢ـ٤٤).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٣) سورة يونس، الآية: ٣.

(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٥) آيات الهداية (٢/ ٣٧ ـ ٣٨).

وأعمال موعود عليها بالشفاعة كسؤال الوسيلة للنبي ﷺ، والصبر على لأواء المدينة، وبعض الأعمال الأخرى»[1].

والمتأمل فيما قرره علماء المدينة النبوية في مسألة الشفاعة نجد أنهم ساروا على طريقة السلف في إثبات هذه المسألة. والله أعلم.

(١) آيات الهداية (٢/ ٣٧-٣٨).

الفصل الثالث
جهودهم في تقرير توحيد الأسماء والصفات

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: **مذهبهم في الأسماء والصفات.**

المبحث الثاني: **مفهوم الإلحاد في أسماء الله وصفاته.**

المبحث الثالث: **القواعد العامة في الأسماء والصفات.**

المبحث الرابع: **عقيدتهم في بعض الصفات.**

١ـ صفة علو الله تعالى واستوائه على عرشه.

٢ـ صفة الكلام.

٣ـ صفة اليد.

المبحث الخامس: **رؤية الباري في الآخرة.**

المبحث السادس: **معية الله تعالى.**

المبحث الأول
مذهبهم في الأسماء والصفات

أهل السنة والجماعة ساروا في باب الأسماء والصفات مذهبًا وسطًا بين التشبيه والتعطيل، فأثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ. ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ. فلا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ.

قال ابن منده ـ رحمه الله ـ: «إن الأخبار في صفات الله ـ عز وجل ـ جاءت متواترة عن النبي ﷺ موافقة لكتاب الله ـ عز وجل ـ نقلها الخلف عن السلف قرنًا بعد قرن من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا على سبيل إثبات الصفات لله ـ عز وجل ـ والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله ـ عز وجل ـ به في تنزيله، وبيّنه الرسول ﷺ عن كتابه مع اجتناب التأويل والجحود، وكذلك التمثيل والتكييف، وأنه ـ عز وجل ـ أزلي بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه الرسول ﷺ»[١]. وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه لا يسع أحدًا من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول الله ﷺ القول بها فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله تعالى»[٢].

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله، نفيًا، وإثباتًا، فيثبت لله ما أثبته

---

(١) التوحيد (٣/ ٧) تحقيق: علي محمد الفقيهي، الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤١٣هـ.
(٢) ذم التأويل ص(١٤٣).

لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه. وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد... فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات: إثباتًا بلا تشبيه وتنزيهًا بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١] ففي قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ ﴾: رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد للإلحاد والتعطيل»[٢].

وقد كان منهج علماء المدينة النبوية وطريقتهم في هذا الباب على منهج وطريقة أهل السنة والجماعة من إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، من غير تكييف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن نفسه من غير تعطيل.

قال الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري ـ رحمه الله ـ: «وأنه سبحانه موصوف ومسمى بجميع ما وصف به نفسه وسماه به، وما وصفه وسماه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العليا وصفًا حقيقيًا لا مجازًا»[٣] ثم ذكر ـ رحمه الله ـ جملة من صفات الله تعالى مثل الاستواء على العرش، والعلو، والكلام والحب والرضى والكره والنزول والحياة والفرح، ثم ذكر أن هذه الصفات وغيرها ثابتة بالكتاب والسنة، وصرح بأن إثبات ذلك كله هو ما يعتقده ويدين الله به من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، فقال ـ رحمه الله ـ: «وكل هذا وما أشبهه صفات له حقيقية لا مجازية، كما أثبتها الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) التدمرية، ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ٣ـ٤).

(٣) عقيدة السلف الصالح، ص(٢٩).

يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾[1] فهذا ما نعتقده وندين الله في أسمائه وصفاته بلا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝﴾[2]»[3].

وسار على المنهج نفسه الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قرر أنه يجب أن نصف الله تعالى كما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل، فقال ـ رحمه الله ـ: «ونؤمن بأن ربنا موصوف بصفات الوحدانية، ومنعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية، وأن كل ما جاء في الآيات والأحاديث ينسب إليه تعالى، من الاستواء واليد والوجه والسمع والبصر والإرادة والكلام والضحك والرضا والغضب والتعجب والنزول وغيرها، فهو كما ورد، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تغيير ولا تأويل. ونصف الله تعالى كما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله، ونثبتها على ما يليق بجلاله، ونفوّض علمه إلى الله تعالى[4]، ونثبت العلو وهو الولي الأعلى»[5].

---

(١) سورة الإخلاص.

(٢) سورة الشورى: الآية: ١١.

(٣) عقيدة السلف الصالح: ص(٣٠).

(٤) إذا أطلق أهل السنة والجماعة «التفويض» فإنهم يقصدون به تفويض الكيفية، ومن ذلك قول البربهاري ـ رحمه الله ـ في شرح السنة بعد ذكره لأحاديث الصفات: «فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض ولا تفسر شيئًا من هذه بهواك» (١/ ٣٢). وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «كان السلف يقولون: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه» درء التعارض بين العقل والنقل (١/ ٢٠٧). وأمّا التفويض عند أهل الكلام فيقصدون به تفويض المعنى كما قال الفخر الرازي في معرض حديثه عن صفة المجيء «فالأولى السكوت عن التأويل وتفويض الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى» مفاتيح الغيب (٥/ ٢٣١).

(٥) العقيدة الخالصة ص(٣٠٣).

وممن بين الطريقة الصحيحة في هذا الباب الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «صفات الله عز وجل وهي صفات ذات الله تعالى المقدسة كما وردت بنص القرآن العزيز ونص السنة المطهرة، بلا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه لصفات الجبار القادر بأحد من خلقه فمن شبّه أو مثّل أو تأوّل شيئًا منها عن ظاهره فقد كفر. فنحن نؤمن إيمانًا قاطعًا بذلك. وهذا هو إيمان سلف الأمة الصالحين والخلف التابعين، فلله عز وجل ذات تليق بعزته وجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]»[2].

كما بيّن ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لجملة من الصفات وأدلتها من الكتاب والسنة، أن ذلك هو معتقد أهل السنة والجماعة، فقال ـ رحمه الله ـ: «وإيماننا قائم على نصوص الكتاب والسنة، وهو إيمان أهل السنة والجماعة بلا تكييف ولاتشبيه ولا تمثيل ولا تأويل في جميع صفات الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه تبارك وتعالى»[3].

وفي غير ما موضع نلاحظ أن الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ يحذر من محاولة البحث عن كيفية بعض الصفات كيمينه ـ تبارك وتعالى ـ أو التفكير في ذات الله تعالى. ويبين وجوب الإيمان بهذه الصفات وإمرارها كما جاءت فيقول رحمه الله: «فلا يجوز للمسلم أن يتناول التفكير في ذات الله تعالى، ويجب عليه الإيمان القطعي بأنه فوق عرشه، بائن من خلقه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ولا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه بلا

(١) سورة الشورى: الآية: ١١.
(٢) آفاق الهداية (٧/ ٦٩).
(٣) المصدر نفسه (٧/ ٨٢).

تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل. تعالى الله عن الشبيه والمثيل علوًا كبيرًا»[١]. ويقول ـ رحمه الله ـ: «أن ما ورد من ذكر قبضته عز وجل ويمينه تبارك وتعالى، فإنه لا يجوز البحث عن كيفية ذلك، ولا تمثيله بشيء من خلقه، لأن هذه من صفاته تعالى التي يحرم استعمال التفكير فيها أو الخوض بكنهها، بل الحق إمرارها كما جاءت بإيمان قاطع في نصها»[٢].

وممن بيّن منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته الشيخ عبدالله بن حمد الخريوش ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وتوحيد الأسماء والصفات وهو إثبات صفات الكمال لله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل»[٣].

ولعل من أبرز من قرر مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب هو الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ وكثيرًا ما تعرض لهذا الباب في كتاباته ومن ذلك قوله ـ رحمه الله ـ: «وأما مذهب السلف في هذا الباب فواضح جدًا كشأنه في كل باب، وهو وسط بين التشبيه والتعطيل، وهو تسليم كامل لله ولرسوله وإيمان بنصوص الصفات من الكتاب والسنة وعدم التعرض لها بالتأويل بل إمرارها كما جاءت بحيث تكون تلاوتها تفسيرها ولا يحاولون إدراك حقيقتها وكيفيتها لأن ذلك علم استأثر الله به ولا توهم عندهم تشبيهًا ولا تجسيمًا، بل هي تدل على الحقائق التي تليق بالله وحده. إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٤]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٥]، ﴿وَلَمْ

---

(١) الأجزاء الكونية بين النقل والعقل ص(٦-٧).

(٢) المصدر نفسه ص(١١).

(٣) دليل المسلم المبتدي ص(٢٦).

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سورة طه، الآية: ١١٠.

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[1]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[2] كانوا ينزهون الله على ضوء هذه النصوص ولا يكادون[3] يفهمون من الإثبات التشبيه ولا من التنزيه التعطيل»[4].

وقد وضّح ـ رحمه الله ـ الاعتقاد الفاسد الذي يعتقده أهل الباطل من المعطلة إن كل من يثبت هذه الصفات فهو مشبه أو مجسم، فقال ـ رحمه الله ـ: «وأما اعتقاد الذين يعتقدون أو يخالطون أن كل من أثبت لله تعالى صفاته الواردة في كتابه أو سنة رسوله ﷺ على ظاهرها اللائق بالله فهو مشبه ومجسم؛ فهذا اعتقاد فاسد وظن سيء»[5].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الشبل ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ومذهب السلف ـ رضي الله عنهم ـ وأتباعهم من أهل السنة إثبات الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل»[6].

وممن بين منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ فقد ذكر أن العبد يجب عليه أن يؤمن بجميع أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى على أسس ثلاثة، ولم يخرج من هذه الأسس عمّا ذكره السلف الصالح. فقال ـ رحمه الله ـ: «ويجب على كل إنسان أن يؤمن بجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى على الأسس الثلاثة

(١) سورة الإخلاص، الآية: ٤.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.
(٣) الصحيح أنهم لا يفهمون وليس لا يكادون يفهمون من الإثبات التشبيه ولا من التنزيه التعطيل.
(٤) مجموع رسائل الجامي: ص(١٠٨ـ١٠٩).
(٥) المصدر نفسه ص(٥٤).
(٦) مختصر التوحيد ص (٢٣).

التي ذكرها الله تعالى في كتابه الحكيم ـ وتقدم ذكرها ـ:

أولاً: إثباتها.

ثانيًا: تنزيهها عن مشابهة المخلوقين.

ثالثًا: اليأس من إدراك كيفيتها وكنهها.

وهذه الأسس الثلاثة كلها ذكرها الله في كتابه الحكيم. ذكر أساسيين في سورة (الشورى) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] هذان أساسان من الأسس التي يتركز عليها توحيد الأسماء والصفات.

أولاً: تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات في ذاته، وفي صفاته، وفي أسمائه على غرار قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

وثانيًا: إثبات كل ما وصف الله به نفسه، أو سمى به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو سماه به رسوله ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

والأساس الثالث: في (سورة البقرة)، وفي (سورة طه). أما في سورة البقرة ففي آية الكرسي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[2]، وفي سورة طه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[3] ففي هاتين الآيتين الكريمتين نص صريح في أن المخلوقات لا يمكن أن تحيط بعلم الله، ومن تطلّع إلى معرفة كيفية ذات الله، أو كيفية صفات الله أو كيفية أسماء الله، فقد تطلّع إلى ما ليس في إمكانه العلم به»[4].

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٣) سورة طه، الآية: ١١٠.
(٤) رسائل في العقيدة ص(٣١-٣٦).

وممن جلَّى منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاته الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ فقال: «من لوازم الإيمان بالله تعالى ربًّا، وإفراده بالعبادة، وتحقيق لا إله إلاَّ الله: توحيده سبحانه في أسمائه وصفاته عز وجل، وهو سبحانه له الأسماء الحسنى، وله عز وجل صفات الكمال والجلال، وهذا القسم من أقسام التوحيد الثلاثة، أجمع المسلمون على أنه توقيفي، وإن كان العقل يحكم بأنه رب العالمين، ومالك الملك، ومن بيده ملكوت كل شيء فإن صفاته قطعًا تستلزم أن تكون هي الغاية في الكمال والجلال، بما يليق بكماله وجلاله سبحانه، فوجب على كل من آمن بالله تعالى ربًّا، وأفرد الله تعالى بالعبادة، وشهد لمحمد ﷺ بالرسالة، أن يثبت لله جميع ما أثبته سبحانه لنفسه، وما أثبته له رسوله، إذ لا أحد أعرف بالله من الله ولا من رسول الله ﷺ، والعبرة عند سلف الأمة بثبوت الصفة نصًّا، ولا مجال للعقل نفيًا ولا إثباتًا، وأجمع سلف الأمة على أن الاعتقاد في الصفات والكلام فيها، إنما هو فرع عن الاعتقاد في الذات، وعن الكلام فيها: فالإيمان بصفات الله إيمان إثبات بدون تكييف ولا تمثيل، كالإيمان بذات الله سبحانه بدون تكييف ولا تمثيل أو تشبيه»[1].

وذكر ـ رحمه الله ـ في موضع آخر أن طريقة أهل السنة هي الخط المستقيم الفاصل بين انحراف أهل التعطيل وانحراف أهل التشبيه فيقول ـ رحمه الله ـ: «لا يتوغل في جانب النفي إلى حيث ينتهي إلى التعطيل، ولا يتوغل في جانب الإثبات إلى حيث ينتهي إلى التشبيه، بل يبقى على الخط المستقيم الفاصل بين التشبيه والتعطيل»[2].

---

(١) آيات الهداية (١/ ٢٤٢).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٦٣).

وبعد هذا العرض لكلام علماء المدينة النبوية في باب الأسماء والصفات يتبين أنهم قرروا ما قرره السلف من إثبات أسماء الله وصفاته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل هو الإيمان بكل ما أخبر الله تعالى ورسوله ﷺ.

المبحث الثاني
مفهوم الإلحاد في أسماء الله وصفاته

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

والإلحاد في أسماء الله تعالى معناه العدول عن معانيها الصحيحة إلى معانٍ باطلة، وأصل الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء[2].

وممن تكلم عن مفهوم الإلحاد في أسماء الله وصفاته ابن أبي حاتم في تفسيره، فذكر عن ابن عباس قوله: «الذين يلحدون في أسمائه التكذيب».

وذكر ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس قوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ قال: الإلحاد الملحدين أن دعوا اللات والعزى في أسماء الله عز وجل».

وعن عثمان بن عطاء عن أبيه قوله: «وأما يلحدون في آياتنا قال الإلحاد المضاهاة».

وعن قتادة قوله يلحدون قال: «يشركون».

وعن مبشر بن عبيد القرشي قال: قال الأعمش: «يلحدون بنصب الياء والحاء من اللحد قال وسألته عن تفسيرها فقال: يدخلون فيها ما ليس منها»[3].

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى:

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠

(٢) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات لمبارك بن محمد الجزري (٤/ ٢٣٦) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت ١٣٩٩هـ.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧٢٣).

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ أي يميلون وينحرفون فيها عن الحق إلى الباطل يقال: ألحد إذا مال عن القصد والاستقامة، ومنه لحد القبر لكونه في جانبه»[1].

وقد أوضح علماء المدينة النبوية معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى، وبينوا أنواعه، سائرين في ذلك على طريقة علماء أهل السنة والجماعة ـ رحمهم الله ـ.

وممن بين معنى الإلحاد المذكور في الآية الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث يقول: «والإلحاد ابتداع غير الحق في أسماء الله تعالى التي وردت في القرآن»[2]. وفي موضع آخر ذكر ـ رحمه الله ـ أنواعًا من الإلحاد في أسماء الله تعالى وحكمها فقال: «والإلحاد في أسماء الله كفعل المشركين أخذوا اسم اللات من لفظ الله، واسم العزى من العزيز، وهذا وأمثاله كفر كما قاله العلماء، وقال بعض العلماء: الإلحاد التكذيب. وقيل: الإلحاد الشرك في أسماء الله تعالى، والكل محذور في أسماء الله الحسنى، فمن ألحد فيها فإنه كافر بنص القرآن العزيز[3]»[4].

وممن بيّن معنى الإلحاد وأنواعه الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وقد أنذر الله الذين يلحدون في أسمائه، وأخبر أنه سوف يجازيهم بما كانوا يعملون، وذلك بعد أن حث عباده ليدعوه بأسمائه الحسنى حيث يقول عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ

---

(١) مسائل الجاهلية لمحمد بن عبدالوهاب التميمي (٢/ ٤٠) تحقيق: محمود شكري الألوسي. الناشر الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية ١٣٩٦هـ.

(٢) آفاق الهداية (٧/ ٦٥).

(٣) ليس في القرآن نص على كفر من ألحد في أسمائه تعالى، وإنما فيه مطلق الوعيد.

(٤) المصدر نفسه (٧/ ٦٦).

﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1] والإلحاد في اللغة: الميل ومادته تدل على ذلك (ل ح د) ومن ذلك اللحد. وهو الشق في جانب القبر، لأنه قد مال عن الوسط. ومنه الملحد في الدين وهو المائل عن الحق إلى الباطل، فالإلحاد في أسماء الله تعالى العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها». ـ إلى أن ذكر رحمه الله أن الإلحاد في أسماء الله أنواع وذكر منها خمسة أنواع فقال: ـ «أحدها: أن تسمى بعض المعبودات باسم من أسماء الله تعالى أو يقتبس لها اسم من بعض أسمائه تعالى، كتسمية المشركين بعض أصنامهم (اللات) أخذًا من (الإله) و(العزى) أخذًا من (العزيز) وتسميتهم الأصنام أحيانًا (آلهة) وهذا إلحاد واضح كما ترى، لأنهم عدلوا بأسمائه تعالى إلى معبوداتهم الباطلة.

ثانيها: تسميته تعالى بما لا يليق به. كتسمية النصارى له (أبا) وإطلاق الفلاسفة عليه (موجبًا بذاته) أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

ثالثها: وصف الله تعالى بما ينزه عنه سبحانه كقول اليهود ـ عليهم لعنة الله ـ إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم أيضًا: (يد الله مغلولة) وغير ذلك من الألفاظ التي يطلقها بعض أعداء الله قديمًا وحديثًا.

رابعها: تعطيل أسمائه عن معانيها (وهي الصفات) وجحد حقائقها كما فعلت المعتزلة حيث جعلوا أسماء الله ألفاظًا مجردة لا تدل على الصفات كقولهم: سميع بلا سمع وعليم بلا علم إلى آخر الأسماء، ويعد ابن القيم هذا النوع من أقبح أنواع الإلحاد في الأسماء والصفات معًا عقلاً وشرعًا وفطرةً، لأنهم نفوا الصفات وهو إلحاد، ثم نفوا معاني الأسماء، وهو نوع آخر من الإلحاد، فهم قد جمعوا بين النوعين، مع ما في ذلك من التلاعب بنصوص الصفات كما لا يخفى. إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «خامسها: تشبيه

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

صفات الله تعالى بصفات خلقه، وهو يقابل إلحاد المعطلة»[١]. وما ذكره ـ رحمه الله ـ هو ملخص كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في هذه المسألة[٢].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ كيف تكون السلامة من هذا الإلحاد فقال: «فلا تتم السلامة من الإلحاد إلاَّ لمن نهج منهج السلف وعلماء الحديث بأن يصف الله بما وصف به نفسه في كتابه، أو بما وصفه به نبيه ﷺ. لا يعطل، ولا يشبه، بل هو وسط بين الفريقين، فهذه الوسطية تعتبر صفة لازمة لمن ينهجون منهج السلف ليس في هذا الباب فحسب، بل في جميع الأبواب التي تتفرق فيها الفرق وهم بين التفريط والإفراط، مثل نصوص الوعد والوعيد، وأفعال العباد وموقفهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ»[٣].

وممّن بيّن معنى الإلحاد الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ فقال: «والإلحاد هو الميلان: أي مالوا بها إلى غير الله، فقالوا: اللات من الله والعزى من العزيز»[٤].

وبذلك يتبين أن من علماء المدينة النبوية من قد وضحوا معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى، موافقين بذلك كلام من قبلهم من أهل السنة والجماعة والله أعلم.

---

(١) الصفات الإلهية ص(٣٦٠ـ٣٦١).
(٢) بدائع الفوائد (١٧٩/١) المحقق هشام عطا وعادل العدوي وأشرف أحمد. دار مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة ١٤١٦هـ، الطبعة الأولى.
(٣) الصفات الإلهية ص(٣٦٢).
(٤) آيات الهداية (٢٨٥/١).

المبحث الثالث
القواعد العامة في الأسماء والصفات

كان في ظهور الفتن بين المسلمين واختلاف الآراء والفتاوى، وميل الكثير إلى اتباع الأهواء، سببًا لقيام أهل العلم بالاستنباط والتقعيد بعد النظر والاجتهاد. وقد قامت مناظرات عدة بين أئمة السنة ومخالفيهم. وجاءت ردود أهل السنة مجملة ومفصلة. فكانت الردود المجملة بمثابة قواعد عامة في هذا الباب. ولم يقصدوا الترتيب والتقعيد بل هو الرد على النزاعات الفلسفية التي جاءت لتفسد عقائد المسلمين وأخلاقهم وسلوكهم.

وقد كانت طريقة السلف في توحيد الأسماء والصفات هي العرض العام ورد شبه المخالفين. ثم جاء من المتأخرين من أصَّل وقعَّد لكلام السلف - رحمهم الله - ومنهم[1] شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه «التدمرية»: «تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع».

ومن المناسب هنا أن أذكر بعض تلك القواعد التي قعدوها والتي هي بمثابة التقرير لعقيدة السلف الصالح ولكن بطريقة مرتبة تساعد كثيرًا على حسن العرض وتقريب الفهم.

القاعدة الأولى: «إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ من

---

(١) ينظر كتاب «منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات» لمحمد الأمين الشنقيطي، وكتاب «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى» للشيخ محمد الصالح العثيمين، وكتاب «القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف» للدكتور إبراهيم البريكان، وكتاب «صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة» لعلوي السقاف.

غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل»[١].

القاعدة الثانية: «نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو نفاه عنه رسوله ﷺ مع اعتقاد ثبوت كمال ضده لله تعالى»[٢].

القاعدة الثالث: «أسماء وصفات الله عز وجل توقيفية»[٣].

القاعدة الرابعة: «كل صفة ثبتت بالنقل الصحيح، وافقت العقل الصريح، ولابد»[٤].

القاعدة الخامسة: «قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية»[٥].

القاعدة السادسة: «كل اسم ثبت لله عز وجل، فهو متضمن لصفة، ولا عكس»[٦].

القاعدة السابعة: «الكلام في الصفات كالكلام في الذات»[٧].

القاعدة الثامنة: «القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر»[٨]

القاعدة التاسعة: «صفات الله عز وجل تثبت بما ثبت عن رسول الله ﷺ، وإن كان حديثًا واحدًا وإن كان آحادًا»[٩].

القاعدة العاشرة: «صفات الله يستعاذ بها ويحلف بها ويتوسل إلى الله تعالى

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٣).

(٢) التدمرية لابن تيمية: ص(٥٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦)، والقواعد المثلى للعثيمين ص(٦٨).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (١/ ١٤١).

(٥) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي ص(٢٤٠).

(٦) القواعد المثلى للعثيمين ص(٥٧).

(٧) الفتاوى (٥/ ٢١٢).

(٨) المصدر نفسه.

(٩) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٣٣٢).

بها ولا تُدْعى ولا تُسأل ولا تنادى»[١][٢].

القاعدة الحادية عشر: «أسماء الله كلها حسنى».

القاعدة الثانية عشر: «أسماء الله غير محصورة بعدد معين».

هذه بعض القواعد التي ذكرها غير واحد من علماء أهل السنة والجماعة والمقصود الإشارة لهذه القواعد. والتي أشار إليها بعض علماء المدينة النبوية. فالمتتبع لما كتبه علماء المدينة النبوية، يلاحظ أنهم تعرضوا لتلك القواعد وإن لم ينصوا عليها. وفيما يلي أذكر بعض القواعد وما دلّ عليها من كلام بعض علماء المدينة النبوية:

القاعدة الأولى: (أن أسماء الله وصفاته توقيفية):

قال الشيخ عبدالعزيز الخلف: «فذاته جل وعز لا توصف إلاّ بما وصفت في القرآن والسنة فلا يوصف بالعقل ولا بالظن ولا بالرأي»[٣]. وقال في موضع آخر: «وصفات الباري عز وجل لا تثبت إلاّ بنص القرآن وصحيح السنة المطهرة، وإجماع أهل السنة والجماعة»[٤].

وفيما ذكره الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ إشارة إلى أنه لا يتجاوز القرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع الآمة في هذه المسألة.

وقال الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ في بيان هذه القاعدة: «إن مبحث هذا الباب ـ يعني مبحث الأسماء والصفات ـ توقيفي محض بمعنى أنه لا يخضع للاجتهاد ولا للقياس أو الاستحسان العقلي والنفي والإثبات بالذوق والوجدان، بل السبيل إليه الأدلة السمعية الخبرية، وبعبارة أخرى: (لا

(١) الفتاوى (٦/ ١٤٣).

(٢) ينظر لمعرفة غيرها من القواعد: «صفات الله الواردة في الكتاب والسنة» لعلوي السقاف.

(٣) آفاق الهداية (٧/ ٦٩-٧٠).

(٤) المصدر نفسه (٧/ ٩٠).

يتجاوز الكتاب والسنة في هذا الباب) ـ إلى أن قال رحمه الله ـ هذه الأدلة هي السبيل الوحيد في معرفة الأسماء والصفات، والعقل السليم سوف لا يخالف النقل الصحيح»[1].

وممن أبان هذه القاعدة الشيخ عطية محمد سالم عند ذكره للقسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو توحيد الأسماء والصفات فقال: «وهذا القسم من أقسام التوحيد الثلاثة أجمع المسلمون على أنه توقيفي»[2].

وقد بيّن ـ رحمه الله ـ أنه لا يجوز لأحد أن يضع اسمًا أو صفةً لله تعالى دون دليل من الكتاب والسنة؛ فقال: «وعلى هذا فليس لأحد أن يضع الأسماء ولا الصفات لله تعالى دون توقيف بالسماع»[3].

وهذه القاعدة تدل على أن العقل ليس بإمكانه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء والصفات. فلذلك وجب الرجوع للكتاب والسنة وعدم مجاوزتهما.

القاعدة الثانية: (قطع الطمع عن إدراك حقيقة كيفية الأسماء والصفات)

والمعنى هو الاكتفاء بالفهم العام لما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله تعالى وصفاته، وعدم التعمق والتكلف في معرفة كنهها وكيفياتها. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝﴾[4]. قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «أي بالله سبحانه لا تحيط علومهم بذاته ولا بصفاته ولا بمعلوماته»[5].

---

(١) مجموع رسائل الجامي ص(٣٦٤).

(٢) آيات الهداية (١/ ٢٤٢).

(٣) المصدر نفسه (١/ ٢٨٤).

(٤) سورة طه، الآية: ١١٠.

(٥) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٣٨٧).

وقد وضّح علماء المدينة النبوية هذه القاعدة: فقال الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر طائفة من نصوص الأسماء والصفات: «ومثلها كثير من الآيات والأحاديث نؤمن بها كلها ولا نكيفها ولا نؤولها، ونمرها كيفما جاءت»[1].

وفي موضع آخر قال ـ رحمه الله ـ وهو يتكلم عن صفات الله عز وجل: «ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا. فإنه ما سلم في دينه إلاّ من سلّم لله عز وجل ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه»[2].

وممن أبان هذه القاعدة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث وضّح أن السلف ساروا متفقين على هذه القاعدة فقال ـ رحمه الله ـ: «أما السلف فلدقة فقههم في هذا الباب خاصة وفي الأبواب الأخرى عامة في الأصول والفروع. فقد سلّموا لله ولرسوله ﷺ، فيرون بأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله، كما لا يصفه من خلقه أعلم به سبحانه من رسوله ﷺ، فوقفوا مع نصوص الكتاب والسنة دون محاولة لتجاوزها، فلم يخوضوا فيها بالتحريف بدعوى أن ظاهرها غير مراد، بل أمروا النصوص كما جاءت، مكتفين بفهم المعنى العام الذي يدل عليه اللفظ بالوضع دون تعمق أو تفلسف»[3].

وممن أشار إلى هذه القاعدة الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث وضّح ما يجب على كل إنسان من إثبات أسماء الله وصفاته وتنزيهها عن مشابهتها بالمخلوقات وعدم الخوض في معرفة حقائقها وكيفياتها فقال ـ رحمه الله ـ: «ويجب على كل إنسان أن يؤمن بجميع أسماء الله الحسنى وصفاته العلى على الأسس الثلاثة التي ذكرها الله تعالى في كتابه الحكيم

---

(١) العقيدة الخالصة ص(٣١٤_٣١٥).

(٢) المصدر السابق ص(٣٨٨).

(٣) الصفات الإلهية ص(٢١٧).

ـ وتقدم ذكرها ـ. إلى أن قال ـ رحمه الله ـ إن المخلوق لا يمكن أن يحيط بعلم الله، ومن تطلع إلى معرفة كيفية ذات الله، أو كيفية صفات الله، أو كيفية أسماء الله، فقد تطلّع إلى ما ليس في إمكانه العلم به»[1].

القاعدة الثالثة: (أسماء الله تعالى كلها حسنى):

أسماء الله تعالى لا شك بأنها بالغة في الحسن غايته، لأنها تضمنت صفات لا نقص فيها بوجه من الوجوه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[2].

قال الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ مدللاً على هذه القاعدة: «وتحقيق كون أسمائه سبحانه حسنى يظهر من جهتين: جهة النقل وجهة العقل. أما النقل فها هي النصوص المتكررة أربع مرات[3] في كتاب الله، ومن أصدق من الله قيلاً؟ ولا يصف الله أحد أعرف بالله من الله ولا من رسول الله. أما من جهة العقل: فإن كل ما في هذا الوجود فهو أثر من آثار قدرة الله تعالى، الذي أوجد الوجود من العدم، وبالتالي فكل حسن تقع عليه العين أو تسمعه الأذن أو تلمسه اليد فهو إحسان من الله على من هو قائم به أيًا كان هو، فكان سبحانه هو المحسن وكانت أسماؤه الحسنى»[4].

القاعدة الرابعة: (أسماء الله غير محصورة بعدد معين):

لقوله ﷺ في الحديث المشهور: «**ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علّمته أحدًا من**

---

(١) رسائل في العقيدة ص(٣١ـ٣٦).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

(٣) الآيات هي: سورة الأعراف، آية ١٨٠، وسورة الإسراء، آية ١١٠، وسورة طه، آية ٨، وسورة الحشر، آية ٢٤.

(٤) آيات الهداية (١/ ٢٨٣).

خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا. قال فقيل: يارسول الله ألا نتعلمها، فقال: بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها»[1]. وأما قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن لله تسعًا وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة»[2]. أي إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسمًا، وليس المراد أن أسماء الله تعالى محصورة بهذا العدد.

قال الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لحديث عبدالله ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «وفي هذا الحديث دليل على أن أسماء الله الحسنى لا تنحصر في القرآن، ولا في تسعة وتسعين، والحديث دليل على فضل هذا الدعاء الكامل الشامل لأسماء الله جل جلاله وعز سلطانه»[3].

وممن أبان هذه القاعدة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[4].

«وإن تعددت الأسماء فهي لمسمى واحد، وهو الله لا إله إلا هو سبحانه، وإذا كان هذا القدر من عدد الأسماء الحسنى الوارد في هذه الآية،

(١) رواه أحمد في مسنده (١/٤٥٢)، والحاكم في المستدرك (١/٦٩٠) برقم (١٨٧٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٣٣٦) برقم (١٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لله مائة اسم غير واحد (٨/٢١٣) برقم (٧٣٩٢)، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (١٧/٨) برقم (٦٧٥١).

(٣) آيات الهداية (٧/٦٧).

(٤) سورة الحشر، الآيتان: ٢٣ـ٢٤.

فليعلم أن أسماء الله الحسنى ليست محدودة فيما ورد فيها ـ إلى أن قال رحمه الله بعد ذكره لحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ـ فإنه نصّ على أسماء استأثر الله بها عنده، مثل ما سيلهمه سبحانه لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة، حين يسجد تحت العرش للشفاعة العظمى كما في الحديث «**فيلهمني الله بمحامد لم أكن أعلمها**»[١]»[٢].

القاعدة الخامسة: (القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر):

والمقصود أنه لا وجه للتفريق بين صفات الله تعالى، فيجب إثباتها جميعها بلا استثناء على ما يليق بالله تعالى.

قال الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ: «ولا يجوز التصرف في صفات الله بالعقل المحض على خلاف النصوص بإثبات بعضها وتأويل البعض الآخر كما فعلت الأشاعرة الكلاَّبية، حيث أثبتوا صفات الذات كالقدرة والإرادة والسمع والبصر وغيرها، أثبتوها على ما يليق بالله دون تشبيه أو تجسيم ودون تحريف أو تعطيل ولكنهم ادعوا وجوب تأويل صفات الأفعال، كالمجيء والنزول، بدعوى أن إثباتها على ظاهرها يؤدي إلى التجسيم، وهذا جهل يتوارثونه، فيقال لهم: كيف أثبتم السمع والبصر؟ على ظاهرها أم على باطنها؟ فيكون الجواب الصحيح: على ظاهرهما ولكن الظاهر الذي يليق بالله لا على الظاهر الذي يليق بالمخلوق. فيقال لهم الكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر يحتذي حذوه»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٨/ ٢٥٢) برقم (٧٥١٠)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب حديث الشفاعة (٣/ ٥١) برقم (٤٧٠٤).

(٢) آيات الهداية (١/ ٢٨٧ـ٢٨٨).

(٣) مجموع رسائل الجامي ص(٣٦٦).

ومن خلال ما سبق ذكره يظهر بجلاء أن من علماء المدينة النبوية من سار في باب الأسماء والصفات على ما سار عليه أهل السنة والجماعة في الإثبات والنفي، والله أعلم.

المبحث الرابع
عقيدتهم في بعض الصفات

بعد ذكر القواعد السابقة في أسماء الله تعالى وصفاته، أذكر هنا نماذج من كلام علماء المدينة النبوية على بعض صفات الله سبحانه وتعالى، وهي بمثابة التطبيق لتلك القواعد والأسس. ومن تلك الصفات:

١ـ صفة علو الله تعالى واستوائه على عرشه:

علو الله تعالى واستواؤه على عرشه من صفاته الثابتة بالكتاب والسنة وبكلام سلف الأمة.

ـ قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝﴾[1].

ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[2].

ـ وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝﴾[3].

ـ وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝﴾[4].

وفي السنة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لما قضى الله ـ عز وجل ـ الخلق كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**»[5].

(١) سورة طه، الآية: ٥.

(٢) سورة الأعراف (٥٤)، يونس (٣)، الرعد (٢)، طه (٥)، الفرقان (٥٩)، السجدة (٤)، الحديد (٤).

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٤) سورة الأعلى، الآية: ١.

(٥) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) (٨/٢٣٦) برقم (٧٤٥٣)، ومسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٩/٧١) برقم (٦٩٠٥).

وأما الأحاديث الدالة على علو الله عز وجل حديث الجارية الذي رواه مسلم في صحيحه حينما سألها النبي ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[١].

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: «ونحن نؤمن بأن الله على العرش كيف شاء وكما شاء»[٢].

وقال ابن خزيمة ـ رحمه الله تعالى ـ: «فنحن نؤمن بخبر الله ـ جل وعلا ـ أن خالقنا مستوٍ على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا»[٣].

وقال أبوالقاسم اللالكائي ـ رحمه الله ـ: «سياق ما روي في قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ وأن الله على عرشه قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه بكل مكان من أرضه وسمائه. روي ذلك من الصحابة عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة رضي الله عنهم ومن التابعين ربيعة بن أبي عبدالرحمن وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان. وبه قال من الفقهاء: مالك بن أنس وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل»[٤].

وقال أيضًا: قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء»[٥].

---

(١) كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (٥/ ٢٣) برقم (١١٩٩).
(٢) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ٣٤٢) لعبدالإله الأحمدي، دار طيبة ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى، ذكر هذه الرواية شيخ الإسلام وأوضح مصدرها وهو كتاب السنة للخلال من رواية حنبل بن إسحاق. بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٣٠).
(٣) كتاب التوحيد (١/ ٢٣٣).
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣/ ٣٨٧).
(٥) المصدر نفسه (٣/ ٣٩٥) برقم (٦٥٧).

وقد قرر بعض علماء المدينة النبوية علو الله تعالى واستواءه على عرشه كما يليق بجلاله وعظمته ومنهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال في أثناء تقريره لمنهج السلف في باب الأسماء والصفات ما نصه: «ومنه استواؤه على عرشه أي علوه عليه بذاته بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل»[١].

كما قرر الشيخ السيد قاسم الأنديجاني إثبات علو الله تعالى بدليل حادثة الإسراء والمعراج فقال: «وهذه أكبر دليل على إثبات العلو لله عز وجل»[٢].

كما قرر استواء الله تعالى على عرشه فوق سمواته فقال ـ رحمه الله ـ: «ونؤمن بأن الله تعالى مستوٍ على عرشه فوق سمواته، عَلِيٌّ على خلقه، بائن منهم كما جاء في القرآن في سبع مواضع»[٣].

وفي بيان صفة العلو لله وأدلته والتحذير من الشك أو التكذيب لها، قال الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ: «وأنه العلي الأعلى فقد علا على جميع مخلوقاته وأن من صفاته العلو مطلقًا، قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾[٤] وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝﴾[٥] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝﴾[٦] وقال تعالى أيضًا: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ

---

(١) عقيدة السلف الصالح ص(٢٩).
(٢) العقيدة الخالصة ص(٣٤٦).
(٣) العقيدة الخالصة ص(٣١٨).
(٤) سورة الأعلى، الآية: ١.
(٥) سورة الرعد، الآية: ٩.
(٦) سورة الحج، الآية: ٦٢.

﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝﴾[1] وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝﴾[2] وقال تعالى في آية الكرسي: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾[3].

فهذه الآيات المحكمات تثبت علو الله تعالى على جميع مخلوقاته، وأنه الكبير المتكبر، فمن شك في ذلك فإنه كافر كذاب، وقد أوجبت السنة المطهرة على المسلم أن يسبح الله العظيم في كل ركوع في صلاته، فهو يشهد بعظمة الله على جميع مخلوقاته، وأن يسبح الله الأعلى على جميع مخلوقاته في سجوده في صلاته كلها، لا يقوم مقام ذلك شيء آخر وعلوه تعالى وعظم ذاته ثابت بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين أهل السنة والجماعة»[4].

كما قرر ـ رحمه الله ـ استواء الله تعالى على عرشه استواءً يليق بجلاله فقال أنه تعالى وعز: «مستوٍ على عرشه استواءً لائقًا بجلاله بلا كيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تشبيه»[5]. وفي موضع آخر ذكر بأنه تعالى وإن كان مستوٍ على عرشه ولكنه غير محتاج له ولا لغيره من مخلوقاته تعالى فقال: «والله تعالى مستوٍ على عرشه ليس له تعالى حاجة في عرشه ولا في غيره من جميع المخلوقات»[6].

وممّن تعرض لبيان هاتين الصفتين الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ فقد بيّن أن صفة العلو لله تعالى يثبتها الكتاب والسنة والعقل الصحيح والفطرة

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٣.
(٢) سورة غافر، الآية: ١٢.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٤) آفاق الهداية (٧/ ٧٤).
(٥) المصدر نفسه (٧/ ٦٩).
(٦) المصدر نفسه (٧/ ٧٥).

السليمة، فقال ـ رحمه الله ـ: «وآيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة والعقل الصحيح والفطرة السليمة كل أولئك يثبتون علو الله على خلقه وأنه ليس في ذاته شيء من خلقه ولا في خلقه شيء من ذاته وهو فوق سماواته بائن من خلقه بل كل واحد يجد من نفسه ما يدفعه إلى اعتقاد العلو ويرفع أكف الضراعة إلى العلي الأعلى قبل أن يستشير علماء الكلام هل ذلك لائق أم لا؟ وهو أمر فطري، ولم ينقل خلاف ذلك إلا عن بشر المريسي[١] أحد الجهمية مع أنه يقول سبحان ربي الأسفل[٢]، قبحه الله هو وأتباعه»[٣].

وقد بيّن ـ رحمه الله ـ نوع هذه الصفة ـ أعني صفة العلو ـ وساق الأدلة الدالة على هذه الصفة وأطال الكلام عنها، ومما ذكره ـ رحمه الله ـ قوله: «صفة العلو هي صفة ذاتية لازمة للذات بمعنى أنه تعالى لم يزل في علوه، وهي في الوقت نفسه عقلية وسمعية أي فهي ثابتة بالعقل والفطرة والسمع ـ إلى أن قال رحمه الله ـ ومن الآيات التي تدل على علو الله على خلقه، علاوة على الآيات السبع التي ذكرناها والتي تنص على استواء الله على عرشه كما يليق به قوله تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٤] وقد جاءت الفوقية هذه

---

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي، كان من أصحاب الرأي، اشتغل بعلم الكلام، حكي عنه أقوال شنيعة، كفّره أهل العلم بسببها، توفي سنة ٢١٨هـ. ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٧/ ٥٦)، وفيات الأعيان (١/ ٢٧٧)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٨١)، وميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢).

(٢) ذكره ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (١/ ١٦٨) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ نقلاً عن إبراهيم بن محمد النحوي المعروف بنفطويه في كتابه «الرد على الجهمية» وهو من الكتب المفقودة، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/ ٣٢٨) المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.

(٣) مجموع رسائل الجامي ص٢٢٤.

(٤) سورة النحل، الآية: ٥٠.

مقرونة بحرف (من) وهي مُعَيِّنة للفوقية (بالذات) وهو معنى معروف عند أهل اللغة»[١].

وفي بيانه ـ رحمه الله ـ لصفة استواء الله على عرشه قال بعد ذكره للآيات السبع الدالة على هذه الصفة: «وأما هذه الآيات السبع فتنص على أن الله تعالى استوى على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض استواء يليق به ولا نعلم منه إلا المعنى العام المفهوم من الوضع»[٢].

وممن بين صفة الاستواء على العرش الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وهو مستوٍ على العرش محتوٍ على الملك محيط علمه بالأشياء»[٣].

وبهذا العرض يتبين أن علماء المدينة النبوية أثبتوا صفتي العلو والاستواء على العرش لله تعالى، موافقين بذلك طريقة من قبلهم من علماء أهل السنة والجماعة في ذلك.

٢ ـ صفة الكلام:

أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الله تعالى يتكلم ويقول ويتحدث، وأن كلامه بصوت وحرف، والقرآن كلامه، منزل غير مخلوق، وهذه الصفة له سبحانه وتعالى صفة ذاتية باعتبار أصلها وفعلية باعتبار آحادها، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. قال تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي

---

(١) الصفات الإلهية ص(٢٢٦ـ٢٢٧).

(٢) المصدر نفسه ص(٢٢٦).

(٣) رسالة فقهية ص(٢٠٠).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٢].

وفي الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله**»[٣].

وحديث قصة الإفك وقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «**. . . ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى. . .**»[٤].

وحديث احتجاج آدم وموسى وفيه: «**قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بكلامه**» متفق عليه[٥].

قال قوام السنة الأصبهاني في «الحجة»: «وخاطر أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ (أي: راهن قوماً من أهل مكة)، فقرأ عليهم القرآن، فقالوا: هذا من كلام صاحبك. فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى ولم ينكر عليه أحد من الصحابة.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على المنبر: «إن هذا القرآن كلام الله».

فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم مثل: سعيد بن المسيب،

(١) سورة القصص: الآية: ٣٠.

(٢) سورة التوبة: الآية: ٦.

(٣) صحيح البخاري: كتاب التوحيد. باب قوله تعالى: (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له. . .) الآية (٨/ ٢٤٥) برقم (٧٤٨١).

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير: باب قوله تعالى: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً) (٨/ ٥٨١) برقم (٤٧٥٠).

(٥) رواه البخاري في كتاب القدر: باب تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل (٧/ ٢٧٢) برقم ٦٦١٤.

وسعيد بن جبير، والحسن، والشعبي وغيرهم ممن يطول ذكرهم، أشاروا إلى أن كلام الله هو المتلو في المحاريب والمصاحف»[١].

قال أبوبكر الخلال: «أخبرني علي بن عيسى أن حنبلاً حدثهم؛ قال: قلت لأبي عبدالله: الله يكلم عبده يوم القيامة؟ قال: نعم؛ فمن يقضي بين الخلائق إلا الله عز وجل؟! يكلم عبده ويسأله، الله متكلم، لم يزل الله متكلمًا، يأمر بما يشاء، ويحكم بما يشاء، وليس له عدل ولا مثل، كيف شاء وأين شاء»[٢].

وقال ابن أبي عاصم: «باب: ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك»[٣].

وعلماء المدينة أثبتوا هذه الصفة على ما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، فقد بيّن الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري ـ رحمه الله ـ مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله بأنه قديم النوع حادث الآحاد، لم يزل سبحانه وتعالى متكلمًا ويتكلم إذا شاء، ثم ذكر من كلامه القرآن العظيم حروفه ومعانيه، فقال: «إنه متكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد كما نقل عن السلف أنهم يقولون لم يزل متكلمًا ويتكلم إذا شاء ومن كلامه القرآن، وهو اللفظ المنزل على محمد ﷺ للتعبد به والإعجاز، الذي سمعه جبريل عليه السلام من الله تعالى بلا واسطة ونزله على محمد ﷺ بحروفه ومعانيه كما سمعه من ربه عز وجل، وليس هو بعبارة من جبريل ولا محمد ﷺ وكيفما

---

(١) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني (١/ ٣٦٠)، تحقيق محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

(٢) الرسائل والمسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة: عبدالإله الأحمدي (١/ ٣٠٢).

(٣) السنة (١/ ٢٢٥) ذكر هذه الرواية شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في العقيدة الأصفهانية (١/ ٥٢) وأوضح السنة للخلال من رواية حنبل.

تصرف فهو كلام الله وأنه سبحانه يتكلم بحرف وصوت كما نادى موسى لما أتى الشجرة ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾[١] وينادي عباده يوم القيامة بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه من قَرُبَ «**أنا الملك أنا الديان**»[٢] وأن مثل هذا مما يخاطب به رسله وملائكته ومن شاء من عباده أو ينزل عليهم من كتبه من آحاد كلامه الغير الأزلي، ولكنه غير مخلوق لأنه من صفاته وصفاته كلها غير مخلوقة»[٣].

وقد أثبت الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ أن القرآن كلام الله تعالى فقال: «ونؤمن بأن القرآن العظيم هو كلام الله القويم»[٤].

وممَّن قرر مذهب أهل السنة والجماعة في صفة الكلام الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ونؤمن بأن الله جلّت قدرته متكلم متى شاء وبما يشاء، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٥] وقال تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾[٦] وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[٧] وهذه أدلة قطعية من شك فيها أو أنكرها أو شيئًا منها فإنه كافر مرتد»[٨].

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...﴾ الآية (٨/ ٢٤٥) برقم (٧٤٨١).

(٣) أصول الدين الإسلامي ص(٢٩ـ٣٠).

(٤) العقيدة الخالصة ص(٢٨١).

(٥) سورة النساء، الآية: ١٦٤.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٥١.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٨) آفاق الهداية (٧/ ٧٨ـ٧٩).

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر: «فهو تبارك وتعالى متكلم قائل أزلاً وأبدًا، كل ذلك كما يليق بجلاله تبارك وتعالى؛ لأنه تعالى لا يشبه كلامه كلام البشر، ولا يشبه قوله قول البشر سبحانه وتعالى. ونؤمن أن القرآن المتلو هو كلام الله من أول حرف فيه إلى آخر حرف فيه»[(١)].

وممَّن أثبت هذه الصفة من علماء المدينة النبوية الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث ذكر نوع هذه الصفة وما فهمه السلف من هذه الصفة مدعمًا ذلك كله بالأدلة فقال ـ رحمه الله ـ: «وصفة الكلام ـ عند التحقيق ـ صفة ذاتية قديمة قائمة بذاته تعالى باعتبار نوع الكلام، وهي صفة فعل تتعلق بها مشيئة الله تعالى باعتبار أفراد الكلام الذي خاطب الله به نوحًا عليه السلام في شأن ابنه: ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝﴾[(٢)] غير الكلام الذي خاطب به موسى عليه السلام: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]، وهو غير الكلام الذي خاطب به عيسى عليه السلام: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[(٤)]. وهذا الكلام كله غير الكلام الذي خاطب به خاتم رسله وإمامهم محمدًا ﷺ ليلة الإسراء والمعراج في شأن الصلاة: «**لقد خففت عن عبادي، وأمضيت فريضتي**»[(٥)] وهذا كله غير القرآن الذي أنزله عليه وختم به كتبه، هذا المعنى، وهذا الفهم هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة. وهم الفرقة الناجية التي تمسكت بما كان عليه

(١) آفاق الهداية (٧/ ٧٩).

(٢) سورة هود، الآية: ٤٦.

(٣) سورة القصص، الآية: ٣٠.

(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٦.

(٥) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة صلوات الله عليهم (٤/ ٩٢) برقم (٣٢٠٧) ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلوات الله وسلامه عليه إلى السماوات، وفرض الصلوات (١/ ٣٨٣) برقم (٤٠٨).

النبي ﷺ فيما نعتقد، وهذا يعني أنهم يثبتون لله كلامًا حقيقيًّا يسمعه المخاطب، وأن هذا القرآن الذي نقرأه بألسنتنا، ونحفظه في صدورنا، ونكتبه في ألواحنا وكتبنا أنه كلام الله حقيقة لفظه ومعناه، ولا يبحثون عن كيفية تكلمه تعالى به، لأننا نؤمن به، ولا نحيط به علمًا، هذا هو موقف السلف من صفة الكلام بإيجاز»[١].

ثم شرع ـ رحمه الله ـ في ذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ثبوت هذه الصفة لله تعالى ـ إلى أن قال ـ: «هذه الأحاديث وأخرى كثيرة في صحيح البخاري وصحيح مسلم وعند أصحاب السنن الأربعة تضاف إلى الآيات الكثيرة التي تثبت لله الكلام اللفظي الحقيقي، ومن ذلك القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى، هذه بعض الأدلة لأتباع السلف في إثبات صفة الكلام باقية على ظاهرها كما يليق بالله لا كما يناسب المخلوق»[٢].

وبهذا يتبين أن علماء المدينة النبوية أثبتوا صفة الكلام لله تعالى على طريقة أهل السنة والجماعة مستدلين على ذلك بنصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

٣ـ صفة اليد:

وهي صفة ذاتية خبرية لله عز وجل، ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. وأهل السنة والجماعة يثبتونها لله تعالى كباقي الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

أما المتكلمون فقد أوّلوها بالقدرة أو القوة أو النعمة[٣]، وهذا تأويل

---

(١) الصفات الإلهية ص(٢٦٢ـ٢٦٣).

(٢) المصدر نفسه ص(٢٦٦).

(٣) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار ص(١٥٢) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

باطل، والأدلة على ثبوت هذه الصفة ما يلي:

١ـ من الكتاب العزيز:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[2].

٢ـ ومن السنة المطهرة:

حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[3].

حديث الشفاعة وفيه: «... **فيأتونه فيقولون: يا آدم! أنت أبو البشر؛ خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه...**»[4].

وهذه الصفة من الصفات الخبرية التي يجب الإيمان بها وحملها على حقيقتها كغيرها من الصفات الواردة في الكتاب والسنة، وقد نقل ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ إجماع السلف على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة. فقال: «أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز إلا أنهم لا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٢) سورة ص، الآية: ٧٥.

(٣) رواه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٩/ ٧٨) برقم (٦٩٢١).

(٤) رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ (٤/ ١٢٧) برقم (٣١٦٢) ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب حديث الشفاعة (٣/ ٥١) برقم (٤٧٤).

يكيفون شيئًا ولا يحدون فيه صفة محصورة»[١].

وعلماء المدينة النبوية أثبتوا لله تعالى صفة اليد على منهج السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، يقول الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني: «ونؤمن بأن ربنا موصوف بصفات الوحدانية، ومنعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية، وأن كل ما جاء في الآيات والأحاديث ينسب إليه تعالى، من الاستواء واليد والوجه والسمع ـ إلى أن قال ـ فهو كما ورد، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تغيير ولا تأويل»[٢].

وممَّن أثبت هذه الصفة لله تعالى الشيخ عبدالعزيز الخلف حيث قرر ـ رحمه الله ـ طريقة السلف في إثبات اليد لله تعالى وساق على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة، وذكر أقوال علماء أهل السنة والجماعة في ذلك مثل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، ومما ذكره قوله ـ رحمه الله ـ: «ونؤمن بما اقتضته النصوص الشرعية من أن لله تعالى يدًا، وأن له يدان قد وردت بالجمع والإفراد قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٣] وقال أيضًا: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[٤]»[٥].

وبعد نقله الأدلة على ثبوت هذه الصفة قال ـ رحمه الله ـ: «واعلم أن كل ما نقلناه في هذا الفصل عن اليد واليدين ونحو ذلك فإنّا نؤمن بذلك كما وصف ربنا تبارك وتعالى ووصف نبينا ﷺ ربه بلا تأويل ولا تمثيل ولا تشبيه.

---

(١) التمهيد (٧/ ١٤٥)، الفتوى الحموية الكبرى (٥١).
(٢) العقيدة الخالصة ص(٣٠٣).
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.
(٥) آفاق الهداية (٧/ ٨٣).

وإن قومًا قالوا: اليد القدرة فتأولوا ذلك ولم يقل ذلك ربنا عز وجل ولم يقله نبينا ﷺ فهو قول منكر»[١].

وممَّن تكلم في هذه الصفة لله الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ وبيَّن نوع هذه الصفة فقال ـ رحمه الله ـ: «وهذه الصفة كالتي قبلها من الصفات الخبرية»[٢] ثم ذكر أن هذه الصفة من الصفات التي طاشت فيها سهام الخلف عن إصابة الهدف ثم ذكر تأويلهم الباطل لها ورد عليهم، وسيأتي بإذن الله تعالى موطن ذكر ردودهم على الفرق الضالة من المتكلمين وغيرهم.

وبهذا يظهر لنا أن منْ علماء المدينة النبوية مَنْ أثبتوا هذه الصفة لله تعالى على طريقة أهل السنة والجماعة، إثباتًا من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

---

(١) المصدر السابق (٧/٨٩).

(٢) الصفات الإلهية ص(٣٠٤).

المبحث الخامس
رؤية الباري في الآخرة

أهل السنة والجماعة يؤمنون أن المؤمنين يرون ربهم عيانًا في عرصات يوم القيامة وعند دخولهم الجنة، يرونه رؤية حقيقية تليق به سبحانه وتعالى.

ورؤيته تعالى في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ـ رحمهم الله ـ.

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾[1].

وفي الحديث: قال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته...**»[2].

وقال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[3]**»[4].

قال الإمام اللالكائي ـ رحمه الله ـ عمن روي عنه من الصحابة والتابعين والفقهاء في رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى: «وروي ذلك من الصحابة عن أبي بكر وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي موسى وابن

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ـ٢٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (١/١٥٦) برقم (٥٥٤)، ورواه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٥/ ٣٤) برقم (١٤٣٢).

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٣/ ١٨) برقم (٤٤٨).

عباس وابن عمر وأبي أُمامة ومعاوية وأبي هريرة وجابر وحذيفة وأنس بن مالك . . .

ومن التابعين سعيد بن المسيب وطاووس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وكعب الأحبار وأبوالعالية والحسن وعبدالرحمن بن أبي ليلى وقتادة وعبدالرحمن بن سابط . . .

ومن الفقهاء مالك بن أنس والليث بن سعد والأوزاعي وعبدالعزيز بن أبي سلمة الماجشون وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وشريك النخعي، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد . . .»[١].

وقد سئل الإمام أحمد في الرؤية فقال: «أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر وكلما روي عن النبي ﷺ بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر»[٢].

وقال ـ رحمه الله ـ «من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله، وكفر بالقرآن، ورد على الله أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، والله تعالى لا يرى في الدنيا ويرى في الآخرة»[٣].

ومن علماء المدينة من أثبت هذه الرؤية بلا كيفية ولا توهم، ومنهم الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قرر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وأرشد إلى لزوم التسليم في كل ما نطق به الوحي، دون تأويل أو تشبيه، فقال ـ رحمه الله ـ: «ورؤية ربنا حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ وتفسيره على ما أراد الله وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، ولا

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٠).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ١٤٥).

ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلَّمَ لله عز وجل، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها بوهم، أو تأوَّلها بفهم، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية، بترك التأويل ولزوم التسليم، وعليه دين المرسلين، ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلَّ، ولم يُصِب التنزيه»[(١)].

وممن تعرض لبيان هذه الصفة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ورؤية الجبار محال في الدنيا، حاصلة للمؤمنين يوم القيامة، قال تعالى يعني في الآخرة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾[(٢)] فالأولى ناضرة من النضارة وهو الجمال، والثانية من النظر والرؤية»[(٣)] وعن رؤية الله في الدنيا قال ـ رحمه الله ـ: «أما في الدنيا فمحال رؤيته تعالى بالعين من قبل أي مخلوق ملائكة مقربين أم أنبياء مرسلين أم من غيرهم من المخلوقين. ـ إلى أن قال ـ فالمؤمنون يرون ربهم في الآخرة لا يضامون في رؤيته، لأن أجسام بني آدم كلهم تكون كآدم ستون ذراعًا طولاً وعرضًا سبعة أذرع بقوة لا تفنى، فأهل الجنة يتنعمون فيها وينظرون إلى ربهم عز وجل»[(٤)].

وممن بيَّن منهج أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وأمَّا أهل السنة والجماعة فيؤمنون بأن الله يتجلى لعباده في الموقف وفي الجنة من فوقهم ويخاطبهم ويسلم عليهم

---

(١) العقيدة الخالصة ص(٣٨٨).
(٢) سورة القيامة: الآيتان: ٢٢ـ٢٣.
(٣) آفاق الهداية (٧/ ٧٢).
(٤) المصدر نفسه (٧/ ٧٣).

ويرونه بأبصارهم كما يرون الشمس ليس دونها سحاب»[1].

وخلاصة القول أن علماء المدينة النبوية قرروا ما عليه أهل السنة والجماعة في مسألة الرؤية، جعلنا الله وجميع المسلمين ممن يرونه برحمته وفضله آمين.

(١) الصفات الإلهية ص(٣٢٥).

المبحث السادس
معية الله تعالى

وقد قسمها العلماء إلى قسمين:

١ـ معية عامة: وهي تكون لجميع خلقه. يعلمهم ويبصرهم ويسمعهم.

٢ـ معية خاصة: وهي تكون لخواص عباده من المؤمنين والصابرين والمتقين والمحسنين وغيرهم، وتكون بنصرهم وتأييدهم.

وهذه المعية بقسميها ثابتة بالكتاب والسنة وكلام سلف الأمة ـ رحمهم الله ـ.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[١].

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ: «يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم، ويعلم أعمالكم، ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع»[٢].

وهو يشير بذلك إلى معية الله تعالى العامة.

قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟...﴾[٣].

قال الضحاك بن مزاحم ـ رحمه الله ـ في الآية: «هو فوق العرش وعلمه معهم أينما كانوا»[٤].

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٢) تفسير ابن جرير (١١/ ٦٧٠).

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٠٤) تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام ١٤٠٦هـ.

وهذه الآية أيضًا تدل كما في كلام الضحاك ـ رحمه الله ـ على المعية العامة لله تعالى.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[1]. قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسير هذه الآية: «أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهديه وسعيه وهذه معية خاصة كقوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[2] وقوله لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[3]، وقول النبي ﷺ لأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ لا تحزن إن الله معنا. وأما المعية العامة من السمع والبصر والعلم كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[4]»[5].

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني...»[6].

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إن الذاكر قريب من مذكوره ومذكوره معه وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة فهي معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق»[7].

أمّا علماء المدينة النبوية فقد ساروا على منهج أهل السنة والجماعة في

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

(٣) سورة طه، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الحديد، الآية: ٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩٣ ـ ٥٩٤).

(٦) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (٨/ ٢٥٠) برقم (٧٥٠٥)، ومسلم في كتاب التوبة باب الحض على التوبة والفرح بها (١٧/ ٦٣) برقم (٦٨٨٧).

(٧) الوابل الصيب (١/ ٩٣) دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

إثبات معية الله تعالى، ووفقوا بين استواء الله تعالى على عرشه وفوقيته وبين قربه من عباده وأنه سبحانه وتعالى معهم حيثما كانوا. قال الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ: «قد وردت نصوص قرآنية، وأخرى من الأحاديث النبوية لتثبت المعية والقرب كما أثبتت العلو والفوقية. وبتتبع النصوص المشار إليها وتدبرها يتبين أن المعية تنقسم إلى قسمين:

١ـ معية عامة تثبت أحكامها لجميع الخلق بمعنى أن الله مع جميع ما خلق يعلم ما هم عليه، ولا تخفى عليه منهم خافية في الأرض ولا في السماء، بل قد أحاط كل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، ومن نصوص المعية العامة قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1].

٢ـ المعية الخاصة: وهذا القسم لخواص عباده تعالى الذين خصهم بالتوفيق فتحلوا بالتقوى، والإحسان والصبر، وجميع الشمائل الكريمة، ومن أمثلة هذا القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]. ثم وضح ـ رحمه الله ـ أمثلة هذا القسم تلك المعية العظيمة التي كان يخبر بها رسول الله ﷺ صاحبه وهو في الغار أبابكر الصديق رضي الله عنه، ويطمئنه بها إذ يقول له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[4]»[5] ثم وضح ـ رحمه الله ـ مفهومًا باطلاً فهمته بعض الطوائف الضالة أمثال غلاة الصوفية من المعية المذكورة في نصوص الوحيين فقال ـ رحمه الله ـ: «والمعية بنوعيها لا تفيد المخالطة، والممازجة

(١) سورة الحديد، الآية: ٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٥) الصفات الإلهية ص(٢٣٩).

الذاتية لا شرعًا ولا لغة، بل تمنع ذلك باعتبار إضافتها إلى الله تعالى»[١].

وممن وضح معنى المعية التي جاء ذكرها في سورة المجادلة، وبين أنواع المعية العامة والخاصة الشيخ عبدالعزيز الشبل ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وهو سبحانه معنا أينما كنّا، وهذه معية عامة لقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

فانظر يا أخي المسلم كيف بدأ الله هذه الآية بالعلم ثم ختمها بعلمه سبحانه وتعالى.

والمعية الخاصة وهي خاصة بأنبيائه ورسله وعباده المؤمنين والمتقين والصالحين لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٣] ومعنى الآية أنه معهم بعلمه وحفظه وتأييده ونصره وتمكينه سبحانه وتعالى»[٤].

وممن تعرض لبيان هذه الصفة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث بيّن أن المعية تنقسم إلى قسمين فقال: «والمعية في كتاب الله تعالى قسمان:

(أ) خاصة: لخواص عباده. (ب) وعامة: لعموم البشر»[٥].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أن المعية نجدها في نحو اثني عشر موضعًا من

---

(١) المصدر السابق ص(٢٤٠).
(٢) سورة المجادلة الآية: ٧.
(٣) سورة النحل الآية: ١٢٨.
(٤) رسالة أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ص ١.
(٥) آيات الهداية (٢/١٦).

كتاب الله تعالى وأخذ يسرد تلك النصوص ويتناولها بالتوضيح والشرح ملتزمًا في ذلك منهج السلف في فهمهم لمعية الله تعالى - إلى أن قال رحمه الله -: «وهكذا، وعلى ضوء النصوص من كتاب الله، وما صح من سنة رسول الله ﷺ، يتضح لنا المنهج القيم، والهدي البين في هذه القضية، التي تناولها المتقدمون والمتأخرون، وأن ما قدمناه هو ما ارتضاه سلف هذه الأمة رحمهم الله، وقد بيّنا مواقع المعية في كتاب الله العامة والخاصة، سواء مع الملائكة، أو مع الرسل، أو من خاصة المؤمنين، أو مع عموم الخلق جملة وتفصيلاً. نسأل الله تعالى أن يكون معنا بالعون والتأييد والنصرة، والرشاد والتوفيق، إنه ولي ذلك، ومنه الفضل والإحسان»[1].

وهذا الذي قرره علماء المدينة النبوية هو ما قرره أهل السنة والجماعة وهو ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة.

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٢١).

الباب الثالث

جهودهم في تقرير بقية أركان الإيمان الستة

وفيه خمسة فصول:

الفصل الأول: **الإيمان بالملائكة.**

الفصل الثاني: **الإيمان بالكتب.**

الفصل الثالث: **الإيمان بالرسل.**

الفصل الرابع: **الإيمان باليوم الآخر.**

الفصل الخامس: **الإيمان بالقضاء والقدر.**

الفصل الأول

الإيمان بالملائكة

الملائكة خلق من خلق الله تعالى، تحدث عنهم وعن صفاتهم وخصائصهم ووظائفهم الكتاب والسنة، ولذلك فإن الإيمان بهم أصل من أصول الاعتقاد، وركن من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلاَّ به.

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ...﴾[1].

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ...﴾[2].

وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما سأل جبريل عليه السلام عن الإيمان. قال ﷺ: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[3].

وهذه الأدلة تدل على ثبوت وجود الملائكة، فمن أنكر وجودهم فقد كفر، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[4].

والإيمان بالملائكة يكون إيمانًا مجملاً ومفصلاً فالإيمان بالملائكة

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٧٧.

(٢) سورة البقرة: الآية: ٢٨٥.

(٣) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى (١/ ١٠١) برقم (٩٣).

(٤) سورة النساء، الآية: ١٣٦.

التي وردت أسماؤهم في الكتاب العزيز أو السنة المطهرة، ومنهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك، إيمانًا مفصلاً، ومن لم يرد ذكرهم من الملائكة فنؤمن بهم إيمانًا مجملاً، ومن الإيمان المفصل في الملائكة، الإيمان بما وكل لبعض الملائكة من أعمال كحملة العرش، والكرام الكاتبين، والموكلين بالنار والموكلين بالجنان وغيرهم.

هذا وقد كان لبعض علماء المدينة النبوية كلام حول تقرير أصل الإيمان بالملائكة، وأهميته، وأنه ركن من أركان الإيمان، وبيان معناه. ومنهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث وضّح أن الملائكة حقٌّ، فقال: «ونعتقد أن الملائكة وكتب الله حق»[1].

وممَّن بيَّن مكانة هذا الأصل وأهميته الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ حيث قال: «الإيمان بالملائكة أحد أصول الإسلام»[2] كما بيَّن ـ رحمه الله ـ أهمية الإيمان بالملائكة وأنه لا يتم إيمان العبد إلاَّ به، فقال: «إن من الإيمان بالله الإيمان بالملائكة وعليه فلا يتم إيمان مؤمن إلاَّ أن يؤمن بالملائكة»[3] ثم ذكر ـ رحمه الله ـ معنى الملائكة فقال: «ومن الملائكة؟ هم عباد الله تعالى المكرمون المأمورون المنهيُّون، المميزون المتعبدون، رسل الله إلى خلقه بوحيه، الذي به الحياة الأبدية السرمدية الدائمة»[4].

وممن بيَّن أن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان بدليل الكتاب العزيز الشيخ محمد إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ حيث قال في نظمه للثلاثة الأصول:

---

(١) عقيدة السلف الصالح ص(٣١).
(٢) القول الفصل في سجود الملائكة واتصافهم بالعقل ص(٤).
(٣) المصدر نفسه ص(٥).
(٤) المصدر نفسه.

وستة أركانه قد ثبتت	وكلها من الكتاب قد أتت
ايمانك بالله ذاك الأول	وفي الكتاب ذكره مفصل
ملائك كذاك ثم الكتب	والانبياء كلها ترتب
واليوم يوم الاخر الموعود	وقدر يضمه التعديد
لخيره وشره كل أتى	من عند رب في الكتاب ثبتا
فاقرأ من النساء ليس البر	اقتربت كذاك تلقه القدرا[1]

وممن بيَّن معنى الإيمان بالملائكة الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الإنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «معنى الإيمان بالملائكة: هو أن يُعْرَف ويُعتقد ويقر بأن لله تعالى عبادًا خلقهم من نور، يسمَّون ملائكة، وجعل منهم رسلاً إلى أنبيائه ورسله، وهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2] وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل[3] عليهم السلام من كبار الملائكة المقربين والرسل منهم»[4].

وممن وضح معنى الملائكة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ فقد ذكر مادة خلق الملائكة وماهيتهم على ضوء ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فقال: «والملائكة على ضوء النصوص الشرعية ليسوا بأجسام لحم ودم، بل خلقهم الله عز وجل من نور وصورهم روحية، ويتصورون كما يشاء الله عز وجل وكيف يشاء، ولذلك فجبريل عليه السلام جاء إلى نبينا ﷺ

(١) تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول في التوحيد ص(٧).
(٢) سورة التحريم: الآية: ٦.
(٣) قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في ذكر اسم ملك الموت: «هذا هو اسمه في القرآن ـ ملك الموت ـ وأما تسميته بعزرائيل كما هو الشائع بين الناس فلا أصل له، وإنما هو من الإسرائيليات» ينظر تعليقات الألباني على الطحاوية ص(٧٢).
(٤) العقيدة الخالصة ص(١٧٤).

كما وصفه عمر بن الخطاب في حديث الدين[١]، وقد وردت في أخبار السنة الصحيحة أنه أتى محمدًا ﷺ بصور أخرى، وذكر القرآن بعض صوره كما جاء في سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝﴾[٢] وقد سمّاه الله فيها[٣]، وهو الواسطة بين الله عز وجل ومحمد ﷺ، وهو الذي نزل بالقرآن الكريم من عند الله عز وجل، وهو أمين الوحي إلى نبينا ﷺ، وكذلك الأنبياء قبله كما ظهر من النصوص الشرعية»[٤].

وبيّن ـ رحمه الله ـ حكم الإيمان بالملائكة وأن من أنكر شيئًا منهم أو من أعمالهم التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد كفر، فقال ـ رحمه الله ـ: «والإيمان بالفرد منهم والكل أمر واجب يثاب عليه المسلم ويعاقب تاركه على تركه، والقرآن والسنة مليئة بذكرهم، فمن أنكر شيئًا منهم أو من أعمالهم التي وردت في القرآن العزيز أو صحيح السنة المطهرة فقد كفر بالله تعالى وبرسوله ﷺ»[٥].

كما بيّن ـ رحمه الله ـ بعض وظائفهم الواردة في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فقال: «ومنهم الموكلون فيما شاء الرحمن كروح القدس جبريل عليه السلام، وهو أفضل الملائكة على الإطلاق، وقد مرّ ذكره، ومنهم إسرافيل عليه السلام الذي ينفخ في الصور يوم القيامة في هلاك الخلائق وفي بعثهم، ومنهم ملك الموت الموكل بنزع أرواح الخلائق، وقد صح في السنة المطهرة أعمالهم تلك وغيرهم، ومنهم الموكلون في عملهم مع بني آدم وفي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله تعالى (١/١٠١) برقم (١).

(٢) سورة النجم، الآية: ١.

(٣) سورة النجم، الآية: ٥.

(٤) آفاق الهداية (٧/١٠٨).

(٥) المصدر نفسه (٧/١٠٧).

الأرض جميعًا، فقد وردت النصوص بتكليفهم بما يشاء الرحمن تبارك وتعالى في الدنيا والآخرة مما لا يتسع المقام لاستقصائه ـ إلى أن قال رحمه الله ـ ومن الملائكة الذين يحفظون على الناس أفعالهم وأقوالهم فيكتبونها عليهم وهم مع كل فرد من بني آدم ملكان في الليل وملكان في النهار، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾[1] ابتداء من سن التكليف. وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝ ﴾[2]»[3].

ومما ذكره من وظائف الملائكة قوله ـ رحمه الله ـ: «ومن فضل الله ورحمته تعالى ما منّ به على الإنسان حيث أن ملائكة يتعاقبون في الليل والنهار على الإنسان لحفظه من الجان والهوام، وكل ما يعترضه من الأذى قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝ ﴾[4]»[5].

وممن بيّن معنى الملائكة وأن الإيمان بهم هو أحد أركان الإيمان الستة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال: «والملائكة عالم غيب، والعقل لا يدرك حقيقة ما غاب عن الحس، وليس له إلا طريق الوحي، والإيمان بالملائكة أحد الأركان الستة في حديث جبريل: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته...» إلى آخره وقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن

---

(١) سورة الانفطار، الآيات: ١٠-١٢.
(٢) سورة ق، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٣) آفاق الهداية (٧/ ١١٠).
(٤) سورة الرعد، الآية: ١١.
(٥) آفاق الهداية (٧/ ١١٢).

رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[١] وأركان الإيمان كلها غيبية، وإنما طريقها السماع من الصادق المعصوم»[٢].

وذكر ـ رحمه الله ـ الإيمان بالملائكة وما يجب على العبد من الإيمان بهم فقال: «أن تؤمن بملائكته: وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[٣].

وقد ذكر ـ رحمه الله ـ بعض وظائف الملائكة وصفاتهم فقال ـ رحمه الله ـ: «فإن القرآن قد بيّن حقيقة الملائكة، وما أسند إليهم من أعمال، وما يتصفون بها من صفات، على أكمل وجه وأقوم طريق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[٤]، وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾[٦].

ـ إلى أن قال رحمه الله ـ: وقد وكّل الله للبعض منهم بعض الأعمال، كحملة العرش، وتبليغ الوحي، والقطر، ومن المسمين بأسمائهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وكذلك من يكتبون أعمال العباد إلى غير ذلك»[٧].

وما ذكره وقرره بعض علماء المدينة النبوية فيما يتعلق بالملائكة هو

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٨٥.
(٢) آيات الهداية (١/٢٦٧).
(٣) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٥٣).
(٤) سورة فاطر: الآية: ١.
(٥) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٦) سورة الرعد، الآية: ١٣.
(٧) آيات الهداية (١/٢٦٩ـ٢٧٠).

الذي دلّ عليه الكتاب والسنة وسار عليه سلف الأمة رحمهم الله أجمعين.

ومن المعلوم أن الإيمان بالملائكة من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة إذ لا يجهل مسلم مكانة الإيمان بالملائكة بل هي من المسلمات لدى كل مسلم، ولكن ثمّة مسائل دقيقة تتعلق بالملائكة حصل فيها نزاع بين علماء المسلمين والفرق المنتسبة للإسلام. وقد ذكر أبوالحسن الأشعري بعض تلك المسائل وهي:

١ـ مسألة هل الملائكة أفضل من الأنبياء أو الأنبياء أفضل[1][2].

٢ـ مسألة هل الملائكة جن أم ليسوا بجن؟[3]

٣ـ هل الملائكة كالهواء والرياح؟[4]

٤ـ هل الملائكة لها عقل؟[5].

٥ـ سجود الملائكة لآدم كان سجودًا كونيًا اضطراريًا أم اختياريًا.

ولكن من المسائل التي حصل فيها نزاع في القرن الرابع عشر الهجري هي مسألة الملائكة هل لها عقل، وماهية الملائكة هل هم كالهواء والرياح؟ وماذا عن سجودهم لآدم عليه السلام أكان سجودًا كونيًا اضطراريًا بمعنى أن سجودهم كان كسجود الشمس والقمر والجبال والأشجار أو غير ذلك؟

وقد ألّف في ذلك الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ من علماء المدينة النبوية رسالة بعنوان «القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢/ ١٢٧ـ١٢٩) تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١هـ.

(٢) ذكر شارح الطحاوية أحوال الناس في هذه المسألة ص(٣٤٢).

(٣) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/ ١٢٨).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبومحمد (٥/ ١٧)، مكتبة الخانجي.

(٥) المصدر نفسه.

واتصافهم بالعقل» وكان سبب كتابة هذه الرسالة هو ما كتبه الشيخ محمد حامد الفقي ـ رحمه الله ـ في وصفه الملائكة بعدم العقل وأن سجودهم لآدم عليه السلام كان سجودًا كونيًا اضطراريًا. وكما ذكر الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ في مقدمة الرسالة أنه اجتمع مع الشيخ محمد حامد الفقي وراجعه في المسألة ولكن دون فائدة، فكتب هذه الرسالة ذبًا عن الإسلام.

وفي بداية الرسالة ذكر الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ أن أعداء الإسلام وجدوا فرصة للطعن في الإسلام من خلال هذه المقولة الباطلة، فقال ـ رحمه الله ـ: «وقد تلقف هذه الكلمة التي تفوه بها هذا الأخ، ناشرًا إياها في مجلة إسلامية، تنسب لأكبر فئة مؤمنة، متلقف كتب على صفحات الأهرام مقالاً، طعن فيه الإسلام طعنة نجلاء، قائلاً: إن دينًا يتلقى عمّن مُنع عنه وصف العقل، لهو دين لا قيمة له»[(١)].

ثم بدأ ـ رحمه الله ـ في الرد على من زعم أن الملائكة بمنزلة الهواء والرياح، التي لا تعقل، ولا هي مكلفة. فنقل أولاً كلام ابن حزم في هذه المسألة التي قال فيها: «وهذا القول من قائليه ومن مال ميلهم، كذب وقحة، بل مقت وسخف وجنون؛ لأن الملائكة بنص القرآن الكريم، والسنن النبوية، وإجماع جميع من يقر بالملائكة من أهل الأديان المختلفة عقلاء متعبدون، منهيون مأمورون، وليس كذلك الهواء والرياح، إذ هي لا تعقل، ولا هي متعبدة، بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها؛ قال تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[(٣)]. وذكر الله تعالى

(١) القول الفصل ص(٢).
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ٧.

الملائكة فقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿۞ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ۝ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[٣]. فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى، وقرن تعالى إتيانه بإتيان الملائكة، فقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾[٤]»[٥].

قال الشيخ محمود شويل ـ رحمه الله ـ عقب نقله لكلام ابن حزم: «وهل هذا أيها المستمعون الكرام إلاَّ خطاب المميِّز العاقل الواعي عن ربه تعالى ما يأمره به، وينهاه عنه؟

فإذا علم هذا؛ فعلى الواصف ملائكة الله تعالى بغير العقل، أو بأنهم كالسحاب والهواء، أن يأتي بنص نقلي أو عقلي موافق للنقل، يخالف هذه النصوص القرآنية، النازلة من لدن رب العالمين، تعالى اسمه، وعز شأنه.

ومعلوم لكل من له مسكة عقل، أنه لا يُخاطب بالحجة إلاَّ من يعقلها، وكذلك لا يخاطب الله تعالى بالحجة من لا يعقلها، قال تعالى: ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾[٦] وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾[٧].

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦ـ٢٧.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٥.
(٣) سورة الفرقان، الآيتان: ٢١ـ٢٢.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.
(٥) الفصل في الملل والنحل لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٥/١٧) مكتبة الخانجي، القاهرة.
(٦) سورة البقرة الآية: ١٧٩.
(٧) سورة طه الآية: ٥٤.

وقد علمنا بضرورة الحس أن الله تعالى إنما خصَّ بالنطق، الذي هو التصرف في العلوم، ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، والتصرف في الصناعات على اختلافها ـ الإنسان الخاصة ـ وذلك لما أتيه من ربه من عقل يعقل به، ويتصرف فيما طلب منه به، وأضفنا إلى الإنسان بالخبر الصادق مجرد الجن، وأضفنا إليهم بالخبر الصادق وببراهين أيضًا ضرورية، الملائكة سلام الله عليهم. فعلمنا بضرورة العقل أن الله تعالى لا يخاطب بالشرائع إلاَّ من يعقلها، ويعرف المراد بها، وبقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]»[2].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ ما كتبه الشيخ محمد حامد الفقي من أن سجود الملائكة لآدم عليه السلام كان سجودًا كونيًا، كسجود الشمس والقمر والجبال والأشجار، بدلالة الكتاب حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[3] وغيرها من الأدلة الواردة في هذا المعنى.

ثم وضَّح ـ رحمه الله ـ بطلان هذا القول بالأدلة فقال: «وهذا كله لا حجة لقائلٍ به أصلاً، لما قد بيَّنّاه سابقًا، من أن الحيوان غير الإنسان والجن والملائكة، هو كسائر المخلوقات من شجر وحجرٍ وغيرهما، نعني أنه لا تصرف له في العلوم والصناعات، إذ لا نطق له أصلاً. ولو كان أيها السامعون الكرام سجود الملائكة العقلاء سجودًا اضطراريًا كما قال هذا القائل، فما معنى قول الله تعالى في سورتي «الحجر» و«ص» من القرآن الكريم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾[4].

(١) سورة البقرة: الآية: ٢٨٦.
(٢) القول الفصل ص(٨).
(٣) سورة الرعد، الآية: ١٥.
(٤) سورة الحجر: الآية: ٢٩.

نعم ما معنى قوله تعالى: (فقعوا له) والوقوع معناه اللغوي: الخرور من وقوف أو قعود، فلو كان الملائكة ساجدين سجودًا كونيًا ضروريًا، لما أُمروا بالخرور على الجبهة، وكذلك حديث النواس بن سمعان[1] في وصف تكلم الله تعالى بالوحي: فيسمع لصوته سبحانه كسلسلة على صفوان، فيصعق أهل السموات كلهم، فإذا فُزِّع عن قلوبهم وأفاقوا، كان أوّل من يرفع رأسه جبريل عليه السلام، ثم ترفع الملائكة رؤوسها، فيقولون: «ماذا قال ربكم» أي وقت ما تكلم بالوحي سبحانه؟ «قالوا الحق وهو العلي الكبير» ففي هذا الحديث الصحيح أيضًا رفع رأس جبريل عليه السلام من سجوده، ثم تتبعه الملائكة رافعين رؤوسهم، فلو كان هذا السجود كسجود الجماد والنبات، فما معنى الخرور في آيتي «الحجر» و«ص»؟ وما معنى رفع الرأس في هذا الحديث؟»[2].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٩١). وابن خزيمة في التوحيد ص (٩٥). والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٥): رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان ابن صالح. وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين؛ وبقية رجاله ثقات وقد ضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٧٧).

(٢) القول المفصل ص(٦/ ٩).

الفصل الثاني
الإيمان بالكتب المنزلة

الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل على أنبيائه ورسله ركن من أركان الإيمان الستة، وكما دل الكتاب على نزوله على نبينا محمد ﷺ فقد دلَّ أيضًا على إنزال الكتب السابقة على أنبياء الله ورسله السابقين. وكذا السنة المطهرة دلَّت على ما دلَّ عليه الكتاب.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[3].

وقد دلَّت السنة على وجوب الإيمان بالكتب، فقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم، وهو حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان. فقال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[4].

والإيمان بالكتب السابقة يعني الإيمان بجنسها قبل أن يصيبها ما

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤١.
(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١-٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٣٦.
(٤) سبق تخريجه ص(٢١٢).

أصابها من التحريف والتبديل. قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾[(١)] ما نصه: «و«الكتاب» وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذي انتهى إليه كل خير واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله»[(٢)].

والإيمان بالكتب يجب أن يكون على الإجمال والتفصيل، فيجب الإيمان بالكتب على التفصيل بما سماه الله منها، والذي سمي لنا منها في القرآن الكريم هي:

١ـ التوراة: وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام.

٢ـ الإنجيل: وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾[(٣)].

٣ـ الزبور الذي أنزله الله على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝﴾[(٤)].

٤ـ الصحف التي أنزلها الله على إبرهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[(٥)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٩).

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٥) سورة الأعلى، الآيتان: ١٨ـ١٩.

فهذه الكتب يجب الإيمان بها على التفصيل. وأما الكتب الأخرى التي أنزلها الله تعالى على الرسل، ولم يسمها بأسمائها، وإنما أخبر أنه تعالى أنزل مع كل رسول كتابًا بلغه إلى قومه. قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾(١). فيجب الإيمان بهذه الكتب التي لم يسمها الله إجمالاً.

وقد قرر علماء المدينة النبوية هذا الركن من أركان الإيمان ووضحوا معناه، ووجوب الإيمان به إجمالاً وتفصيلاً. ومنهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال في الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله ما نصه: «ونعتقد أن الملائكة وكتب الله حق»(٢) يعني أن كل ما ورد ذكره في الكتاب والسنة مما أنزله الله من الكتب حق يجب الإيمان به وتصديقه.

وقد بيّن الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني معنى الإيمان بالكتب وذكر بعض تلك الكتب فقال ـ رحمه الله ـ: «معنى الإيمان بكتبه: هو أن تؤمن بأن الله قد أنزل كتبًا على رسله، كالتوراة على سيدنا موسى عليه السلام، والزبور على سيدنا داود عليه السلام، والإنجيل على سيدنا عيسى عليه السلام، والقرآن على سيدنا محمد ﷺ سيد المرسلين وخاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى يوم الدين»(٣).

وممن تعرض لهذا الركن من أركان الإيمان بالبيان الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ فقد وضّح معنى الإيمان بالكتب وذكر الكتب التي جاء ذكرها في القرآن العزيز، فقال ـ رحمه الله ـ: «الركن الثالث الإيمان بكتب

(١) سورة البقرة: الآية: ٢١٣.

(٢) عقيدة السلف الصالح ص(٣١).

(٣) العقيدة الخالصة ص(١٧٧).

الله التي أنزلها من السماء على أنبيائه ورسله في الأرض عليهم السلام لهداية البشر وإصلاح دنياهم وأخراهم، وهي خمسة كتب كما جاء ذكرها وتعيينها في القرآن العزيز . ـ إلى أن قال ـ والكتب الأربعة: التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم قد نزلت على أولئك الأنبياء الكرام هداية لأممهم خاصة؛ لأن أولئك الأنبياء رسل إلى أممهم خاصة؛ وقد انتهت مهمة هذه الكتب كلها، وكل رسول قبل محمد ﷺ أرسل إلى قومه خاصة»[١].

وقد وضّح ـ رحمه الله ـ أن القرآن الكريم ناسخ لجميع الكتب التي قبله، فحكمه وما فيه باقي إلى يوم القيامة، كما أن الرسول محمدًا ﷺ مرسل إلى جميع الثقلين ولا يُقبل من أحد أتباع غيره ﷺ فقال ـ رحمه الله ـ: «أما القرآن العزيز فقد نسخها كلها، وبقي حكمه وما أنزل الله فيه إلى يوم القيامة، كما أن محمدًا ﷺ رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن إلى يوم القيامة، فالقرآن العزيز هدى للناس جميعًا لا خير إلاَّ ودلَّ الإنس والجن عليه، ولا شر إلاَّ حذرهم منه، ولم يترك شيئًا كان أو يكون إلى يوم القيامة إلاَّ وقد أعلم الخلائق به، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢]»[٣].

وممن تعرض لذكر هذا الركن من أركان الإيمان الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ فقال: «والإيمان بكتبه: فإننا لم نشاهدها ولم نطلع عليها. وقد يكون منها الموجود، ولكن قد جرى عليه التحريف والتغيير؛ ولكنه أخبر في كتابه الذي قد حفظه من كل ذلك عن كل ما تقدم»[٤] وهو

(١) آفاق الهداية (٧/ ١١٤ـ١١٥).

(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.

(٣) آفاق الهداية (٧/ ١١٥).

(٤) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٥٥).

بذلك يبين ما طرأ على الكتب السابقة من التحريف والتبديل، مع التأكيد بأن القرآن الكريم يستحيل عليه الزيادة أو النقص وذلك لأن الله قد تكفل بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

وما قرره علماء المدينة النبوية في هذا الركن هو ما دلَّ عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة. والله أعلم.

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

الفصل الثالث
الإيمان بالرسل

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **حاجة البشر إلى الرسالة**

المبحث الثاني : **معنى الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام**

المبحث الثالث : **بعض خصائص النبي ﷺ**

أ ـ ختم النبوة .

ب ـ عموم الرسالة .

ج ـ الإسراء والمعراج .

د ـ الشفاعة العظمى .

المبحث الأول
حاجة البشر إلى الرسالة

لا شك أن ضرورة النبوة من ضرورات حياة البشر، فحاجتهم إليها كحاجة الحياة إلى الروح، ولذلك فلن تصلح حال البشر وتستنير قلوبهم وتهتدي عقولهم إلاَّ بالنبوة.

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: «الرسالة ضرورية للعباد، لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلاَّ ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة وينله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1]. فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات»[2].

وقد بيّن علماء المدينة النبوية حاجة البشر للنبوة، وأن الله تعالى أرسل الرسل ليبشروهم وينذروهم فيكونوا سببًا في سعادتهم في الدنيا والآخرة إن هم أطاعوهم. قال الشيخ عمر إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ في نظمه للثلاثة الأصول:

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣ـ٩٤).

وأرسل الله جميع الرسل مبشـريـن منـذريـن الكمـل
كي لا يكون حجة يدلي بها الناس يوم الحشر كن منتبها[1]

وممن وضَّح حاجة البشر للرسالة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث ذكر أن حاجة الإنسان إلى الرسالة أشد من حاجته إلى الطب والدواء فيقول في ذلك ـ رحمه الله ـ: «الإنسان، ذلك المخلوق المختار، ولكنه تحفه الشهوات، وتكتنفه متطلبات الغرائز وتجتاحه الأهواء، وهو أشبه ما يكون بالمريض مثلاً، لا يجد سبيلاً للخلاص مما حل به من مرض، والفوز بالبرء والعافية، إلاَّ بطبيب ناصح؛ فإن ائتمر بأمره فعزف عمَّا تميل إليه نفسه، وامتنع عن الشهوات، ومتع ولذَّات، سلم من هلاك، وإلاَّ فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة، وهذا يعني: أن حاجة الإنسان إلى الرسول ورسالته، وما تشتمل عليه سنته أمس من حاجته إلى الطبيب والدواء»[2].

وبذلك يتبين أنه لا يمكن للبشرية الاستغناء عن الرسل والرسالة فهي بحاجة لها كي لا تزيغ وتنحرف وتقع في الضلال المبين.

---

(١) تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول في التوحيد ص(١١).
(٢) مجموع رسائل الجامي ص(١٧٥).

المبحث الثاني

معنى الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام أصل من أصول الإيمان، وهو الاعتقاد الجازم بأن الله أرسل رسلاً وأنبياء لدلالة الناس إلى ما فيه خير معاشهم ومعادهم.

وقد دلّ الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالرسل إجمالاً وتفصيلاً، أمّا الإيمان بالرسل إجمالاً فهو شامل الإيمان بمن لم يسم الله تعالى منهم، فإن الله تعالى أرسلا رسلاً وأنبياء لا يعلم عددهم وأسماءهم إلاّ هو.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿ **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾[(٢)]. وقال تعالى: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ** ﴾[(٣)].

وأما الإيمان بالرسل تفصيلاً فهو الإيمان بمن ورد ذكرهم في القرآن الكريم من الأنبياء والرسل وهم خمسة وعشرون: آدم، ونوح، وإدريس، وصالح، وإبراهيم، وهود، ولوط، ويونس، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، واليسع، وذو الكفل، وداود، وزكريا، وسليمان، وإلياس، ويحيى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ**

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٧.

وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1].

أما الباقون فقد ورد ذكرهم في مواضع متفرقة من القرآن الكريم.

والمقصود أنه يجب على المسلم الإيمان بالأنبياء والرسل جميعًا: من سمَّ الله تعالى على التفصيل ومن لم يسم على الإجمال. إذ أن إنكار نبوة واحد منهم هو كفر بهم جميعًا وهو كفر بالله تعالى.

وقد قرر علماء المدينة النبوية هذا الركن على الإجمال والتفصيل ومنهم الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الافريقي ـ رحمه الله ـ حيث بيَّن وجوب الإيمان بالرسل جميعًا دون تفريق بينهم، وأن يكون العمل بما جاء به خاتم النبيين والمرسلين ﷺ فقال: «فالمسلم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولا نفرق في الإيمان بين الأنبياء، إنما إيماننا بواحد منهم كإيماننا بجميعهم والفرق عندنا في العمل بما قالت الأنبياء هناك نخص بالعمل ما قال نبينا ورسولنا محمد ﷺ أو فعله أو تقريره»[2].

وممن بيَّن معنى الإيمان بالرسل الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «معنى الإيمان برسله: هو أن يؤمن بأن الله اصطفى آدم عليه السلام ومن ذريته رسلاً وأنبياء أرسلهم إلى الناس مبشرين ومنذرين، وجعلهم واسطة بينه وبين خلقه[3]، وأوجب على العباد

(١) سورة الأنعام: الآيات: ٨٣ـ٨٦.

(٢) الجواب الافريقي ص(٣٠).

(٣) يقصد أن الرسل والأنبياء هم الوسطاء والسفراء بين الله وخلقه في تبليغ أمره ونهيه قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ في معرض حديثه عن الرسول ﷺ: «وهو الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ووعده ووعيده فالحلال ما حلل والحرام ما حرمه والدين ما شرعه» الفتاوى (٢٦/١٥٧). وليس المقصود بالواسطة هنا أنهم =

طاعتهم، وقرن طاعتهم بطاعته»[١].

وممن بيّن معنى الإيمان بالرسل الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث بيّن أنّ من أنكر رسولاً واحدًا فقد كفر بهم جميعًا، فقال ـ رحمه الله ـ: «الإيمان بالرسل الرابع من أركان الإيمان: الإيمان برسل الله العلي القدير جميعًا، ممن ذكروا في نصوص القرآن العزيز والسنة المطهرة، فمن أنكر أو كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبرسوله محمد ﷺ»[٢].

وممن بين معنى الإيمان بالرسل الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال: «أن تؤمن برسله: الذين اصطفاهم برسالته في الأمم الماضية منذ نوح عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ، لا نفرق بين أحد من رسله من عرفنا منهم ومن لم نعرف»[٣].

هذا ما قرره علماء المدينة النبوية في الركن الرابع من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالرسل جميعًا، وأن من كفر برسول واحد فقد كفر بجميع الرسل. قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[٥]. وكما هو معلوم أن كل قوم كذبوا رسولهم إلاّ أن التكذيب برسول واحد هو تكذيب بالرسل جميعًا، والسبب أن الرسل دعوتهم ورسالتهم واحدة.

- عليهم الصلاة والسلام هم واسطة بين الله تعالى وبين خلقه في كشف الضر وجلب النفع أو أنهم وسطاء للخلق في كل نعمة ينعمون بها، مما ذكره بعض الضلال. ينظر: إعانة الطالبين للدمياطي (١/٦) والمدخل لابن الحاج (١/٢٥٥).

(١) العقيدة الخالصة ص(١٨٦).

(٢) آفاق الهداية (٧/١١٨).

(٣) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٥٣).

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.

(٥) سورة الشعراء، الآية: ١٢٣.

المبحث الثالث
بعض خصائص النبي ﷺ

من المعلوم أن الله تعالى خصَّ أنبياءه دون غيرهم من البشر بأمور مثل الوحي والعصمة وأن الأرض لا تأكل أجسادهم وغيرها من الخصائص التي دلَّ عليها الكتاب والسنة.

ونبينا محمد ﷺ خصَّه الله تعالى دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بأمور ذكرها أهل السنة والجماعة، ومنهم علماء المدينة النبوية، وأذكر هنا بعض ما فضَّل الله به نبينا على غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام:

١ـ ختم النبوة:

ختم الله تعالى بنبوة محمد ﷺ النبوة، فلا نبي بعده، وهذا ما دلَّ عليه الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝﴾[1]، وقال ﷺ: «... **إنه سيكون في أمتي كذَّابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي**»[2].

قال ابن جرير في تفسيره للآية السابقة في سورة الأحزاب: «ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الفتن، باب ذكر الفتن (٤/٩٧) برقم (٤٢٥٢)، والترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون (٤/٤٩٩) برقم (٢٢١٩)، قال الألباني فيه: (حسن صحيح) السلسلة الصحيحة (٤/٢٥٢) برقم (١٦٨٣).

إلى قيام الساعة»[١].

قال الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ مقررًا هذه المسألة ومبينًا أن كل من ادَّعى النبوة أو الرسالة بعد رسالته ﷺ فإنه كذاب كفور فقال ـ رحمه الله ـ: «وقد ختم برسالته جميع الرسالات وبنبوته جميع النبوات، فلا نبي بعده ولا رسول أبدًا، فمن ادَّعى نبوة بعد نبوته أو رسالة بعد رسالته فإنه كذاب كفور»[٢].

وممن قرر هذه المسألة وأثبت ختم النبوة لنبينا محمد ﷺ الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث ذكر الأنبياء والواجب الذي كلفهم الله تعالى به من الدعوة إليه فقال: «وقد بيَّن الله تعالى أنه الواجب الذي كلف به الرسل وخاتمهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه»[٣].

٢ـ عموم الرسالة:

مما اختص الله تعالى به نبينا محمدًا ﷺ أن أرسله لجميع الثقلين الجن والإنس، وكان كل نبي ورسول يرسل إلى قومه خاصة. قال تعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾[٤]، وقال ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي...**» وذكر منها: «**وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[٥].

قال الشيخ عمر بن إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ مقررًا هذه المسألة في

---

(١) تفسير ابن جرير (١٠/ ٣٠٥).
(٢) آفاق الهداية (٧/ ٤١٨).
(٣) آيات الهداية (٢/ ٦٥).
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٥) رواه البخاري في كتاب التيمم، باب التيمم (١/ ٩٩) برقم (٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا (٥/ ٦) برقم (١١٦٣).

نظمه على الثلاثة الأصول:

واعلم بأن الله حقًّا أوجبا   طاعة ذاك المصطفى والمجتبى
على جميع الثقلين طرا   من جنها وإنسها قبل جبرا
وكمل الله به الدين لنا   وزال عنا كل شرك وعنا[1]

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «وكل رسول من أولئك وغيرهم أرسل إلى قومه خاصة إلا نبينا محمد ﷺ، فإنه أرسل إلى الناس كافة من زمن رسالته إلى يوم القيامة»[2].

وهو بذلك يقرر أن شريعة محمد ﷺ قائمة إلى قيام الساعة على الناس عامة حتى بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان. والله أعلم.

٢ـ الإسراء والمعراج:

مما فضل الله به نبيه محمدًا ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث صلى بجميع الأنبياء إمامًا، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾[3] ثم عرج به إلى السماء السابعة ورأى من آيات ربه الكبرى، فرأى جبريل على صورته الحقيقية وصعد به إلى سدرة المنتهى وكلمه الرحمن سبحانه وتعالى.

ومعتقد أهل السنة والجماعة على أنه ﷺ أسري به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء السابعة بروحه وجسده يقظة لا منامًا.

قال الآجري ـ رحمه الله ـ بعد ذكره حديث الإسراء والمعراج: «من

---

(١) تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول في التوحيد ص(١٠).
(٢) آفاق الهداية (٧/ ١١٨).
(٣) سورة الإسراء، الآية: ١.

بين جميع ما تقدم ذكري له عُلم أن الله ـ عز وجل ـ أسرى بمحمد ﷺ بجسده وعقله، لا أن الإسراء كان منامًا»[١].

قال ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ: «ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو غاب عنا نعلم أنه حق وصدق وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه ولم نطلع على حقيقة معناه مثل الإسراء والمعراج وكان يقظة لا منامًا فإن قريشًا أنكرته وأكبرته ولم تنكر المنامات»[٢].

وكان الخلاف في حادثة الإسراء والمعراج على قولين:

أحدهما: أنه ﷺ أُسري بروحه وبدنه معًا.

الثاني: أنه ﷺ أُسري بروحه دون بدنه[٣].

والصحيح في هذه المسألة أن الإسراء والمعراج كان بالروح والبدن يقظة لا منامًا، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ فقوله: (بعبده) يعني بشخصه ـ أي: الروح والبدن معًا ـ، ولو كان الإسراء والمعراج منامًا لم يكن هناك مبرر للإنكار إذ أن النائم قد يرى ما هو أعظم من ذلك. فإنكار قريش وتكذيبهم دليل على أنهم فهموا المراد من أنه ﷺ أُسري وعرج به يقظة لا منامًا.

وهذا ما قرره علماء المدينة النبوية، ومنهم الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي حيث قرر أن الإسراء والمعراج حصل بروحه وجسده ﷺ فقال: «وفي إسراء رسول الله ﷺ قولان بين العلماء: قول على أنه ﷺ أسرى

(١) الشريعة (٢/ ٣١٢).

(٢) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد (١/ ٢٤)، الدار السلفية، الكويت ١٤١٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق بدر البدر.

(٣) ينظر زاد المعاد (٣/ ٤٠).

بروحه دون الجسد وهذا مرجوح مردود. القول الثاني أنه ﷺ أسري بروحه مع جسده جميعًا وهذا هو الحق الراجح الذي عليه الفحول من المسلمين والأدلة ظاهرة على ذلك»[١].

وفي ردِّه على من زعم أن الإسراء والمعراج كان منامًا لا يقظةً، قال ـ رحمه الله ـ بعد ذكره لقصة إنكار قريش حادثة الإسراء والمعراج ما نصه: «وفي هذه القصة دليل ظاهر على أن النبي ﷺ ذهب إلى السماء بروحه وجسده يقظة لا منامًا فلو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظمًا ولا بادرت كفار قريش إلى تكذيبه وارتدت جماعة ممن قد أسلم إذ لو قال لهم رأيت منامًا لما أنكر أحد ذلك، كما أنه من الإمكان لكل واحد أن يرى في المنام أنه يطير أو أنه كان يطوف بالبيت أو كان يقف بجبل عرفات وبينه وبين ذلك أيامًا وأشهر»[٢].

كما ذكر ـ رحمه الله ـ أن هذه الحادثة محل إجماع المسلمين، ومن أنكرها فهو زنديق ملحد، فقال: «فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون والحمد لله أولاً وآخرًا»[٣].

وممن أثبت هذه الحادثة الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الإنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ونؤمن بأن النبي ﷺ أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وعرج به شخصيًا إلى السموات العلى، إلى حيث شاء الله من العلى وأكرمه الله بما شاء»[٤].

(١) الجواب الإفريقي ص(٣٢).
(٢) المصدر نفسه ص(٣٤).
(٣) المصدر نفسه ص(٣٦).
(٤) العقيدة الخالصة ص(٣٤١).

وممَّن أثبت هذه الحادثة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث بيَّن أن هذه الحادثة فوق طاقة العقل لولا الهداية بنور الإيمان والتصديق بخبر السنة والقرآن، حيث أنها آية كبرى ومعجزة عظمى فقال ـ رحمه الله ـ عن هذه الحادثة: «إنها آية كبرى ومعجزة عظمى، تضمنت آيات عظام، وأحداث جسام. فالحديث عنها معجز، ومحاولة بيانها فوق حدود البيان»[1].

وفي ردِّه ـ رحمه الله ـ على من قال إنه ﷺ أسري به منامًا لا يقظة قال: «لو كان منامًا لما استغربت منه قريش، ولما كان لهم الحق في سؤالهم عن إبلهم، ولا هو بالغريب على أي إنسان يرى في منامه ما لا يقبله العقل. وتقدم عند بيان مدلول (عبده) أنه بشخصه. وصلاة عمر ببيت المقدس حيث صلى رسول الله ﷺ إلى القبلة والنص الكريم الصريح: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝﴾[2] وتقدم أيضًا عند لام التعليل: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ۝﴾[3] أنه لو كان ما رآه منامًا لما علل للرؤية بالإسراء، بل أسرى بعبده ليريه، فهو سبحانه أسرى بشخصه ليريه من آياته ببصره»[4].

ويظهر مما ذكر أن علماء المدينة النبوية وافقوا أهل السنة والجماعة في إثبات الإسراء والمعراج كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

٤ـ الشفاعة العظمى:

ومما اختص به نبينا ﷺ وفضِّل به على سائر الأنبياء الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود حين يشفع في فصل القضاء بين الناس يوم القيامة. لا

---

(١) الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة ص(٦).

(٢) سورة النجم، الآيتان: ١٧ـ١٨.

(٣) سورة طه، الآية: ٢٣.

(٤) الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة ص(٨٨).

يشاركه في هذه الشفاعة أحد، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾(١).

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا كل أمة تتبع نبيها تقول: يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود»(٢).

وروى الترمذي في سننه وحسّنه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل النبي ﷺ في قوله: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ قال: هي الشفاعة(٣).

قال ابن جرير في تفسيره لآية الإسراء السابقة ما نصه: «فقال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم»(٤).

وقال ابن خزيمة في كتاب التوحيد ما نصه: «إن هذه الشفاعة التي وصفنا أنها أول الشفاعات هي التي يشفع بها النبي ﷺ ليقضي الله بين الخلق»(٥).

وأهل السنة والجماعة يقرون بهذه الشفاعة واختصاصها بالنبي ﷺ ومنهم علماء المدينة النبوية، قال الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.
(٢) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (٥/ ٢٧١) برقم (٤٧١٨).
(٣) كتاب التفسير، باب قوله: (عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا) (٥/ ٢٧١) برقم (٤٧١٨)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٦٨-٦٩) برقم (٢٥٠٨)، مكتبة دار التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
(٤) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٤).
(٥) (٢/ ٥٩٦) تحقيق عبدالعزيز الشهوان، مكتبة الرشد، ط٥، الرياض، ١٤١٤هـ.

الله ـ: «وأن نبينا محمد ﷺ هو أول شافع وأول مشفع، وأنه قد خص بشفاعات لا يشاركه فيها غيره: أولها الشفاعة في فصل القضاء، وهو المقام المحمود الذي يغبطه به الأنبياء والمرسلون»[١].

وممّن قرر هذه الشفاعة وأثبتها لنبينا ﷺ الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ ففي أثناء حديثه عن الشفاعة وأنواعها ذكر الشفاعة الكبرى أول تلك الشفاعات وذكر بأنها خاصة بالنبي ﷺ بدلالة النصوص الصحيحة عن نبينا ﷺ فقال ـ رحمه الله ـ: «فالأول: الشفاعة الكبرى، وهي للفصل بين الخلائق، وهي خاصة لنبينا محمد ﷺ كما ورد في الأحاديث الصحيحة»[٢].

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر مبينًا أنه لن يقضي بين الناس يوم القيامة إلا بشفاعته بعدإذن الله تعالى له فقال: «ولا يصح إيمان العبد حتى يؤمن برسالته، ولا يقضي بين الناس إلا بشفاعته، وهو صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم»[٣].

وممّن أثبت هذه الشفاعة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ولنبينا محمد عليه السلام الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود حين يشفع لأهل المحشر يوم القيامة بإذن الله تعالى لفصل الحساب، لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والمرسلين ولا الملائكة المقربين، وهي أول الشفاعات يوم القيامة، وشفاعته ﷺ بعدأن يطلبه أهل المحشر وبعد أن يعتذر أولو العزم من الرسل يسجد محمد ﷺ على الأرض ويلصق جبهته على الأرض خشوعًا وتذللاً، ثم يدعو ربه بأدعية يُلْهمها من ربه عز وجل ويطول مقامه على تلك الحال، ثم يناديه ربه: ارفع رأسك واشفع

(١) عقيدة السلف الصالح ص(٣١).
(٢) العقيدة الخالصة ص(١٤٤).
(٣) المصدر نفسه، ص(٣٧١).

تشفع»[١].

وممَّن أثبت هذه الشفاعة الكبرى والمقام المحمود للنبي ﷺ بدلالة الكتاب الشيخ علي بن سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ومعلوم أن الله عز وجل وعد رسوله ﷺ بأن يعطيه الشفاعة العظمى فقال تعالى: ﴿ **عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴿٧٩﴾ ﴾[٢] والمقام المحمود الذي وعد الله به هو الشفاعة التي ورد ذكرها في الأحاديث الصحيحة»[٣].

وممَّن أثبت هذه الشفاعة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ومن أعظم الشفاعة لرسول الله ﷺ شفاعته لأهل المحشر حين يعتذر آدم أبو البشر وجميع أولي العزم من الرسل ويقول كل واحد نفسي نفسي، إن الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، في ذلك الموقف الرهيب يتقدم أهل المحشر إلى سيد ولد آدم محمد عليه الصلاة والسلام فيطلبون منه الشفاعة عندالله، فيقول عليه الصلاة والسلام: أنا لها فيسجد تحت عرش الرحمن سجدة طويلة يثني فيها على الله ثناء ويحمده حمدًا كثيرًا ويفتح الله عليه من الثناء ما لا يعلمه قبل ذلك، كما صح عنه ﷺ في أحاديث الشفاعة ثم يقول له: يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع»[٤].

وممَّن أثبت هذه الشفاعة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ فبعد ذكره لحديث الشفاعة الطويل قال ـ رحمه الله ـ: «فيذهب فيسجد تحت العرش ويسبح الله ويحمده بمحامد لم يكن يعلمها من قبل، حتى يقال له:

(١) آفاق الهداية ص(٦٤).

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

(٣) حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ وسؤاله الشفاعة ص(٣٦).

(٤) مجموع رسائل الجامي ص(١٣٦).

ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فيشفع في فصل القضاء، وهي الشفاعة العظمى التي تشمل الأولين والآخرين، وهو المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأولون والآخرون»[1].

وكل ما ذكره علماء المدينة النبوية في هذه المسألة هو موافق لما كان عليه أهل السنة والجماعة رحمهم الله أجمعين.

(١) آيات الهداية (٢/ ٣٨-٣٩).

الفصل الرابع
جهودهم في تقرير الإيمان باليوم الآخر

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : **الإيمان بأشراط الساعة**

المبحث الثاني : **الإيمان بالموت وما بعده**

المبحث الثالث : **الإيمان بالبعث وما بعده**

تمهـــيد

الركن الخامس من أركان الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر، قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .﴾[١] وفي حديث جبريل الطويل قال ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٢].

والمقصود بالإيمان باليوم الآخر هو التصديق الجازم بما أخبر به الشارع مما يكون بعد الموت من أحوال وأهوال إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. وهو يوم عظيم تشيب من هوله الولدان، ويجمع الله فيه الأولين والآخرين إنسهم وجنهم وما شاء سبحانه وتعالى من خلقه.

وفي تقرير الإيمان بهذا الركن قال الشيخ عبدالعزيز الخلف من علماء المدينة النبوية ما نصه: «الإيمان باليوم الآخر وهو يوم القيامة وكان الله عز وجل قد سماه في القرآن العزيز: الساعة، ويوم البعث، ويوم الدين، ويوم التغابن، ويوم الطامة الكبرى، ويوم الصاخة، ويوم الفصل، ويوم الفرقان، ويوم الحساب، ويوم التلاق، ويوم الآزفة، ويوم التناد، ويوم الجمع، ويومًا ثقيلاً، ويومًا عظيمًا، ويومًا معلومًا، وغير ذلك من الصفات والنعوت الكثيرة في القرآن العزيز، والقرآن مليء بالدعوة للإيمان به والتخويف منه، والزجر لمن لم يرفع به رأسًا من أهل الإنكار والجحود والكفر»[٣].

وقد بيّن علماء المدينة النبوية هذا الركن من أركان الإيمان وذكروا

---

(١) سورة البقرة: الآية: ١٧٧.

(٢) سبق تخريجه ص(٢١٢).

(٣) آفاق الهداية (٧/ ١٢٠).

أحوال ذلك اليوم مستدلين بالأخبار الصحيحة الثابتة والتي يجب على كل مسلم أن يؤمن بها ويصدقها. وفيما يلي أذكر ما قرروه في ذلك اليوم وما يسبقه من علامات الساعة والله الموفق.

المبحث الأول
الإيمان بأشراط الساعة

أكد الله تعالى وقوع الساعة في القرآن الكريم، ونفى الشك والريب في وقوعها، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[(١)]. ولكن لا يعلم أحد وقت وقوعها، والنبي ﷺ عندما سئل عن الساعة قال ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»[(٢)] وذلك في حديث جبريل الطويل.

وإذا كان الله تعالى قد أخفى وقت وقوع الساعة عن الناس، إلاَّ أنه تعالى أعلمهم بعلامات وإمارات تدلهم على قرب وقوعها. قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴾[(٣)] وفي أحاديث كثيرة وردت عن النبي ﷺ ذكر فيها جملة من تلك الأمارات. في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات» فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوفات: «**خسف بالمشرق وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»[(٤)].

وهنا أذكر ما وقفت عليه من كلام بعض علماء المدينة النبوية حول

(١) سورة غافر، الآية: ٥٩.

(٢) سبق تخريجه ص(٢١٢).

(٣) سورة محمد الآية: ١٨.

(٤) رواه مسلم، كتاب الفتن، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة (٨/ ٢٣٤) برقم (٤/ ٧٢).

بعض العلامات الكبرى للساعة والتي استدلوا عليها بنصوص الكتاب والسنة، فيقول الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ: «الدجال رجل من الناس يظهر في آخر الزمان وهو أول أشراط الساعة العظمى يدعي الربوبية ويجيء معه بقوة قاهرة وتصرفات تفتن الناس وتلحقهم بهديه إلا من عصم الله تعالى، يطوف ما شاء الله تعالى من الأرض ويدخل البلاد التي يهوى إليها إلا مكة والمدينة ونهاية مسيره فلسطين»[١].

وعن نزول عيسى عليه السلام قال ـ رحمه الله ـ: «عيسى بن مريم عليه السلام آخر أنبياء بني إسرائيل قد رفعه الله إليه عندما تواطأ اليهود على قتله وصلبه كفرًا وجبروتًا وفسادًا في الأرض لأنهم هم قتلة الأنبياء من قبله، فألقى الله تعالى شبهه على أحد حوارييه فأخذه اليهود وقتلوه وصلبوه معتقدين أنه عيسى ابن مريم عليه السلام وهذا هو اليقين القطعي فكذبهم الله تعالى في كتابه العزيز ـ إلى أن قال رحمه الله ـ وهذا حكم من الله في أنه قد رفع عيسى عليه السلام من الأرض إلى السماء فهو حي يرزق حتى يأتي وعد الله بنزوله قبل قيام الساعة»[٢].

وممن بين هذه الأشراط الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ مبينًا أشراط الساعة الكبرى: «ونؤمن بأشراط الساعة تقع بين يدي الساعة قبل يوم القيامة وهي خروج الدجال، والمهدي، ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض»[٣].

وكل ما ذكروه من أشراط دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وآمن بها سلف الأمة عليهم رحمة الله أجمعين.

---

(١) آفاق الهداية (٥/ ١٨١).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ١٩١).

(٣) العقيدة الخالصة ص(٤٣٦).

المبحث الثاني
الإيمان بالموت وما بعده

مما اتفق عليه المسلمون الإيمان أن الموت حق على كل مخلوق، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝﴾(١) وأن بعد هذا الموت ينتقل العبد إلى الحياة البرزخية، وهي الحياة الفاصلة بين الدنيا والآخرة. ويثبتون بأن عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين كل ذلك حق ثابت لا ينكره إلا كافر ملحد.

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝﴾(٢).

وقد فسرها النبي ﷺ بعذاب القبر، لما رواه البخاري عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. نزلت في عذاب القبر»(٣).

وقال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝﴾(٤).

وروى البخاري من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر فسألت

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٣) كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر (٢/ ١٢٤) برقم (١٣٦٩).

(٤) سورة غافر، الآيتان: ٤٥-٤٦.

عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر قال: نعم عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ صلى صلاة إلاّ تعوذ من عذاب القبر»[١].

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «عذاب القبر حق لا ينكره إلاّ ضال مضل»[٢]. وقال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ بعد ذكره للأحاديث والآثار الدالة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه: «ما أسوأ حال من كذّب بهذه الأحاديث، لقد ضل ضلالاً بعيدًا وخسر خسرانًا مبينًا»[٣].

وممن قرر هذه المسألة من علماء المدينة النبوية الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي ـ رحمه الله ـ حيث قال: «والحاصل أنه قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في إثبات عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين فيجب على المسلم اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به ولا يتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف في كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكن قد يأتي بما تحار فيه العقول»[٤].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «ونؤمن بعذاب القبر لمن كان أهلاً لذلك، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ برواية كثير من الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين. والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»[٥].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث

---

(١) كتاب الجنائز: باب ما جاء في عذاب القبر (٢/ ١٢٤) برقم (١٣٧٢).
(٢) طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى أبو الحسين (١/ ١٧٤) تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
(٣) الشريعة (٢/ ١٨٦).
(٤) الجواب الإفريقي ص(٣٧).
(٥) العقيدة الخالصة ص(١١٤).

ذكر أن حياة البرزخ وما جاء فيها من عذاب ونعيم وفتنة ثابت بالنصوص الشرعية. ونقل إجماع الأمة على ثبوتها فقال ـ رحمه الله ـ: «وعذاب القبر وفتنته بسؤال الملائكة لمن مات من الناس ثابت بالنصوص الشرعية وأجمعت عليه الأمة من أهل السنة المطهرة»[١].

وممن أثبت ما يجري بعد الموت من الحياة البرزخية الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «كما يجب الإيمان بالبرزخ الفاصل بين الحياتين، بين الحياة الدنيا وبين الحياة الآخرة»[٢].

وهذا الذي قرره من ذكر من علماء المدينة النبوية هو ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

---

(١) آفاق الهداية (٥/ ٢٤٥).

(٢) مجموع رسائل الجامي ص(١٧).

المبحث الثالث
الإيمان بالبعث وما بعده

البعث هو إحياء الله تعالى الأموات وإخراجهم من قبورهم للحساب وللجزاء، وذلك بعد النفخ في الصور، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[(١)] قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ عند قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ أي: قد قاموا من قبورهم لبعثهم وحسابهم قد تمت منهم الخلقة الجسدية والأرواح، وشخصت أبصارهم»[(٢)].

ومذهب السلف في الإيمان بالبعث أنه يكون بالروح والجسد معًا، قال ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه، ومنه يركب الخلق**»[(٣)].

وعلماء المدينة قرروا البعث والمعاد الجسماني على طريقة أهل السنة والجماعة، ومنهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث وضح أن البعث ثابت بالنصوص الشرعية، وأن من كذب بالبعث فهو كافر بدليل الكتاب العزيز، فيقول ـ رحمه الله ـ في جوابه على أسئلة تتعلق بالبعث.

س: هل يبعث الناس بعد موتهم أم لا؟

ج: نعم يبعثون لقوله تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾[(٤)]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤/ ٣٢٠) تحقيق محمد زهري النجار، الطبعة ثانية، عالم الكتب، بيروت.

(٣) البخاري، كتاب التفسير، باب ونفخ في الصور (٦/ ٤٠) برقم (٤٨١٤).

(٤) سورة طه، الآية: ٥٥.

وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾(١).

س: هل الناس محاسبون ومجزيون بأعمالهم بعد البعث أم لا؟

ج: نعم محاسبون ومجزيون بأعمالهم بدليل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾(٢).

س: ما حكم من كذّب بالبعث؟

ج: حكمه أنه كافر بدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾(٣)»(٤).

وممن قرر البعث وأن الناس محاسبون على أعمالهم: الشيخ عمر إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ حيث ذكر البعث وأن من أنكره فقد كفر بالله تعالى، فيقول في نظمه على الثلاثة الأصول:

والناس يبعثون بعد الموت ... محاسبون ما لذا من فوت
جزاؤهم إزاء أعمال لهم ... من أحسنوا الحسنة حقيقًا حظهم
ومن أساء فالعقاب قسمه ... بعمل منه وذاك إثمه
والبعث من ينكر فقد كفر ... فاتل القرآن وأجل فيه النظر(٥)

وممن نص على البعث الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «الإيمان باليوم الآخر وهو البعث بعد الموت، ويلزم أن يؤمن الإنسان بأن الله يحيي الناس كلهم بعدما يميتهم للحساب والجزاء بما عملوا خيرًا كان أو شرًا، فيدخلهم الجنة أو النار»(٦).

---

(١) سورة نوح، الآيتان: ١٧ـ١٨.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣١.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٧.
(٤) أصول الدين الإسلامي ص(١٨ـ١٩).
(٥) تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول في التوحيد ص(١٠).
(٦) العقيدة الخالصة ص(١٩٢).

وممن كفَّر من أنكر البعث بعد الموت الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث بين أن كل من أنكر البعث أو ما ثبت وقوعه في الآخرة فقد كفر بالله ورسوله ﷺ فقال ـ رحمه الله ـ: «فمن لم يؤمن بالبعث بعد الموت وبما ثبت من أمور الآخرة فإنه كافر بالله ورسوله ﷺ[١]»[٢].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث بين وجوب الإيمان بالبعث بعد الموت وإعادة الحياة إلى أجسادها بعد النفخ في الصور النفخة الثانية، فيقول ـ رحمه الله ـ: «وأما الإيمان بأمور المعاد، فنعني به: الإيمان بالبعث بعد الموت، وإعادة الحياة الحقيقية إلى الأجساد، وما يتبع ذلك مما يجري في عرصات القيامة، وفي الحياة الآخرة، بدءً من البعث بعد الموت، وانتهاءً إلى الجنة ونعيمها الدائم الذي لا يزول، أو إلى النار وعذابها الدائم الذي لا ينتهي ـ إلى أن قال رحمه الله ـ فيجب الإيمان بتلك الحياة الآخرة بكل ما فيها، وأنها حياة حقيقية كهذه الحياة الدنيا، بل هي أكمل؛ لأنها دائمة بإدامة الله إياها»[٣].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث ذكر أركان الإيمان الستة وذكر منها الإيمان باليوم الآخر فقال: «أن نؤمن

---

(١) من أنكر شيئًا مما ثبت من أمور الآخرة غير البعث متأولاً مخطئًا في تأويله فهذا لا يحكم عليه بالكفر إجماعًا، ينظر الأم للشافعي ـ رحمه الله ـ (٦/ ٢٠٥). قال شيخ الإسلام: «أن المتأولين من أهل القبلة الذين ضلوا وأخطأوا في فهم ما جاء به الكتاب والسنة مع إيمانهم بالرسول واعتقادهم صدقه في كل ما قال وأن ما قاله كله حق، والتزموا ذلك، لكنهم أخطأوا في بعض المسائل الخبرية أو العملية، فهؤلاء دلّ الكتاب والسنة على عدم خروجهم من الدين وعدم الحكم لهم بأحكام الكافرين، وأجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أئمة السلف على ذلك، ينظر الارتسام إلى معرفة الأحكام (٢٠٧).

(٢) آفاق الهداية (٧/ ١٢٠).

(٣) مجموع رسائل الجامي ص(١٦).

بالبعث والجزاء والحساب: بالحياة بعد الموت وملاقاة كل جزاء عمله ـ إلى أن قال رحمه الله ـ الإيمان بالبعث وما بعده من جزاء فيه مثوبة للإحسان وعقوبة للإساءة فإنه يوم غيبي وما فيه غيب غُيِّبَ عنَّا وعن حياتنا كلها لم نشهد منه إلاَّ الموت، وأمَّا ما وراءه فهو غيب آمنَّا به»[١].

وذكر ـ رحمه الله ـ في موضع آخر الأدلة على إثبات البعث فقال ـ رحمه الله ـ: «وعموم الأدلة على البعث تنحصر في أربعة أنواع هي أدلة إثبات البعث:

١ـ خلق الإنسان أول مرة. وقد تقدم النص في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾[٣].

بل أفرد له سورة القيامة، وفي نهاية السورة قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[٤].

٢ـ إحياء الأرض بعد موتها كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ

(١) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٥٤ـ٥٥).
(٢) سورة يس، الآية: ٧٨.
(٣) سورة الحج، الآية: ٥.
(٤) الآيات: ٣٦ـ٤٠.

ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾[2].

٣ـ خلق السموات والأرض: كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾[3] بل خلق السموات والأرض كاف لإثباته كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾[4] فبيَّن تعالى أن الذي خلق السموات المشاهدة بالعين والأرض المحسوسة قادر على أن يخلق مثلهم، ثم بيَّن أن مرجعهم إليه وذلك بالبعث وأن أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له: كن فيكون، ولذا قال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝﴾[5] ومعلوم أن خلق السموات أشد وأكبر كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾[6].

٤ـ إحياء الموتى بالفعل في الدنيا ومشاهدة ذلك عيانًا في الطير والحيوان والإنسان»[7].

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٥ـ٦.
(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٩.
(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣٣.
(٤) سورة يس، الآيات: ٨١ـ٨٣.
(٥) سورة النازعات، الآية: ٢٧.
(٦) سورة غافر، الآية: ٥٧.
(٧) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٦٨ـ٦٩).

ثم دلل على ذلك بقصة إبراهيم عليه السلام عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى وبقصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وبقصة قتيل بني إسرائيل.

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بأحواله من المرور على الصراط ووضع الميزان والورود على حوض نبينا ﷺ وغيرها من الأمور التي صح الخبر فيها، قال الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ: «والجنة حق والنار حق، ونؤمن أن الميزان حق وأن حوض نبينا ﷺ حق، لا يظمأ من شرب منه، ويذاد عنه من بدل وغيّر»[1].

قال الشيخ عبدالعزيز الخلف في قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[2] «هذه الآية وأمثالها تدل على أن الله تبارك وتعالى يزن أعمال الناس، الخير منها في كفة والشر في كفة، وهذا أمر مقطوع به يجب الإيمان به كعلم اليقين، والذي يوضع في كفة الميزان تلك الصحف التي سجلها الملائكة على الإنسان في الدنيا، كذا قال العلماء[3]، وفي الآية دليل على أن الموازين كثيرة وليست محدودة بنص ووزن الأعمال يقع في موقف

---

(١) عقيدة السلف الصالح ص(٣١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) قال القرطبي: «والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخف. قال ابن عمر: توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله» التذكرة (٣١٣). وقال السفاريني في لوامع الأنوار: «والحق أن الموزون صحائف الأعمال وصححه ابن عبد البر وغيرهما وذهب إليه جمهور من المفسرين» (٢/ ١٨٧). وهذا القول دل عليه حديث البطاقة في المسند (٣/ ٢١٣) برقم (٦٩٩٤) وصححه الألباني. ينظر: صحيح الترمذي (٢/ ٣٢٣).

الحساب قبل الصراط، وهذا مفهوم ظواهر النصوص والله تعالى أعلم»[١].

وعن الصراط يقول ـ رحمه الله ـ: «الصراط جسم خلقه الله تعالى كيف شاء كجسر يمر منه الناس من المحشر بعد الميزان إلى الجنة مضروب على ظهر جهنم يجتاز منه الناس الذين هم من أهل الجنة إليها ـ إلى أن قال رحمه الله ـ وثبت أن على جنبي الصراط المستقيم الأنبياء وفي مقدتهم محمد ﷺ، يقولون اللهم سلم سلم عند مرور أممهم عليه. وأول من يمر على الصراط إلى الجنة محمد ﷺ ثم أمته الغر المحجلون من آثار الوضوء»[٢].

وما قرره من تقدم من علماء المدينة النبوية في مسألة البعث وما بعده من أحوال يوم القيامة هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة. والله الموفق.

---

(١) آفاق الهداية (٥/ ٣٢٢).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٣٢٧).

الفصل الخامس
جهودهم في تقرير الإيمان بالقضاء والقدر

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : **الإيمان بالقضاء والقدر**

المبحث الثاني : **الإيمان بخلق أفعال العباد**

المبحث الأول

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر أصل من أصول الإيمان، أجمع السلف على الإقرار به ووجوب الإيمان به، وأنكروا على من خاضوا فيه من غير هدى وبصيرة، فتاهوا وانحرفوا عن الصراط المستقيم، والرسول ﷺ غضب غضبًا شديدًا عندما سمع أصحابه يومًا وهم يتنازعون في القدر حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنته الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»[١] والنصوص الآمرة بالإيمان بالقضاء والقدر كثيرة يقول الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ۝﴾[٢]. وروى مسلم في صحيحه عن طاووس قال: «**أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. قال وسمعت عبدالله بن عمر يقول: كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز**[٣]»[٤].

قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «والله لا يطعم رجل طعم

---

(١) الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر (٤/ ٤٤٣) رقم (٢١٣٣)؛ وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٦) برقم (٩٨٩٩).

(٢) سورة الفرقان: الآية: ٢.

(٣) قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «والكيس بفتح الكاف ضد العجز ومعناه الحذق في الأمور ويتناول أمور الدنيا والآخرة ومعناه أن كل شيء لا يقع في الوجود إلا وقد سبق به علم الله ومشيئته وإنما جعلهما في الحديث غاية لذلك للإشارة إلى أن أفعالنا وإن كانت معلومة لنا ومرادة منا فلا تقع مع ذلك منا إلا بمشيئة الله» الفتح (١١/ ٤٧٨).

(٤) مسلم: كتاب القدر، باب كل شيء بقدر (١٦/ ٤٢٠) برقم (٦٦٩٣).

الإيمان حتى يؤمن بالقدر ويقر ويعلم أنه ميت مخرج وأنه مبعوث بعد الموت»[١].

وقال الحسن ـ رحمه الله ـ: «من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالحق إن الله قدَّر خلقًا وقدَّر أجلاً وقدَّر بلاءً وقدَّر مصيبة وقدَّر معافاة، من كذَّب بالقدر فقد كذَّب بالقرآن»[٢].

وقال ابن بطة العكبري ـ رحمه الله ـ: «ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، مقدور واقع من الله عز وجل على العباد، في الوقت الذي أراد أن يقع لا يتقدم الوقت ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[٣].

ومن علماء المدينة النبوية من قرر هذا الركن من أركان الإيمان، ومنهم الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ حيث قال: «الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى هو الإيمان بأن الله قد علم بالأزل ما هو كائن من الأزل إلى الأبد، وهو علم بكليات الأمور وجزئياتها، فخلق القلم وأمره أن يكتب، فكتب القلم بأمره كل كائن وما هم عاملون به، جف القلم من الكتابة بما هو كائن إلى يوم القيامة»[٤].

قال الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ في بيان معنى الإيمان بالقضاء والقدر: «وثبوت القدر في الكتاب والسنة أمر مقطوع به، وهو يعني أن الله جل جلاله قد علم في الأزل ما الناس عاملون في هذه الحياة الدنيا

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٦٦٧) برقم (١٢١٨).

(٢) المصدر السابق (٤/٦٨٢) برقم (١٢٥٤).

(٣) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ص(١٩٣) تحقيق رضا نعسان، الفيصلية، مكة، ١٤٠٤هـ.

(٤) العقيدة الخالصة ص(٢٣٢).

فجرى به القلم فصار كتابًا فهو عنده عز وجل»[١].

وممن قرر هذا الأصل من أصول الإيمان الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث بين معنى الإيمان بالقدر ووجوب الإيمان به، وحذر أيضًا من الخوض في أسرار الرب سبحانه وتعالى في قدره وقضائه فهو الحكيم العليم سبحانه وتعالى، فقال ـ رحمه الله ـ: «ويدخل في المطالب الإلهية الإيمان بقدر الله السابق وقضائه النافذ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصاب العبد في علم الله لا يخطئه، وما أخطأه في علمه لا يصيبه، إذ لا يقع شيء في ملكه دون قدره وقضائه وفعله. وذلك لقوله تعالى: ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾[٢] وقوله تعالى: ﴿ **مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝** ﴾[٣]. والآيات والأحاديث في وجوب الإيمان بالقدر والقضاء كثيرة جدًا كما لا يخفى، وهذا المقدار الذي ذكرته في الإيمان بالقدر، مع الكف عن الخوض في أسرار الرب وقدره وقضائه وأفعاله التي لا تصدر إلا عن حكمة؛ فكما لا يجوز السؤال عن كيفية صفاته تعالى بـ(كيف)؛ كذلك لا يجوز السؤال عن أسرار قدره وقضائه بـ(لماذا) أو بـ(لِمَ) فلا يجوز للمؤمن أن يقول: لم خلق الله هذا، ولم أعطى فلانًا ومنع فلانًا مثلاً، بل يجب الإيمان بأنه سبحانه لا يخلق ولا يرزق ولا يعطي ولا يمنع ولا يحيي ولا يميت إلا لحكمة»[٤].

وممن تعرض لهذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الشبل ـ رحمه الله ـ حيث

(١) آفاق الهداية (٧/ ١٢٣).
(٢) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ٢.
(٤) مجموع رسائل الجامي ص(١٤).

بين أن من آمن بقدر الله وقضاءه وصبر واحتسب وأسلم أمره لله تعالى أورثه الله هدى ويقينًا صادقًا في قلبه ويخلف عليه بخير فقال أن «من أصابته مصيبة فعلم أنها بقدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله، هدى الله قلبه وعوّضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقينًا صادقًا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه»[1].

وممن وضّح معنى الإيمان بالقضاء والقدر الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال عنه: «أن تؤمن بالقدر خيره وشره وأن كل ما كان وما يكون إنما هو من عند الله قدّره في الأزل كما في الحديث: «**أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن وما سيكون إلى يوم القيامة**»[2] ـ إلى أن قال رحمه الله ـ أما القضاء والقدر فهما من لازم العلم والحكمة التامين والقدرة والإرادة، وقد وقع تقدير الكائنات قبل وجودها»[3].

وفي موضع آخر ذكر الدليل من العقل والنقل على إثبات قضاء الله وقدره فقال ـ رحمه الله ـ: «أما إثباته فعقلاً ونقلاً أما عقلاً: فإن الواقع يحتّمه حيث إنك في نفسك لا تعمل شيئًا إلاّ بعد تقديره، فلا تخيط ثوبًا إلاّ بعد تقديره ومعرفة كنهه قبل إعمال المقص فيه. وكذلك البيت لا يبنى إلاّ بعد معرفة جوانبه وأبعاده وما يحتاج إليه ـ إلى أن قال ـ وإذا كان ذلك في مسائل مهما عظمت فهي صغيرة، فما بالنا بالكون كله: علوية وسفلية سماواته

(١) مختصر التوحيد ص (٢٢).
(٢) أخرجه أبوداود في كتاب السنة: باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٤/٢٢٥) رقم (٤٧٠٠). والترمذي، كتاب القدر (٤/٤٥٧) رقم (٢١٥٥). وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٧٤٩).
(٣) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٥٤ـ٥٥).

وأرضه . ـ ثم قال رحمه الله ـ: وأما نقلاً: فالنصوص متضافرة على إثبات القدر في الأزل منها:

١ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾[1] وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾[2]، وقوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[3].

٢ـ ونرى نتيجة ذلك عملياً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[4]»[5].

وكما بيّن العلماء معنى الإيمان بالقضاء والقدر ووجوب الإيمان به فقد حذروا من الخوض في القدر واعتبروه من البدع والإحداث في الدين ولا يسع المسلم إلاّ التسليم لرب العالمين، قال الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ وهو يحذر الأمة وينهاها عن الخوض في القدر ما نصه: «فالخوض بالقدر والقضاء لا يجوز جملة وتفصيلاً[6]، وإنما يجب الإيمان والتسليم لحكم الله العلي القدير وما على المسلم إلاّ أن يؤمن ويسلم بما جاءت به النصوص الشرعية، وإذا حدث شيء من الله تعالى أن يقول: «قدر الله وما شاء فعل» ويقوي به إيمانه بالله سبحانه وتعالى ولا يقول: «لو أني فعلت كذا

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٥.

(٥) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٧٢ـ٧٣).

(٦) إذا كان الخوض في القضاء والقدر بلا علم على وجه التنازع والاعتراض فلا يجوز، وأما الخوض فيه بعلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال السلف الصالح فجائز. ينظر كتاب الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، للعمراني (١/ ١٤٢)، وفيض القدير للمناوي (٥/ ٣٣٥)، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٦/ ٢٧٩).

لكان كذا وكذا فإن لو تفتح عمل الشيطان»[١] كذا ورد عن النبي ﷺ»[٢].

وفي ثنايا حديث علماء المدينة النبوية عن القدر ذكروا الثمرة التي ينالها المؤمن بهذا الأصل العظيم من أصول الدين، فيقول الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ في هذا الشأن: «وثمرة الإيمان بالله واليوم الآخر والقدر هو العمل والخوف من الله وعدم الخوف من غيره، وعدم عصيانه له، ومعرفته بأن الله ناظر إليه، حاضر لديه، ومراقب عليه، لا يغفل عنه طرفة عين وكل عمله خيرًا كان أو شرًا فهو مكتوب عنده، لا يغيب عنه شيء»[٣].

وممن ذكر أثر الإيمان بالقدر على العبد والثمرة التي ينالها بهذا الإيمان الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ حيث قال: «أما أثره في النفس فإنه تبع لمدى الإيمان لأن العبد إذا اعتقد جازمًا أن كل شيء من الله تعالى، وأن الله لا يفعل إلا الخير. اطمأنت نفسه وتقبل ما قدر عليه بارتياح»[٤].

وقال ـ رحمه الله ـ في موضع آخر: «وإذا اجتمع للعبد منازل الرضا بالقضاء، وأيقن أن ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومنازل التوكل على الله، وأيقن أنه لا يسوق الخير إلا الله، ولا يصرف السوء إلا الله. وأيقن أن إحاطته بعلم الله، وشموله برحمة الله، كان أسعد خلق الله»[٥].

ويتبين لنا أن ما قرره من تقدم من علماء المدينة النبوية في باب القدر موافقًا لما كان عليه السلف الصالح، وما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) يشير إلى الحديث الذي رواه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (١٦/ ٤٣١) (٦٧١٦).

(٢) آفاق الهداية (٧/ ١٣١).

(٣) العقيدة الخالصة ص(٢٧٦).

(٤) تعريف عام بعموميات الإسلام ص(٧٣).

(٥) آيات الهداية (٢/ ٢٦٣).

المبحث الثاني
الإيمان بخلق أفعال العباد

ما عليه أهل السنة والجماعة في مسألة خلق أفعال العباد والتي تباينت فيها الأقوال ووقع فيها الخلاف أنهم يقولون أن العباد فاعلون حقيقة والله تعالى خالقهم وخالق أفعالهم، وأن العباد مختارون، لهم إرادة ومشيئة غير خارجة عن مشيئة الله وإرادته سبحانه وتعالى.

والنصوص الدالة على ذلك كثيرة ومنها:

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾[2]

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[3]

وفي الحديث عن حذيفة ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: «**الله يصنع كل صانع وصنعته**»[4]

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: «أفاعيل العباد مخلوقة، وأفاعيل العباد بقضاء وقدر»[5]

(١) سورة الصافات: الآية: ٩٦.

(٢) سورة القمر: الآية: ٥٢.

(٣) سورة فاطر: الآية: ١١.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص(٣٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/١٥٨) برقم (٣٥٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/١٨١) برقم (١٦٣٧).

(٥) السنة للخلال (٣/ ٥٤٤) رقم (٩٠٣).

قال اللالكائي ـ رحمه الله ـ: «إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله ـ عز وجل ـ طاعتها ومعاصيها»[(١)]

وقد قرر الشيخ السيد قاسم الأنديجاني ـ رحمه الله ـ من علماء المدينة النبوية ما قرره أهل السنة والجماعة حيث يقول: «ونؤمن بأن أفعال العباد هي خلق الله وكسب العباد، ولم يكلفهم إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، ولا حول ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله تعالى»[(٢)].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث قال: «من الأمور التي يجب على المسلم الإيمان بها أن الله تبارك وتعالى هو الخالق لأفعال العباد يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[(٣)] وغير ذلك من إجماله وتفصيله، لأنه هو رب كل شيء ومدبره والمنفذ الوحيد لما قضى وقدر في الأزل ـ إلى أن قال رحمه الله ـ ومتى عرف المرء أن أفعاله وأقواله مخلوقة لله تعالى أيقن أنه لا تكون منه حركة ولا سكون إلا بعلم الله تعالى وحكمه وقضائه، سواء في ذلك كره أم رضي»[(٤)].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث قال: «والصواب وسط بينهما: وهو ما عليه أهل السنة والجماعة، وهو أنه لا خالق إلا الله، فالعبد وأعماله مخلوقات لله، والعبد يأتي عمله باختياره، ويذرها باختياره، وهذا سر التكليف ومناط الجزاء خيرًا أو شرًا والعلم عند الله»[(٥)].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٣٤).
(٢) العقيدة الخالصة ص(٢٦٧).
(٣) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٤) آفاق الهداية (٧/ ١٣).
(٥) مجموع رسائل الجامي ص(٣٠).

وممن قرر هذه المسألة الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال: «خلق الخلق وأفعالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم»[١].

وما ذهب إليه من تقدم من علماء المدينة النبوية موافق لدلالة الكتاب والسنة المطهرة. والله أعلم.

(١) رسالة مختصر الحقوق ص(٢٠١).

الباب الرابع

جهودهم في تقرير مسائل الإيمان وأحكامه

وفيه فصلان:

الفصل الأول: **معنى الإيمان وحقيقته.**

الفصل الثاني: **زيادة الإيمان ونقصانه.**

الفصل الأول
معنى الإيمان وحقيقته

مما تميز به أهل السنة والجماعة عن غيرهم من أهل البدع تعريفهم لمعنى الإيمان وحقيقته، فأهل السنة والجماعة مجمعون على أن الإيمان قول وعمل على اختلاف عباراتهم في التعبير، وقد نقل هذا الإجماع غير واحد من العلماء كالشافعي[1]، والبغوي[2]، وابن عبدالبر[3] وغيرهم.

قال الإمام الآجري ـ رحمه الله ـ في كتابه الشريعة، «باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، لا يكون مؤمنًا إلاَّ بأن تجتمع فيه الخصال الثلاث». ـ ثم قال: ـ اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح ثم اعلموا أنه لا تجزيء معرفة بالقلب والتصديق إلاَّ أن يكون معه الإيمان باللسان نطقًا ولا تجزيء معرفة بالقلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمنًا دلَّ عليه القرآن والسنة وقول علماء المسلمين»[4].

قال الإمام اللالكائي: قال الشافعي رحمه الله في كتاب الأم، في باب النية في الصلاة: «نحتج بأن لا تجزيء صلاة إلاَّ بنية لحديث عمر بن

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٤).

(٢) شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي (١/ ٣٨) تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي: الطبعة الأولى.

(٣) التمهيد لابن عبدالبر (٩/ ٢٣٨) تحقيق سعيد أحمد، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

(٤) (٢/ ٦١١).

الخطاب عن النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين ممن أدركناهم: أن الإيمان قول وعمل ونية ولا يجزيء واحد من الثلاثة إلاّ بالآخر»[1].

قال الإمام الأوزاعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «لا يستقيم الإيمان إلاّ بالقول ولا يستقيم الإيمان والقول إلاّ بالعمل ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلاّ بنية موافقة للسنة وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل والعمل من الإيمان والإيمان من العمل، وإنما الإيمان اسم يجمع هذه الأعيان اسمها ويصدقه العمل فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه ولم يصدق بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين»[2].

وقال الإمام البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ: «اتفق الصحابة والتابعون فمن بعده من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان»[3].

وقال الحافظ ابن عبد البر ـ رحمه الله تعالى ـ: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل»[4].

وقال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ: «أخذناه ممَّن قبلنا قول وعمل وأنه لا يكون قول إلاّ بعمل»[5].

وقال الإمام أبوعبيد القاسم بن سلاّم ـ رحمه الله ـ: «فالأمر الذي عليه أهل السنة عندنا ما نصَّ عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعًا»[6].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٥٦/٥ ـ ٩٥٧).
(٢) المصدر السابق (٨٨٦/٥).
(٣) شرح السنة (٣٨/١).
(٤) التمهيد (٢٣٨/٩).
(٥) السنة لعبدالله بن أحمد (٣٤٦/١).
(٦) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (٦٦).

وقال الفضيل ـ رحمه الله تعالى ـ: «ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل»[١].

وقال الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ: «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ولهم أكتب إلا عن من قال: الإيمان قول وعمل ولم أكتب عن من قال: الإيمان قول»[٢].

وقال ابن أبي زمنين ـ رحمه الله ـ: «ومن قول أهل السنة والجماعة أن الإيمان إخلاص لله بالقلوب وشهادة بالألسنة وعمل بالجوارح على نية حسنة وإصابة السنة»[٣].

وقد قرر بعض علماء المدينة النبوية ما قرره أهل السنة والجماعة وأجمعوا عليه في معنى الإيمان وحقيقته. ومنهم الشيخ محمد الطيب الأنصاري ـ رحمه الله ـ حيث قال في نظمه لكشف الشبهات ما نصه:

فلا خلاف أن توحيد العلي ... لابد في تحقيقه بالعمل

بالقلب واللسان والأعمال ... فكل من عرف بالاخلال

بواحد منها ففي الإسلام لم ... يدخل وفي ضلاله قطعًا ألم[٤]

وممن قرر عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الشيخ عمر بن إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ في نظمه للثلاثة الأصول حيث قال:

والرتبة الثانية الإيمان ... اقراره أن يلفظ باللسان

مع اعتقاد داخل الجنان ... وعمل بكامل الأركان[٥]

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد (١/٣٤٧).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٥/٨٩٩) برقم (١٥٩٧).

(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (٢٠٧) تحقيق عبدالله البخاري ط١: ١٤١٥هـ مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية.

(٤) البراهين الواضحات ص(٤١).

(٥) تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول في التوحيد ص(٦).

وممن قرر هذه المسألة على منهج وطريقة أهل السنة والجماعة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝﴾[1] قال ـ رحمه الله ـ: «ثم بين تعالى حقيقة الإيمان، وما عليه المؤمنون. أي إن الإيمان ليس مجرد ادعاء، وإنما هو قول وعمل يصدق القول»[2].

وهذا الذي قرره بعض علماء المدينة في معنى الإيمان هو ما قرره علماء أهل السنة والجماعة وهو ما دل عليه نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) آيات الهداية (٢/ ١٢٠).

الفصل الثاني
زيادة الإيمان ونقصانه

زيادة الإيمان ونقصانه من المسائل التي صرّح بها أهل السنة والجماعة، فالإيمان عندهم يزيد بفعل الطاعة وينقص بفعل المعصية.

وقد نقل البغوي ـ رحمه الله ـ في شرح السنة اتفاق الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء السنة على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[١]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن الصحابة ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة»[٢].

وقال عبدالرزاق: «كان معمر وابن جريج والثوري ومالك وابن عيينة يقولون: الإيمان يزيد وينقص. ـ ثم قال ـ: وأنا أقول ذلك الإيمان قول وعمل الإيمان يزيد وينقص فإن خالفتهم فقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين»[٣].

وقال الإمام الحميدي شيخ البخاري رحمهما الله: «وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص لا ينفع قول إلاّ بعمل ولا عمل ولا قول إلاّ بنية ولا قول وعمل ونية إلاّ بسنة»[٤].

وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ: «فإن الصواب فيه من قال: هو قول وعمل يزيد وينقص وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله

---

(١) (١/ ٣٨ـ٣٩).

(٢) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص(٢١١)، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

(٣) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ٣٤٣).

(٤) أصول السنة ملحق بمسند الحميدي (٢/ ٥٤٦) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ﷺ وعليه مضى أهل الدين والفضل»[١].

وقال الأصفهاني ـ رحمه الله ـ: «والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص زيادته البر والتقوى ونقصانه الفسق والفجور»[٢].

قال الحافظ ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلاَّ بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والطاعات كلها من الإيمان»[٣].

وقال الإمام ابن أبي عاصم ـ رحمه الله ـ: «فالإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٤].

وعلماء المدينة النبوية كانت عقيدتهم في الإيمان أنه يزيد وينقص وهذا هو الذي قرروه سائرين في ذلك على منهج أهل السنة والجماعة. ومنهم الشيخ عمر إبراهيم البري ـ رحمه الله ـ ففي أثناء كلامه عن الإيمان وشعبه وأركانه ذكر ـ رحمه الله ـ أنه يزيد بالطاعات عند العبد وينقص عند فعل المنهيات، فيقول ـ رحمه الله ـ:

يزيد بالطاعات من انسان	وناقص تلقاه بالعصيان
شعبه بضع وسبعون أتت	أفضلها التشهيد لله ثبت
إماطة الأذى كذا أدناها	وكل ذا ذو ثقة رواها[٥]

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عبدالعزيز الخلف ـ رحمه الله ـ حيث

(١) صريح السنة للطبري (٢٥). تحقيق بدر المعتوق ط١: ١٤٠٥هـ: دار الخلفاء، الكويت.

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، لقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (٢/٢٨١) تحقيق محمد ربيع المدخلي ومحمد أبورحيم: دار الراية: الرياض. الطبعة الثانية.

(٣) التمهيد (٩/٢٣٨).

(٤) السنة لابن أبي عاصم (٢/٦٤٥).

(٥) تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول في التوحيد ص(٧).

عقد فصلاً في زيادة الإيمان ونقصانه، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك فيقول ـ رحمه الله ـ: «الإيمان يزيد وينقص، فهو يزيد بالطاعات، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾[1]، وفي سورة المدثر قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ﴾[2] وقد استدل بالآية الأخيرة البخاري ـ رحمه الله ـ على زيادة الإيمان بالطاعات. وأما نقصه فإنه ينقص بترك بعض العبادات، فكما يزداد ينقص، وخاصة بنوافل العبادات سرها وجهرها صغيرها وكبيرها، أما الفرائض فتركها أو شيئًا منها إذا قارنه الجحود فإنه كفر بالإجماع، وكذلك ينقص الإيمان بفعل المعاصي، وكل ما نهى عنه القرآن والسنة»[3].

واستدل الشيخ عبدالعزيز الشبل على زيادة الإيمان ونقصانه بالحديث المرفوع عن أبي سعيد الخدري: «**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره**»[4]. وهذا الحديث كما هو معلوم موضوع ولكن دل على صحة معناه الكتاب والسنة كما سبق.

فقال ـ رحمه الله ـ معلقًا على هذا الحديث: «ودلَّ الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص»[5].

(١) سورة الفتح، الآية: ٤.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٣) آفاق الهداية (٧/ ١٠).

(٤) أخرجه أبونعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ١٠٦) و(١٠/ ٤١) دار الكتاب العربي، بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ. وحكم عليه الشيخ الألباني بأنه موضوع في السلسلة الضعيفة والموضوعة (٣/ ٦٧٣-٦٧٤) برقم (١٤٨٢).

(٥) مختصر التوحيد ص(١٨).

وقال ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝ ﴾[(١)]: «استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية وتظاهرها على زيادة الإيمان ونقصانه»[(٢)].

كما استدل ـ رحمه الله ـ بقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به**»[(٣)] على أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فقال: «فهذا من أدلة سلف الأمة وأئمتها أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»[(٤)].

وممن قرر هذه المسألة الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ فقال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾[(٥)] «فجمعوا بين أعمال القلب من أنها إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إجلالاً لعظمة الله، وخوفًا من عذابه وبين زيادة الإيمان بسماع آيات الله تتلى عليهم، لأن كل آية تتضمن معنى جليلاً وتوجيهًا جميلاً، فيزدادون بها إيمانًا على إيمانهم السابق»[(٦)].

والمقصود أنَّ علماء المدينة النبوية من قرر ما قرره أهل السنة والجماعة في هذه المسألة والله أعلم.

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٢.

(٢) مختصر التوحيد ص(١٩).

(٣) الأربعين لأبي الحسن الطوسي (٥/١) تحقيق مشعل الجبرين، دار ابن حزم، بيروت، ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١٢/١) قال الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: «تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا» (٣٩٤/٢) وضعفه الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح (٣٦/١) برقم (١٦٧).

(٤) مختصر التوحيد ص(٢٨).

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٦) آيات الهداية (١٠٣/٢).

الباب الخامس
جهودهم في الرد على المخالفين

وفيه فصلان:

الفصل الأول: **جهودهم في الرد على الصوفية**

الفصل الثاني: **جهودهم في الرد على الاشتراكية العربية**

الفصل الأول
جهودهم في الرد على الصوفية

تمهيد:

ـ اشتقاق لفظ «الصوفية» وأصلها:

اختلفت الآراء في المعنى الذي أضيف لفظ الصوفي إليه، إذ أنها من الألفاظ المحدثة كما ذكر ذلك الشيخ إحسان إلهي ظهير حيث قال: «فالجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح»[(١)].

ومن تلك الآراء في المعنى المأخوذ من لفظ الصوفية قيل: من لبس الصوف. وقيل: بل هو نسبة إلى أهل الصفة. وقيل: هو نسبة إلى الصف الأول في الصلاة. وقيل: بل هي نسبة إلى رجل يقال له «صوفة». وقيل: هي نسبة للكلمة اليونانية «سوفيا» التي معناها: الحكمة»[(٢)].

واختار شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ القول الأول[(٣)] القائل بأن النسبة إلى لبس الصوف، ومال إلى ذلك ابن خلدون[(٤)]، وهو اختيار أبي نصر السراج[(٥)].

---

(١) التصوف المنشأ والمصادر ص (٤٣)، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٤٠٦هـ.

(٢) الصوفية معتقدًا ومسلكًا: د. صابر طعيمة (٢٠ـ ٢٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٦).

(٤) مقدمة ابن خلدون ص (٤٦٧)، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

(٥) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ص(٤٠) تحقيق عبدالحليم محمد وطه عبدالباقي، دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٠هـ.

تعريف التصوف والصوفية:

تعددت الأقوال وكثرت في تعريف التصوف. فقد ذكر السراج الطوسي : أن تعريفاته تتجاوز المائة[١]. وقال السهروردي[٢]: «وأقوال المشائخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول»[٣].

وقال أحمد بن زروق: «وقد حُدَّ التصوف ورسم، وفسر، بوجوه تبلغ نحو الألفين»[٤].

ومن هذه الأقوال في معنى التصوف ما يلي:

١ـ قول الجنيد ـ وقد سئل عن التصوف ـ: «أن تكون مع الله بلا علاقة»[٥].

٢ـ وقال معروف الكرخي: «التصوف الأخذ بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف»[٦].

٣ـ قال أبو الحسين النوري[٧]: «التصوف ترك كل حظ النفس»[٨].

وما سبق فهو تعريف الصوفية للتصوف ببعض آثاره ومعانيه وصفات

---

(١) اللمع ص(٤٧) نقلاً عن إبراهيم المولد الرقي.

(٢) هو عمر بن محمد بن عبدالله بن حموية شيخ الصوفية ببغداد.

(٣) عوارف المعارف شهاب الدين أبي حفص عمر السهرودي (٢٠٨/١)، تحقيق عبدالحليم محمود ومحمد الشريف. مطبعة السعادة، مصر.

(٤) قواعد التصوف لأبي العباس أحمد بن أحمد زروق ص (٣)، صححه محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.

(٥) عوارف المعارف (١/ ٢٠٢).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) هو أحمد بن محمد على الصحيح، ولد ونشأ ببغداد خراساني الأصل يعرف بابن البغوي، كان من العلماء في ذلك الوقت. توفي سنة (٢٩٥هـ). ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية ص (١٦٤)، وتاريخ بغداد (٥/ ١٣٠)، وطبقات الشعراني (١/ ٨٧).

(٨) طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي ص(١٦٦) تحقيق نور الدين شريبه، دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.

أهله.

وقد وضّح الشيخ محمد خليل هراس التفسير الصحيح لكلمة الصوفية حيث قال: «الصوفية هم جماعة زعموا أنهم يريدون سلوك الطريق إلى الله عز وجل ولكنهم بدلاً من أن يسلكوا طريق الكتاب والسنة الذي لا طريق إلى الله غيره راحوا يشرعون لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله ويضعون لأنفسهم قواعد للسلوك تقوم على الزهد والحرمان ورياضة النفس ومجاهدة الشهوات وادعوا لأنفسهم أحوالاً وواردات ومواجد وأذواق لا يعرفها الدين»[١].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ بعض ما وقعوا فيه من البدع الكفرية كالقول بوحدة الوجود والحلول، وأحوالهم مع مشائخهم واعتقادهم فيهم.

والمقصود هنا ليس الحديث عن الصوفية من حيث النشأة والتطور، ولكن المقصود هو ذكر جهود علماء المدينة النبوية في الرد على الانحرافات العقدية عند هؤلاء القوم، فالصوفية مذهب معروف ذمّه علماء أهل السنة والجماعة، وليست الصوفية التي تدل على الزهد بل التي زادت على المعنى الصحيح للزهد الذي لم يذمه أحد.

ومن علماء المدينة النبوية الذين ردوا على هذه الفرقة المتفرقة الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الأفريقي ـ رحمه الله ـ حيث ذكر الطرق الصوفية وبالأخص الطريقة التيجانية بأنها طرق مبتدعة محدثة بين خطرها على الفرد والمجتمع المسلم فقال ـ رحمه الله ـ:

«ومعلوم لكل ذي لب أن هذه الطرق كلها محدثة؛ لأنه ما لم يكن في

(١) دعوة التوحيد أهميتها والأدوار التي مرت بها ومشاهير دعاتها ص (١٤٩ـ٢٥٠)، دار الشريعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

زمن النبي ﷺ دينًا فهو بدعة باتفاق السلف والخلف، ويبعد صاحبها عن حوض النبي ﷺ لحديث رواه مالك في الموطأ[١] ولفظه: «**فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم ألا هلم هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: فسحقًا، فسحقًا، فسحقًا**»[٢].

وقد تبرأ الله ورسوله ﷺ من أصحاب البدعة. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ** ﴾[٣].

وفي الحديث: «**أنا بريء منهم وهم براء مني**»[٤] ذكره الشاطبي في الاعتصام.

وعن يحيى بن أبي عمر الشيباني قال: كان يقال: يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة، وما انتقل صاحب بدعة! إلاَّ إلى شر منها[٥].

وقال عمر بن عبدالعزيز: «سنَّ رسول الله ﷺ سننًا، وسنَّ ولاة الأمر من بعده سننًا. الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغيرها ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتد، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرًا»[٦].

---

(١) كتاب الطهارة باب جامع الوضوء (١/ ٢٩) برقم (٥٨) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (٣/ ١٣١) برقم (٥٨٣).

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٥٩.

(٤) رواه الديلمي كما في كنز العمال (١/ ١٣٨) برقم (٦٥٤).

(٥) الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي (١/ ٨٥). المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

(٦) الدر المنثور، لعبدالرحمن بن الكمال السيوطي (٢/ ٦٨٦)، والاعتصام للشاطبي (٢/ ٢٦٣).

ومما يعزى لأبي إلياس الألباني: «ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة: اتبع لا تبتدع، اتضع لا ترتفع، ومن ورع لا يتسع»[١]. كذا في الشاطبي عنهم والآثار هنا كثيرة جدًا.

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: «قد أتم الله هذا الدين قبل الطريقة التيجانية وغيرها قال تعالى: ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾[٢] وقال ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة رسوله**»[٣] رواه مالك في الموطأ وقال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ «قبض رسول الله ﷺ وقد تم هذا الدين واستكمل، وإنما ينبغي أن نتبع آثار رسول الله ﷺ»[٤] ذكره الشاطبي في الاعتصام.

فكل من أحدث بدعة ـ وكان ممن يعقل ـ يعلم علمًا ضروريًا أنه ما آمن بقول الله تعالى ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ الآية، إذ لو آمن بها ما ابتدع.

وذكر ابن وهب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون من أمتي دجالون كذابون، يأتونكم ببدع من الحديث لم تسمعوه أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يفتنونكم**»[٥] رواه ابن وضاح[٦].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٨٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) رواه مالك بلاغًا في الموطأ (٢/ ٨٩٩)، وله شاهد عند ابن أبي حاتم (١/ ١٧٢) برقم (٣١٩) عن أبي هريرة وفي إسناده ضعف لكن له شاهد عند ابن أبي حاتم أيضًا (١/ ١٧١) برقم (٣١٨) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال الألباني فيه: (سنده حسن) المشكاة (١/ ٦٦) برقم (١٨٦)، قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: (وهذا محفوظ معروف عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد) التمهيد (٢٤/ ٣٣١) برقم (١٢٨).

(٤) الاعتصام للشاطبي (١/ ١٠٥).

(٥) رواه مسلم، في مقدمة الصحيح، باب: النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في حملها (١/ ٣٧) برقم (١٦).

(٦) ماجاء في البدع لمحمد بن وضاح القرطبي ص (٦٧) برقم (٦٥)، تحقيق: بدر بن =

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «أنه رأى جماعة يجلسون في المسجد وبينهم رجل يقول لهم: سبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا، وكبروا الله كذا وكذا. فقال لهم: والله لقد جئتم ببدعة ظلمًا أو فقتم محمدًا وأصحابه علمًا... إنكارًا عليهم»[١] رواه الدارمي.

وهذا عين الطريقة التيجانية وغيرها من الطرق الصوفية، إنما أنكر عليهم لأنهم اشتقوا لأنفسهم صفة في الذكر لم تكن في زمن النبوة فعليكم باتباع نبيكم وترك ما أحدثه المحدثون، لأن الإيمان لا يكمل إلاَّ بالقول، ولا قول إلاَّ بالعمل، ولا عمل إلاَّ بالنية، فلا إيمان، ولا قول، ولا عمل، ولا نية إلاَّ بموافقة السنة النبوية، كما قال ابن أبي زيد القيرواني في رسالته[٢] فسبحان الله العظيم، تقرأون في الرسالة ليلاً ونهارًا، ولا تفهمون معناها، بماذا تفسرون قوله: «وترك كل ما أحدثه المحدثون»، وبماذا تفسرون قوله: «إلاَّ بموافقة السنة»؟ وهل هذه الطريقة التيجانية كانت في زمن النبي ﷺ؟ فإن لم تكن في زمنه كانت مما أحدثه المحدثون. ومن ادعى أنها كانت في زمان النبوة فليأت بالبرهان. وتاريخ موت صاحبها الذي ابتدعها لدينا محفوظ وإن الله لم يكلف نبيه ﷺ بعد الموت بشيء ما. ولم يترك شيئًا مما أمر بتبليغه إلاَّ بلَّغه في حياته. انظر تفسير سورة النصر لا كما يزعم التيجانيون»[٣].

- عبدالله البدر: دار الصميعي: الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ.

(١) سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل الدارمي (١/٧٩) برقم (٢٠٤)، تحقيق: فواز أحمد وخالد السبع، دار الكتاب العربي: بيروت: ١٤٠٧هـ. وأخرجه ابن وضاح في ما جاء في البدع ص (٤٠) برقم (٩)، وصححه الألباني في السلسلة (٥/ ١١) برقم (٢٠٠٥).

(٢) رسالة ابن أبي زيد ص (٤٨٩) ضمن مجموعة رسائل الردود للشيخ بكر أبوزيد. دار العاصمة: الطبعة الأولى. ١٤١٤هـ.

(٣) الأنوار الرحمانية ص(١٣ـ١٧).

ومن علماء المدينة النبوية الذين بينوا بطلان طريقة المتصوفة الشيخ صالح بن أحمد ـ رحمه الله ـ حيث استدل على أن الطرق الصوفية طرق مبتدعة لا أصل لها بتضليل بعضها بعضًا فكل صاحب طريقة يرى أنه هو الأصل وأن طريقته هي الأفضل المأخوذة عن رسول الله ﷺ، وأوضح أن تمسكهم بهذه الطرق لأنها سبيل للعيش والتكسب فقال ـ رحمه الله ـ في معرض رده على أحمد بن محمد نور الصوفي ما نصه:

«قال في (ص ٣) ـ يعني أحمد بن محمد نور ـ: وقد يقع الاختلاف في الدين الواحد فالكتابيون افترقوا إلى إحدى وسبعين فرقة، والناجية في الجملة واحدة، والمسلمون افترقوا إلى اثنتين وسبعين فرقة والناجية واحدة[1] وهي المتوسطة بين الإفراط والتفريط» ثم ذكر حديثًا آخر ضد الحديث السابق عن النبي ﷺ.

ففي (ص ٢٦) بالصفة الآتية حرفًا بحرف وقال: «وقد قال الإمام الغزالي في كتاب الإحياء[2]: روينا حديثًا عن النبي ﷺ «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا الزنادقة**»[3].

ثم قال: «إذ لو كانت هذه الفرق كلها على كثرتها خالية عن الحق لما

---

(١) يشير إلى حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**». رواه ابن ماجة (٢/ ١٣٢٢) برقم (٣٩٩١) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٢/ ٣٦٤) برقم (٣٢٢٧).

(٢) لم أقف عليه في الإحياء، ولم يذكره العراقي في تخريجه على الإحياء.

(٣) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٠١)، تحقيق: الدكتور عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٩٦) برقم (٤٤٦)، تحقيق: توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

دخلت الجنة.

عجبًا من الأستاذ وحججه، أتى بحديثين متناقضين:

ـ الحديث الأول يقضي بأن الفرق كلها في النار إلاّ واحدة فإنها في الجنة.

ـ الحديث الثاني يقضي بالعكس أن الفرق كلها في الجنة إلاّ واحدة فإنها في النار.

فلا أدري أيهما صحيح عند الأستاذ وأيهما اعتمد، غالبًا المعتمد عنده الثاني لأنه يجده وفقًا لدعواه؛ لأن الطرق فرق كثيرة ويريد أن يدخلها الجنة كلها بالمغالطة، ولذلك قال:

لو كانت هذه الفرق كلها على كثرتها خالية عن الحق لما دخلت الجنة. اعترف هذا أن الطرق هي فرق وسيرجع عن قريب ويجعلهم فرقة واحدة.

وإن قال الحديث الأول هو الحق وهو الصحيح فويل له؛ لأنه من أهل السبل، وإن قال الجميع حق وصواب فإن ذلك غير معقول أن يكون المتضادان حقًّا وصوابًا معًا. كما نقل عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ قال أشهب[١]: «سمعت مالكًا يقول: ما الحق إلاّ واحد، قولان مختلفان لا يكونان صوابًا جميعًا، ما الحق والصواب إلاّ واحد. قال أشهب: وبه يقول الليث»[٢].

---

(١) هو أشهب بن عبدالعزيز بن داود بن إبراهيم أبوعمر القيسي العامري الجعدي، اسمه مسكين، وهو مفتي مصر من الطبقة الوسطى من أصحاب مالك، وأشهب لقب. روى عن مالك والليث والفضيل بن عياض، توفي سنة (٢٠٤هـ). ينظر: الديباج المذهب (١/ ٣٠٧)، والسير (٩/ ٥٠٠) برقم (١٩٠)؛ والتاريخ الكبير (٢/ ٥٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ٨٢). دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

وقال في (ص ٦٣) أيضًا: «لعلك تقول: الحق واحد في نفسه وترى طرق الصوفية متعددة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[1].

فاعلم أن كلام الله صدق وأن الحق واحد وأن تعدد الطرق الصوفية لا ينافيه، والشواهد على ذلك سمعًا وعقلاً، فنكتفي من شواهد السمع بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[2] فمن أراد أن ينكر تعدد طرق الصوفية فليكسر (الباء) ونيزد (ياء) بعدها ليكون السبيل مفردًا... ـ إلى أن قال ـ: فإن اتحاد حق الشريعة كاتحاد عين كثيرة الماء، وتعدد طرق الصوفية كجداول عديدة متفرعة عنها. (انظر إلى تناقض كلام هذا الرجل، فيما سبق جعلهم فرقًا بقوله: إذ لو كانت هذه الفرق كلها على كثرتها خالية عن الحق لما دخلت الجنة وهنا وحّدهم).

فنقول وبالله التوفيق:

الأستاذ أتى بآية من القرآن للسؤال المقدر «لعله أن يقال» فلما رآها حجة عليه فرّ منها فرار الآبق وجعلها من كلام الوهابية لا من كلام الله، واستدل لإبطالها بآية من كتاب الله وهي الآية المذكورة آنفًا ظنها حجة له لإبطال الآية الأولى، وقسرها على هواه ليثبت بها طرقه المبتدعة، وهو ليس أهلاً لإدراك معنى القرآن إلا أنه لما رأى في الآية الثانية لفظة الجمع انتهزها فرصة لإثبات تعدد طرقه المبتدعة، تعالى الله عن أن يضل من جاهد فيه، والسبل التي يهدي إليها ربنا من جاهد فيه هي سبل الخير التي شرعها لعباده المؤمنين في كتابه العزيز وسنة نبيه ﷺ وهي كثيرة كما جاء في الحديث

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

المتفق عليه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو ـ بضع وستون شعبة ـ فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[١]. ومن السبل وشعب الإيمان الصلاة فرائضها ونوافلها، ومن السبل الصوم فرائضه ونوافله. ومن السبل الحج فرائضه ونوافله. ومن السبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن السبل الجهاد وجميع التكاليف الشرعية هي شعب وهي السبل ـ قال البغوي في تفسيره [قال الفضيل بن عياض: «والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به». وقال سهل بن عبدالله: «والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة». وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا»][٢]. هذا تفسير أهل العلم للآية وهو الذي لا ريب فيه أنه الصواب. والحديث الذي ذكره في (ص: ٣) فعلينا ألاّ نخوض فيه لإبطاله حيث أنه لم يرفعه إلى رسول الله ﷺ. وأما الحديث الذي ذكره في (ص: ٣٦) فقد تتبعت لطلبه كتب الحديث حتى كتب الموضوعات فلم أجد له أصلاً. وأخيرًا وجدت في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للمجتهد محمد بن علي الشوكاني ـ رحمه الله ـ شبيهًا له بالجملة وهذا هو:

حديث: تفترق أمتي على سبعين ـ أو إحدى وسبعين ـ فرقة، كلهم في الجنة إلاّ واحدة قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: الزنادقة، والقدرية»[٣]

---

(١) صحيح البخاري: كتاب: الإيمان. باب: أمور الإيمان (١/ ١٠) برقم (٩)، وصحيح مسلم: كتاب: الإيمان. باب: عدد شعب الإيمان وأفضلها (٢/ ١٩٥) برقم (١٥١).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٤٧٥).

(٣) سبق تخريجه في ص (٢٨٥).

رواه العقيلي عن أنس مرفوعًا، وفي إسناده رجل مجهول. وقال العقيلي: هذا حديث لا يرجع منه إلى حجة[١]. ورواه الدارقطني[٢]: قال العلماء: وضعه الأبرد بن الأشرس. قال في الميزان: هو كذاب وضاع[٣]. اهـ.

إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: وأمَّا مثله الأجوف الذي قال فيه إن الطرق كالجداول متفرعة من نهر واحد فقد كذب في ذلك؛ هيهات بينه وبين ما زعم:

أولاً: لم يكن للطرق أصلٌ شرعي.

ثانيًا: لم يكن لطرقهم المبتدعة مصدر واحد، وإنما كل امرئ منهم يحدث بحديث ما شاء مما يسميه الذكر وينسبه إلى الصحابي الجليل بعد أسماء يسردها من كيسه لا يعرف منهم إلاَّ الصحابي المكذوب عليه أو التابعي. وبعضهم يزعم أنهم أخذوها عن رسول الله ﷺ رأسًا.

وممَّا يدل على أن الطرق مبتدعة لا أصل لها أنك تراهم يضلل بعضهم بعضًا وكل واحد منهم يرى أنه طريقته هي الأصل وهي المأخوذة عن النبي ﷺ وهي الأفضل من طريقة غيره، ويرون أن الجنة مضمونة لهم ولمن اتبع طريقتهم، ولا يسلم منهم من ذلك إلاَّ يسير. هذا مع أن بعضهم يعلم أنه ليس للطرق أصل في الشرع ولكن يتمسكون بها لتكون لهم سلمًا للتعيش، وقد أخبرني بذلك رجل فاضل من أهل العلم قال: إنه اجتمع مع شيخ من أهل العلم ووجد عنده شيخ الطريقة، فقال الشيخ لشيخ الطريقة ـ ما معناه ـ: إنك تعلم يا شيخ أن الطرق شيء محدث في الدين وخير لك أن تتركها. فقال شيخ الطريقة مجيبًا له: إني أعلم أنها بدعة، ولكن هي سبب عيشي. فقال له

(١) الضعفاء (٤/ ٢٠١) برقم (١٧٨٢).

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (١/ ١٩٦).

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (١/ ٧٨) برقم (٢٦٩)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر.

الشيخ: أنت تراها بدعة وتتمسك بها للتعيش، ولكن أولادك لا يرون ما تراه أنت، بل يرونها دينًا يتمسكون بها فيهلكون فقال: ما يهمني ذلك»[1].

وذكر ـ رحمه الله ـ في رسالته «إرشاد المحتار إلى السبيل المختار» الصوفية وجملة من انحرافاتهم العقدية موضحًا بطلان طرقهم المبتدعة فقال: «كما ترى فريقًا منهم يُدعون الصوفية يزعمون أن لهم طريقًا إلى الله غير طريق الرسول ﷺ ويقولون أقوالاً يثقل ذكرها على اللسان ويقولون نحن أهل الباطن وفي الحقيقة هم أهل الباطل الذي لا باطل بعده، وفريقًا من الطرقية يكذبون على النبي ﷺ ويقولون طريقتنا مروية عنه ويسندونها إليه بأسماء يسردونها من عند أنفسهم مما لا يعلمه أهل الحديث، وفريقًا منهم يزعم أنهم يأخذونها مباشرة عنه ﷺ وهذا الفريق هو الغالب في المسلمين اليوم والعجب كل العجب من بعض من ينتسب إلى العلم أنهم يأتون شيخ الطريقة الجاهل ليستأذنوه في الذكر وهم يتلون ليلاً ونهارًا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝﴾[2] بصيغة الأمر لا بصيغة الإذن وبعد أمر الله لهم بالذكر يطلبون الإذن من عبدالله الجاهل المبتدع»[3].

ومن علماء المدينة النبوية الذين بينوا ضلال الطرق الصوفية وانحرافاتهم العقدية الشيخ علي آل سنان ـ رحمه الله ـ حيث قال عنها: «إنها قد طغت وازدادت على هذا الدين الحنيف بإضافتها إليه ما ليس منه، وهو غير مشروع قطعًا، وزعمت أنها على الحقيقة والطريقة التي شكلوها وسموا أنفسهم أهل الباطن وغيرهم من أهل السنة أهل الظاهر فقسموا الحق إلى قسمين: ظاهرًا (وهو للعوام من المسلمين ويعنون بذلك المتمسكين بالسنة

(١) تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور (٦٣ـ٦٨).

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٣) ص (٢٠).

التي جاء بها نبينا محمد ﷺ)، وباطنٌ وهو خاص بهم، أي الصوفية حيث أنهم عرفوا الحقيقة والطريقة وغيرهم لا يعرفون إلاَّ الحقيقة[1] فقط.

وبالحقيقة هم أهل الباطل، أتوا بباطل وزعموا أنه هو الدين الحق الذي عرفوه، دون غيرهم. فلبسوا على الأمة الإسلامية دينها الذي ارتضاه الله لها، وجعلوه شركًا بالله، وما جاءوا به من الشرك بالله (مثل: دعاء غير الله، والاستغاثة بغيره، والاستعانة بغيره وكل ما يختص به الله لغيره) دينًا وتوحيدًا، وألزموا المسلمين ما لم يلزمه الله عليهم، وأوجبوا عليهم غير ما أوجبه الله من أوراد وأحزاب وترهات بألفاظ شركية ما أنزل الله بها من سلطان ودعَّموا ذلك بالأكاذيب على رسول الله ﷺ وأسندوه إلى أهل العلم من المسلمين كذبًا وزورًا.

وأوَّلوا القرآن على حسب هواهم وحرفوا معانيه على حسب عقيدتهم فيسر الله لهذا الدين الإسلامي من يذب عنه ويوضح للمسلمين ما نسب إلى هذا الدين الواضح النقي الذي قد أكمله الله على على لسان النبي ﷺ بقوله

(١) لعله قصد «الشريعة» ومعلوم أن الصوفية يقسمون الدين إلى شريعة، وطريقة، وحقيقة ويسمون أهل الشريعة أهل الظاهر وهم العامة وهم الأنبياء المرسلون ومن تبعهم ممن تقيدوا بالأحكام المشروعة، ويسمون أنفسهم بأهل الطريقة وهم أهل الباطن وأعلى منهم درجة أهل الحقيقة منهم وهم أهل باطن الباطن، وفي الفرق بين الطريقة والحقيقة التي يزعمونها يقول الدردير: (التصوف بمعنى العمل هو الطريقة يعني ـ السلوك والوسيلة والطريق عند الصوفية ـ أما الشريعة فهي الأحكام التي وردت عن الشارع المعبر عنها بالدين؛ وأما الحقيقة فهي أسرار الشريعة ونتيجة الطريقة فهي علوم ومعارف تحصل لقلوب السالكين بعد صفائها من كدرات الطبائع البشرية) ينظر كتاب «سيدي أحمد الدردير» لعبدالحليم محمود ص(٧٨)، مطبعة دار المعارف، القاهرة، وقال ابن عجيبة: (العلوم ثلاثة: ظاهر، وباطن، وباطن الباطن كما أن الإنسان له ظاهر وباطن، وباطن الباطن فعلم الشريعة ظاهر. وعلم الطريقة باطن؛ وعلم الحقيقة باطن الباطن) ينظر كتاب «التصوف المنشأ والمصادر» لإحسان إلهي ظهير ـ رحمه الله ـ ص(٢٤٥).

تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[١].

والصوفية بزعمهم أنهم على الحقيقة والطريقة لم يؤمنوا بهذه الآية وما شاكلها من الآيات الدالة على أن الدين لا يحتاج إلى زيادة، وأن من زعم ذلك فقد اتهم النبي ﷺ بالخيانة وأنه لم يبين للناس ما نزل إليهم كاملاً، وقد قيل عن الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ أنه قال: «من حسّن بدعته فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة»[٢].

وأيضًا قيل عن الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ أنه قال: «من حسّن بدعته فقد استدرك على النبي ﷺ»[٣].

وهكذا يؤثر عن جميع العلماء بالسنة الصحيحة»[٤].

وفي موضع آخر ذكر ـ رحمه الله ـ الصوفية ووصفهم بأنهم لا يعقلون ما يقولون فهم مغفلون لا يتركون بابًا من أبواب البدع والخرافات إلاّ ولجوه فيقول ـ رحمه الله ـ: «وكم وكم من العجائب والغرائب تقرأها في كتب الصوفية وخصوصًا كتاب الشعراني الذي يسميه طبقات الأولياء فيحكي فيه حكايات يستحي الإنسان من ذكرها ولكنهم يكتبون ولا يعلمون ما يكتبون ولا يعقلون ما يقولون وكأنهم كالذي ينطق بما لا يسمع لأنهم يعتقدون أنهم لا يقولون إلاّ حقًا ولا ينقلون عن مشايخهم إلاّ صدقًا بل ربما يفعلون الأفعال المحرمة كتابًا وسنة، ويعتقدون أنها أحلت لهم، خاصة كرامة لهم: لأن الله يكرم عباده بما يشاء وهذا صحيح أن الله يكرم عباده بما يشاء؛ ولكن يكرمهم

(١) سورة المائدة: الآية: ٣.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) الإحكام لعلي بن أحمد بن حزم (٦/ ٢٢٥)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

(٤) المجموع المفيد (٤٣ـ ٤٤).

بما أحل لا بما حرم، وهؤلاء ـ أي: الصوفية ـ بالعكس من هذا فهم يرتكبون المحرمات، ويعتقدون أنها حلال لهم؛ لأن الله تعالى أحل لهم ذلك وهذا هو الضلال المبين، وهو من تلبيس إبليس لهؤلاء المغفلين وإلاَّ فكيف يرتكب الإنسان المحرم، ويقول إنه حلال أحله الله له، والحقيقة أنهم لا يعقلون ما يقولون كما قلنا مراراً»[1]، ثم ذكر ـ رحمه الله ـ سبب ضلالهم وسخافة عقولهم، حتى صار الحق عندهم باطل والباطل حقاً، فاتباعهم الشيطان وسبله، دون تفكير وفهم أولهم إلى ما وصلوا إليه من الضلال المبين والبعد عن هدي سيد المرسلين ﷺ فقال ـ رحمه الله ـ: «لأن الشيطان يفتيهم بهذه الفتاوى، وهذا يشهد له ما تقدم من قول النبي ﷺ في السبل التي خطها على يمين الصراط ويساره، وقال: «على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو إليه: هلموا، هلموا الخير عندي»[2] فيتبعون تلك السبل الشيطانية بغير تفكير ولا تحير وإلاَّ فهم يعلمون علم اليقين أن الشيطان لا يدعو إلاَّ إلى المحرمات لأنه لا يدعو إلى الجنة بل يدعو إلى النار كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾[3] ولكن الصوفية اتخذوا الشيطان صاحبًا يجرهم إلى كل مخالفة ويزين لهم كل معصية وهم ينجرفون وراءه بدون تراجع أو تأني.

وهكذا يغلب عليهم في تزيين البدع والخرافات فلا يتركون بابًا من

---

(١) المجموع المفيد ص(٦٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٥) برقم (٤١٤٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٣٤٣) برقم (١١١٧٥)، وابن أبي حاتم في التفسير (٥/ ١٤٢٢) برقم (٨١٠٢) وصححه الألباني في تحقيق شرح العقيدة الطحاوية ص(٥٨٧)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٦.

أبواب البدع أو الخرافات لأن الشيطان قد رغّبهم فيها وزيّنها لهم ومنّاهم بأنهم على الحق وغيرهم على الباطل»[(١)]. وعن تعصب الصوفية لمذهبهم، وردهم للحق وعدم قبولهم له، وتأويل الأدلة الصحيحة الصريحة التي تكشف بطلان ما هم عليه، وتقديمهم كلام مشايخهم على كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ يقول الشيخ علي آل سنان ـ رحمه الله ـ: «وإذا سمعوا صيحة من علماء السنة استنكروا ذلك وأولوا كل دليل يستدل به عليهم وإذا قيل لهم: إن دليل هذه البدعة ضعيف، أو موضوع لا يقبلون ذلك لأن مشائخهم قد ذكروا ذلك في كتبهم وهم لا يذكرون إلا ما كان صحيحًا ولا يمكن أن يذكر حديثٌ ضعيفًا أو كذبًا وهكذا من ينتسب إلى باطل يستدل بهذه الأقوال التعسفية التي هي كنسج العنكبوت، ولو أنهم تمسكوا بكتاب الله تعالى وفهموا معناه كما يفهمه أهل السنة والجماعة ودعوا الناس إلى توحيد الله وحده لا شريك له في جميع أنواعه التي يعظم الله بها، وكذلك لو تمسكوا بسنة رسول الله ﷺ الصحيحة واتبعوا الرسول ﷺ بأقواله وأفعاله وتقريراته لكانوا أحسن الناس قولاً، وأكثرهم عملاً»[(٢)].

ومن العلماء الذين كان لهم جهود بارزة في الرد على الصوفية الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ ولعل ما كتبه عن الصوفية وعقائدهم خير شاهد على ذلك. وقد تحدث ـ رحمه الله ـ عن الصوفية في القارة الإفريقية ونشاطهم ودعوتهم ومما ذكره قوله: «الواقع أن لمشائخ الصوفية أعمالاً ومجهودًا ملموسًا في القارة وأنهم دعوا الناس إلى شيء إلا أن ذلك الشيء غير الإسلام في حقيقته وجوهره، وهم يعلمون في الغالب الكثير هذه

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المجموع المفيد (٦٩ـ ٧٠).

الحقيقة من أنفسهم، وإن كان يوجد فيهم من يجهلون هذه الحقيقة ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

يعرف تفاصيل ما أجملت كل من خالط القوم، بل قد صرح بذلك بعض من تاب إلى الله عليهم فتابوا وصرحوا بأنهم ليسوا على شيء قبل التوبة، فنسأل الله لنا ولكم العافية. وأما بعض العبادات التي يؤدونها وفق تعاليم الإسلام وبعض الأوراد التي يترنمون بها في حضراتهم وتنطلي على السذج وما قد يتظاهرون به مما ظاهره الإسلام أمام العوام فكل ذلك ملعقة عسل في كوب من السم القاتل فاحذروها لعلكم تسلمون»[1].

ثم ذكر ـ رحمه الله ـ بعض أهداف الصوفية في دعوتهم وأذكرها هنا بتصرف:

١ ـ تسخير العوام واستخدامهم في مصالحهم الخاصة بدعوى أنهم أهل الله وخاصته فيجب على الناس الخضوع لهم، وأن يكونوا طوعًا لأوامرهم وذكر ـ رحمه الله ـ القاعدة الصوفية التي تقول: (يجب على المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المغسل، مسلوب الحرية والاختيار، فاقد الإرادة والحركة حتى حركة الضمير وحديث النفس؛ لأن من صفات الشيخ معرفة ما في الضمائر) ومن خرج عن هذه القاعدة يكون عرضة لغضب الشيخ، ومن يحلل عليه غضبه فقد هلك».

٢ ـ تزهيد الناس في علم الكتاب والسنة وعلماء الشريعة بدعوى أن علما الشريعة هم أهل الظاهر، وأنهم هم أهل الباطن. وعلوم الشريعة قشور غير نافعة.

٣ ـ سعيهم للوصول إلى ما يسمونه بالحرية المطلقة وهي التحلل

(١) مجموع رسائل الجامي (٣١٧).

الكلي من جميع التكاليف وهو دين وحدة الوجود»[١].

ومما سبق ذكره من كلام بعض علماء المدينة النبوية عن الصوفية كان بيانًا لموقفهم منهم بالجملة، وفيما يلي أذكر بعض الانحرافات العقدية التي تناولها بعض علماء المدينة النبوية بالرد والإنكار موضحين خطرها وأنها من المحدثات في الدين، وأول تلك الانحرافات هي:

١ ـ التلقي عن الله مباشرة:

من الانحرافات العقدية التي ادعاها الصوفية وهي ثابتة في كتبهم زعمهم أنهم يتلقون علومهم عن الله تعالى مباشرة. وأنه لا فرق بين وحي الأنبياء ووحي الأولياء في طريقة الإلقاء. فالولي ينزل الوحي عليه بطريق الملك كالأنبياء، وقد يتلقى عن الله مباشرة دون واسطة.

(أ) ولعل ابن عربي من مشايخ الصوفية أكثر من تكلم بهذه العقيدة، ومن ذلك ما جاء عنه حيث يقول:

«اعلم أن العارفين ـ رضي الله عنهم ـ لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوّبوا عليه فقط، ذلك لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لإلقائه على حسب ما حدَّ لهم فقد يلقون الشيء إلى ما ليس من جنسه امتثالاً لأمر ربهم، وهو تعالى يعلم حكمة ذلك»[٢].

وهذا زعم صريح في أن الأولياء يتلقون علومهم عن الله، وأنهم يلقنون العلوم التي تلقوها حسب ما حد لهم.

(ب) ومن المتصوفة الذين صرحوا بتلقي علومهم عن الله عز وجل

---

(١) مجموع رسائل الجامي (٣١٧ـ ٣١٨) بتصرف.

(٢) اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر للشعراني (٢/ ٢٤ـ ٢٥).

مباشرة: أبويزيد البسطامي من مشائخ الصوفية الكبار حيث قال: «أخذتم علمكم ميتًا عن ميت، ونحن أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت»[١].

وهذا الكلام من أبي يزيد البسطامي استخفاف بأهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بما جاء عن النبي ﷺ وصحابته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وهو استهزاء بنقلة هذا العلم من علماء أهل السنة والجماعة.

(ج) ومن المتصوفة الذين زعموا أن الأولياء يتلقون علومهم من الله تعالى مباشرة وأن من أنكر أن الولي لا يشاهد الملك فهو من الذين لم يفتح الله عليهم ـ عبد العزيز الدباغ ـ حيث قال: «وأما ما ذكروه في الفرق بين النبي والولي من نزول الملك وعدمه فليس بصحيح لأن المفتوح عليه سواء كان وليًا، أو نبيًا لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ويخاطبهم ويخاطبونه وكل من قال إن الولي لا يشاهد هذا الملك ولا يكلمه فذلك دليل على أنه غير مفتوح عليه»[٢].

وقال الدباغ أيضًا:

«وينزل الملك على الولي بالأمر والنهي»[٣].

وهذه العقيدة الباطلة تصادم نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وقد دلَّ الكتاب والسنة على ختم النبوة بمحمد ﷺ. وطريق التلقي عن الله تعالى هو طريق النبوة، ولا نبوة بعد النبي ﷺ.

وفيما يلي أورد بعض الأدلة من القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين ﷺ

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبدالرؤوف المناوي (٣/ ٣٩٦). المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، مصر ١٣٥٦هـ.
(٢) الإبريز لعبدالعزيز الدباغ ص(١٤٣).
(٣) المصدر نفسه.

والتي تدل على ختم النبوة بمحمد ﷺ وأن التلقي عن الله لا يمكن لأحد بعده، ثم أثني بذكر إجماع أهل الإسلام على ذلك.

(أ) أمّا دلالة القرآن الكريم على ختم النبوة فجاء في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[1].

وفي هذه الآية دلالة صريحة على أن النبي ﷺ هو آخر الأنبياء فلا نبي بعده إلى قيام الساعة. كما تدل ضمنًا أن التلقي عن الله تعالى قد أغلق، ولذلك كل من ادّعى التلقي عن الله تعالى فقد كذّب وكفر بعقيدة الختم.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: «يقول الله تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغيره ذا علم لا يخفى عليه شيء»[2].

وقال البغوي ـ رحمه الله ـ في معالم التنزيل: «ختم الله به النبوة، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يريد ـ أي الله تعالى ـ لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنًا يكون بعده نبيًا»[3].

(ب) وأما دلالة السنة على عقيدة الختم فقد تواترت مما لا يدع للشك مجالاً فيها.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وقد أخبر الله تعالى في كتابه

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.
(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن (٢١/ ١٢).
(٣) (٤/ ٥٣٣).

ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل»[١].

ومن الأدلة على ختم النبوة الحديث الذي رواه أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت اللبنة! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[٢].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة**»[٣]

وفي الحديث دلالة واضحة على ارتباط ختم النبوة بانقطاع الوحي والتلقي عن الله تعالى الذي يدعيه الدجالون من المتصوفة.

(ج) وأمَّا إجماع أهل الإسلام على ختم النبوة والذي به انقطع الوحي والتلقي عن الله تعالى فقد نقله غير واحد من أهل العلم، ومنهم: البغدادي ـ رحمه الله ـ حيث قال: «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس آدم عليه السلام وآخرهم عند المسلمين محمد ﷺ»[٤].

ونقل الإجماع أيضًا القاضي عياض ـ رحمه الله ـ حيث قال: «أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٩٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين ﷺ (٤/ ١٩٦) برقم (٣٥٣٥)، ورواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين (١٥/ ٥١) برقم (٥٩٢٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التعبير، باب: المبشرات (٨/ ٨٩) برقم (٦٩٩٠).

(٤) الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي ص(٣٤٢)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.

أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد منه دون تأويل ولا تخصيص»[١].

وقد سار علماء الإسلام على القول بختم النبوة برسول الله ﷺ، وأن الوحي انقطع بموته ﷺ. قال القسطلاني:

«إن الوحي منقطع بموته ﷺ»[٢].

ومن علماء الإسلام الذين أبطلوا مزاعم الصوفية في تلقين الله تعالى لهم علمًا خصه بهم الشيخ صالح بن أحمد المصوعي ـ رحمه الله ـ من علماء المدينة النبوية حيث أبان في رسالته التي رد فيها على محمد بن أحمد نور الصوفي بطلان ما زعمه الأخير من أن ساداته الصوفية خُصصوا بعلم من عند الله تعالى. وتناول الإجابة على ما استدل به، ودحض دعواه الباطلة فقال: «وفي (ص ٥٠): ادعى العلم الباطن الذي هو أكبر بلواهم به، واستدل له بحديث: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا**»[٣] وزعم أيضًا أن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال في قوله تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾[٤] الآية. قال: «لو ذكرت تفسيره لرجمتوني» وفي لفظ آخر: «لقلتم إنه كافر»[٥]، واستدل أيضًا بحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: للقاضي عياض (١/ ٢٧٠)، تحقيق علي بجاوي، مطبعة عيسى البابي حلبي.

(٢) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (١٠/ ١٢٨)، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

(٣) رواه البخاري، في كتاب: الرقاق، باب: قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**» (٧/ ٢٣٨) برقم (٦٤٨٥).

(٤) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وقد ذكر ابن جرير الطبري تفسير هذه الآية عن ابن عباس من طريقين. أما الأول فقال في الآية: «لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها» أما الطريق الثاني فقال: «ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر» تفسير ابن جرير (٢٨/ ١٥٣).

أنه قال: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم»[(١)]. وقال أيضًا: قال رسول الله ﷺ: «**ما فضلكم أبوبكر بكثرة الصيام ولا صلاة؛ ولكن بسر وقر في صدره**»[(٢)] إلخ[(٣)].

أما استدلاله بحديث: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا» علىٰ ادّعاء علم الباطن فباطل. لأنه من المعلوم أن الله ـ تعالىٰ ـ قد أطلع نبيه ﷺ علىٰ أمور لم يطلعها عليه غيره. والأدلة علىٰ ذلك كثيرة، ومنها: حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في خسوف الشمس، وجاء فيه: قوله ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله».

قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك، ثم رأيناك تكعكعت؟ قال ﷺ: «إني رأيت الجنة فتناولت عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء». قالوا: بمَ يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن». قيل: «يكفرن بالله»؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلىٰ إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»[(٤)].

ومن الأدلة علىٰ أن الله خصّ نبيه ﷺ بأمور أطلعه عليها لم يطلعها عليه

(١) رواه البخاري: في كتاب: العلم، باب: حفظ العلم (١/ ٤٤) برقم (١٢٠).

(٢) قال العراقي في تخريجه لأحاديث الإحياء: «لم أجده مرفوعًا وهو عند الحكيم الترمذي في نوادر الأصول من قول بكر بن عبدالله المزني» (١/ ٣٠ـ١٠٥). قال الألباني عنه: لا أصل له مرفوعًا. السلسلة الضعيفة (٢/ ٣٧٨) برقم (٩٦٢).

(٣) تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور بالقرآن والحديث ص(٤٨).

(٤) رواه البخاري في كتاب الكسوف، باب: صلاة الكسوف جماعة (٢/ ٣٥)، برقم (١٠٥٢). ومسلم، كتاب: الكسوف، باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار (٦/ ٤٥١) برقم (٢١٠٦).

غيره حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرىٰ ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء وحقٌّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلاَّ وملك واضع جبهته لله ـ تعالىٰ ـ ساجدًا، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء علىٰ الفرش، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون إلىٰ الله»[1].

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في قوله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»: معناه لو تعلمون من عِظَم انتقام الله ـ تعالىٰ ـ من أهل الجرائم، وشدة عقابه، وأهوال القيامة، وما بعدها كما علمت، وترون النار كما رأيت في مقامي هٰذا، وفي غيره لبكيتم كثيرًا، ولقلَّ ضحككم لفكرتم فيما علمتموه»[2].

وبذلك يظهر استدلالهم الفاسد بهٰذا الحديث علىٰ ما زعموا من علم الباطن، والله أعلم.

وأما استدلاله بحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم» فالمعنىٰ الصحيح لهٰذا الحديث هو أن الوعاء الذي بثه فهو علم الأحكام الشرعية، وأما ما لم يبثه فهي أحاديث الفتن والملاحم وأوقاتها وما يتعلق بها، فلم يحدث بتلك الأحاديث خشية الفتنة والفرقة، وخوفًا ـ أيضًا ـ علىٰ نفسه الضرر، وليس فيها شيء من الأحاديث التي تتعلق بالأحكام الشرعية.

(١) مسند أحمد (٥/ ١٧٣)، برقم (٢١٥٥٥)، سنن الترمذي، كتاب: الزهد، باب: قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً...» (٤/ ٥٥٦)، برقم (٢٣١٢)، وحسّنه الألباني في الجامع (٢/ ٤٨١) برقم (٢٤٤٩).

(٢) المنهاج شرح مسلم (٦/ ٤٤١).

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ: «وقد صحَّ أن أبا هريرة كتم حديثًا كثيرًا مما لا يحتاجه المسلم في دينه، وكان يقول: لو بثثته لقطع هٰذا البلعوم، وليس هٰذا من باب كتمان العلم في شيء، فإن العلم الواجب يجب نشره وبثُّه ويجب على الأمة حفظه»[1].

وبذٰلك يظهر بطلان استدلال الصوفية بهٰذا الحديث على علم الباطن الذي ادَّعوه. قال ابن المنير: «جعل بعضهم هٰذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم؛ حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهرًا وباطنًا. وذٰلك الباطن إنما حاصله الانحلال من الدين»[2].

وبذٰلك يتبين براءة الصحابي الجليل أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مما نسبه إليه الصوفية من علم الباطن، والله أعلم.

وأما استدلاله بحديث: «ما فضلكم أبوبكر بكثرة الصيام ولا صلاة، ولٰكن بسر وقر في صدره» فالجواب عليه من وجوه:

أولاً: أن هٰذا الحديث ـ كما تقدم ـ «لا أصل له مرفوع، والصحيح أنه حديث مقطوع، ينسب إلى بكر بن عبدالله المزني ـ رحمه الله ـ.

ثانيًا: أن لفظه ليس «بسر» كما ذكر وإنما «بشيء».

ثالثًا: أن الشيء الذي وقر في قلب أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ هو الإيمان الراسخ والتصديق الذي لا يقبل الشك، والحب الذي ملء قلبه لله ورسوله ﷺ.

قال الحافظ ابن رجب: «إن التصديق القائم بالقلوب يتفاضل، وهٰذا هو الصحيح، وهو أصح الروايتين عن أبي عبدالله، أحمد بن حنبل، فإن

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠٣).

(٢) فتح الباري (١/ ٢١٦).

إيمان الصديقين الذي يتجلىٰ الغيب لقلوبهم يصير كأنه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك والارتياب ليس كإيمان غيرهم ممن لا يبلغ هٰذه الدرجة بحيث لو شكك لدخله الشك، ولهٰذا جعل النبي ﷺ مرتبة الإحسان أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، وهٰذا لا يحصل لعموم المؤمنين، ومن هنا قال بعضهم: ما سبقكم أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ بكثرة صوم ولا صلاة، ولٰكن بشيء وقر في صدره»[1].

رابعًا: يقال أن هٰذا الحديث ليس علىٰ إطلاقه، فإن أبابكر ـ رضي الله عنه ـ سبقهم بالعمل، كما سبقهم بما وقر في قلبه من التصديق والإيمان. كما دلَّ علىٰ ذٰلك مسابقته ـ رضي الله عنه ـ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عندما قدَّم نصف ماله، فقدَّم أبوبكر ماله كله[2].

ومثل حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم اليوم صائمًا»؟ قال أبوبكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم اليوم جنازة»؟ قال أبوبكر: «أنا». قال: «فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا»؟ قال أبوبكر: «أنا». قال: «فمن عاد منكم اليوم مريضًا»؟ قال أبوبكر: «أنا». فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعن في امرىء إلاَّ دخل الجنة»[3].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٠).

(٢) رواه أبوداود، كتاب: الزكاة، باب: في الرخصة في ذٰلك (٢/ ١٢٩)، برقم (١٦٧٨).
والترمذي في السنن، كتاب: المناقب، باب: في مناقب أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما كليهما ـ (٥/ ٦٠٩)، برقم (٣٦٧٥). ومسند عبد بن حميد، مسند عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ (١/ ٣٣)، برقم (١٤).
وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ٣١٣)، برقم (٦٠٢١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ باب: من فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ (٨/ ١٥١)، برقم (٦١٣٢).

ومما يدل ـ أيضًا ـ على مسابقة أبي بكر للصحابة في العمل الصالح ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان». قال أبوبكر الصديق: يا رسول الله: ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم، وأرجو أن تكون منهم»[(١)].

وفيما تقدم ذكره إبطال دعوى علم الباطن الذي ادّعاه أحمد بن محمد نور، والذي تصدَّى له الشَّيخ صالح بن أحمد المصوعي بالرد فيما ذكره من الشُّبَه، فقال ـ رحمه الله ـ:

فنقول وبالله التوفيق: «إن رسول الله ﷺ جاءنا بالكتاب والسنة وبينهما لنا كما أمر ولم يكتم عن الأمة شيئًا، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[(٢)] وفي الحديث قال ابن جرير حدثني إسحاق بن شاهين حدثني خالد عن داود عن عامر عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: «لو كتم محمد ﷺ شيئًا مما أوحي إليه من كتاب الله تعالى لكتم ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الصوم، باب: الريان للصائمين (٢/٢٧٨) برقم (١٨٩٧)، وصحيح مسلم، كتاب: الزكاة، باب: من جمع الصدقة وأعمال البر (٤/١١٧)، برقم (٢٣٦٨).

(٢) سورة المائدة: الآية: ٦٧.

ﭐلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾[١]»[٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[٣] فبلغ رسول الله ﷺ وبين للأمة كما أمر ولم يكتم عنهم شيئًا. وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[٤] الآية.

وهذا الخطاب للأمة كلها ولم يبقَ بعد التمام إلا تنقيص ما جاء به كما فعل أهل الكتابين من قبلنا، فمن زعم أن عنده علم زائد عما جاء به رسول الله ﷺ وبينه للأمة فهو من الأنواع المذكورة قال ﷺ: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها**»[٥].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «تركتكم على الواضحة ليلها كنهارها»[٦].

وفي سنن البيهقي عن مولى لأبي مسعود ـ رضي الله عنه ـ «أن أبامسعود دخل على حذيفة فقال: اعهد إلي، فقال له حذيفة من جملة ما عهد إليه: إياك والتلون، فإن دين الله واحد»[٧].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية. ٣٧.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ (٣/ ١٣) برقم (٤٣٩).

(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦) برقم (١٧١٨٢)، وابن ماجه (١/ ١٦) برقم (٤٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٥) برقم (٣٣١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٤٧) برقم (٩٣٧).

(٦) الثقات لمحمد بن حبان بن أحمد أبوحاتم البستي (٢/ ٢٣٩). تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، ١٣٩٥هـ.

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ١٤٠) برقم (٣٤٨٠٧). تحقيق: كمال الحوت. مكتبة الرشد، الرياض. ١٤٠٩هـ، وأخرجه عبدالرزاق في المصنف (١١/ ٢٤٩) برقم(٢٠٤٥٤) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، =

ثم شرع ـ رحمه الله ـ في الرد على ما استدل به فأجاب عن الشبهة الأولى التي ذكرها فقال ـ رحمه الله ـ:

ـ وأما استدلاله بحديث «لو تعلمون ما أعلم»[1] فلا حجة له فيه؛ لأنه أخبر ﷺ أنه يعلم ما لا تعلم أمته، وذلك شيء معلوم أن الله يطلع رسله على ما شاء من علمه، ولا يقاس غيرهم عليهم. ومن المعلوم قوله ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم**» إلى آخره يخاطب ﷺ جميع أصحابه بما فيهم صدّيق الأمة وعمر الفاروق فما جهله أولئك فمن طريق أولى أن يجهله من بعدهم.

وأجاب ـ رحمه الله عن الشبهة الثانية بقوله:

ـ وأما ما نسبه إلى ابن عباس فغير معلوم[2].

وأجاب عن الشبهة الثالثة بقوله ـ رحمه الله ـ:

ـ وأما حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال العلماء فيه: «الوعاء الذي بثه هو وعاء علوم الدين، وأما الذي لم يبثه هو عبارة عن عدم التصريح بأسماء رؤساء الفتن وما شابه ذلك مما لا تعلق له بالدين. وهو أزكى من أن يكتم العلم ـ إلى أن قال رحمه الله ـ:

ومما يدحض دعواه أيضًا ما أخرجه البخاري عن أبي جحيفة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «قلت: لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ هل عندكم شيء من الوحي غير القرآن، قال: لا والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، إلاَّ فهم يعطيه الله تعالى رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه

= بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

(١) سبق تخريجه في ص (٢٩٤).

(٢) لعله يقصد أنه غير معلوم لديه بهذا اللفظ.

الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وألاّ يقتل مسلم بكافر»[1].

وعن عبدالله بن عبيدالله بن العباس قال: كنا جلوسًا عند عبدالله بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ في فتية من بني هاشم فقال: والله ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء دون الناس إلاّ ثلاث، أمرنا أن نسبغ الوضوء، وأمرنا ألاّ نأكل الصدقة، ولا ننزي الحمر على الخيل»[2] أخرجه البيهقي[3].

وانظر أيها المطلع، هذان خبران من سادات آل البيت يقولان لم يخصنا رسول الله ﷺ دون الأمة، ويؤيدان ذلك بالأيمان، والأستاذ محمد أحمد يزعم أن ساداته الصوفية خصصوا بعلم يدعىٰ علم الباطن لم ينله أولئك السادات الكرام، إن هذا لبهتان عظيم.

كما أجاب ـ رحمه الله ـ عن الشبهة الرابعة بقوله:

ـ وأما فضيلة الصديق التي ذكرها فهي سابقته في الإسلام وقوة إيمانه لا غير.

والخلاصة: التجأ هؤلاء إلى دعوى علم الباطن حين جهلوا ما جاء به رسول الله ﷺ سترًا لجهلهم»[4].

ومن علماء المدينة النبوية الذين أبطلوا مزاعم الصوفية وافتراءهم بأنهم يتلقون العلم عن الله مباشرة الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي حيث قال: «قال صاحب الرماح الذي بهامش جواهر المعاني في الفصل

---

(١) رواه البخاري، في كتاب: الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير (٤/ ٣٧) برقم (٣٠٤٦).

(٢) رواه النسائي، في كتاب: الطهارة، باب: الأمر بإسباغ الوضوء (١/ ٨٩) برقم (١٤١)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١/ ٣١) برقم (١٣٧).

(٣) سنن البيهقي (٧/ ٣٠) برقم (١٣٠١٥).

(٤) تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور بالقرآن والحديث، لصالح بن أحمد المصوعي (٤٨ـ٥١).

الثاني والعشرين ص١٥٢ ما نصه:

إنهم لا ينطقون إلاَّ بما يشاهدون ويأخذون عن الله ورسوله الأحكام الخاص للخاصة ولا مدخل فيها للعامة لأنه ﷺ كان يلقي إلى أمته الأمر الخاص، قاله شيخنا أحمد التيجاني كما في جواهر المعاني. اهـ.

تبًا لهذه المقالة وبئس قائلها ومفتريها سواد ظلامها يغني عن الخوض فيها.

أقول: تكفر أيها العالم في هذه المقالة: هل أهل الطرق كانوا أنبياء؟

وانظر إلى التناقض في كلامهم. لأنهم ـ بزعمهم الكاذب ـ بعد ما أخذوا عن الله تعالى لا يحتاجون إلى الرسول لوجود التساوي بينهم في الدرجة أو يزيدون على الأنبياء ـ بزعمهم ـ لأن الرسل كانوا يأخذون عن الله تعالى بالوحي، وأرباب الطرق يأخذون من الله ـ بزعمهم ـ بغير واسطة، لوجود من يقول منهم: إنه ينظر إلى اللوح المحفوظ إذا أراد أن يأخذ حكمًا من الأحكام، وما ذاك إلاَّ لوح الشيطان ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾(١).

وقال في الرماح في الفصل المذكور:

إن الكامل منهم ينزل عليه الملك بالأمر والنهي.

أقول: أما كان يكفيهم أوامر القرآن ونواهيه؟ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[1][2].

وبهذا يظهر بطلان ادعاء الصوفية تلقيهم عن الله تعالى، وأن ذلك دجل وافتراء. فالنبوة قد ختمت برسول الله ﷺ، وبختم النبوة أغلق باب التلقي عن الله تعالى، وليس ثمت طريق نهتدي به إلاَّ طريق الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين ﷺ.

٢ـ اعتقادهم بأن الأولياء يعلمون الغيب؟

ومن عقائد الصوفية الباطلة التي ادعوها ادعائهم بأن الأولياء يعلمون الغيب ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا وفي السماء، وهذا اعتقاد لا يجوز الاعتقاد به إلاَّ في الله سبحانه وتعالى. وقد تواتر هذا الزعم الباطل عنهم، وهنا أنقل بعض تلك النصوص التي تثبت ما ذكرته عنهم من ادعائهم بأن الأولياء يعلمون الغيب ولا يخفى عليهم شيء منه.

(أ) من المتصوفة الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب أحمد الرفاعي حيث قال: «إن العبد ما يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضر ورقة إلاَّ بنظره»[3]. وكلامه صريح في أن الولي يمر بدرجات وارتقاءات حتى يصل إلى درجة الفوقية ومنها يصل إلى أن يصبح عالم بالغيب لا يخفى عليه شيء. نعوذ بالله من الضلال.

(ب) ومن الصوفية الذين ادعوا أن الأولياء يعلمون الغيب وما سيقع للإنس والجن في الدنيا والآخرة إبراهيم الدسوقي حيث قال: «إن للأولياء

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٢) الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية (٢٦/ ٢٧).

(٣) جمهرة الأولياء، للمنوفي ص (٤٢).

الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء، وما في البر والبحر، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء وما في حياة الإنس والجن مما يقع لهم في الدنيا والآخرة»[١].

(ج) ومن المتصوفة الذين زعموا أن الأولياء يعلمون الغيب أبوالحسن الشاذلي حيث قال: «من عَبِدَ الله باسمه الحي واستغرق فيه ليلاً ونهاراً شاهد حياة كل شيء وكوشف بسر الملك والملكوت. ومن عَبِدَ الله باسمه الأحد المحي وأكثر منه ولا حد لأكثره شاهد حياة كل شيء، ومحييه ومن ذكر بهم جميعًا صعدت روحه إلى الملأ الأعلى وصعدت روحه إلى العرش ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين»[٢].

وهذا الادعاء الباطل الذي يدعي فيه الشاذلي بأن الولي قد يصل إلى مشاهدة حياة كل شيء بل زعم أنه يشاهد محيي هذه الأشياء ـ يعني الله ـ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

أمَّا دلالة الكتاب والسنة فهي واضحة على أن الغيب لا يعلمه إلاَّ الله سبحانه وتعالى، وأنه تعالى استأثر به دون خلقه، إلاَّ ما أودعه الله من غيبه ما شاء من عباده ممن ارتضاهم من رسله عن طريق وحيه، وأذكر هنا بعض تلك الأدلة وكلام بعض علماء الأمة.

ـ قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ . . . ﴾[٣].

---

(١) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبوالحسن الشاذلي، للدكتور عبدالحليم محمود ص (٣٤-٣٥)، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

(٢) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، للدكتور عبدالحليم محمود ص(٦١٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

ـ وقال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[1].

ـ وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾[2].

ـ وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[3].

ـ وقال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[4].

ـ وفي الحديث قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب وهو يقول: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[5]، ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[6].

ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما يغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحدًا إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**»[7].

ـ قال البغوي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.
(٢) سورة يونس، الآية: ٢٠.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥.
(٤) سورة الجن، الآية: ٢٦.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.
(٦) رواه البخاري، في كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (٨/٢٠٩) برقم (٧٣٨٠).
(٧) المصدر السابق برقم (٧٣٧٩).

﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[١] : «لأنه لا يعلم الغيب أحد غير الله»[٢].

ـ وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره قول الله تعالى : ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾[٣] : «قال العلماء رحمة الله عليهم : لمّا تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه»[٤].

ـ وقال الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في معنى قوله : ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[٥] وهذه الآية تدل على أنه ﷺ لم يكن يعلم من الغيب إلا ما علمه الله وقد أمره أن يقول إنه لا يعلم الغيب في قوله تعالى في الأنعام : ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[٦][٧].

وعلماء أهل السنة والجماعة ردوا على من ادّعى علم الغيب، ومنهم علماء المدينة النبوية فقد ردَّ الشيخ صالح بن أحمد المصوعي ـ رحمه الله ـ على محمد بن أحمد نور الصوفي في ادعاءه علم الغيب للأولياء وأجاب على ما استدل به فقال ـ رحمه الله ـ : «إن الله قد اختص بعلم الغيب مطلقًا، واطلع على بعض مما شاء من غيبه رسله الكرام ولم يطلعها أيضًا على جميع غيبه ومما يدل على ذلك الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «إنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من

---

(١) سورة آل عمران، الآية : ١٧٩.
(٢) تفسير البغوي (١/ ٣٧٨).
(٣) سورة الجن، الآية : ٢٦.
(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٨).
(٥) سورة الأعراف، الآية : ١٨٨.
(٦) سورة الأنعام، الآية : ٥٠.
(٧) أضواء البيان (٢/ ٤٥).

بعض فاقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قطعت له من أخيه شيئًا فإنما أقطع له قطعة من النار»[١] متفق عليه. الحديث أفاد أن رسول الله ﷺ يحكم بين الخصوم بما يظهر له من ألسنتهم، ولا يعلم ما في أنفسهم.

ومن ذلك أيضًا حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله قال: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت**»[٢] متفق عليه. وفي رواية: «**لما سقت الهدي**» وهذا قاله ﷺ حين أمر أصحابه بأن يفسخوا الحج بالعمرة، فاستثقلوا ذلك. والشاهد من الحديث قوله ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي**» أي لو علمت فيما سبق ما علمته الآن أن سوق الهدي يمنع التحلل لما سقته.

ومن ذلك أيضًا حديث الإفك[٣] معروف أن رسول الله ﷺ كان متوقفًا لم يصدق ولم يكذب حتى أنزل الله القرآن من السماء بتكذيب ما قيل وحديث فقد عقد عائشة.

وأما استدلاله بإلهام عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فنحن نوافقه فيه حيث إن ذلك ثبت بالنقل، ولكن هي كلمة الحق أراد بها الباطل، أراد أن يثبت بها علم الغيب والتشريع لساداته الصوفية ونحن نثبت الإلهام

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشهادات، باب: من أقام البينة بعد اليمين (٣/ ٢١٦) برقم (٢٦٨٠)، ورواه مسلم، في كتاب: الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة (١١/ ٢٣١) برقم (٤٤٤٨).

(٢) رواه البخاري، في كتاب: التمني، باب: قول النبي ﷺ: «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت**» (٧/ ١٦٣) برقم (٧٢٢٦)، ورواه مسلم، في كتاب: الحج، باب: بيان وجوه الإحرام، وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران، وجواز إدخال الحج على العمرة، ومتى يحل القارن من نسكه (٧/ ١٣٩٧) برقم (٢٩٣٥).

(٣) رواه البخاري، في كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضًا (٣/ ٢٠٧) برقم (٢٦٦١)، ورواه مسلم، في كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (١٧/ ١٠٣) برقم (٦٩٥١).

والكرامات لبعض عباد الله الصالحين المتبعين للكتاب والسنة قولاً وفعلاً، عمر وخلافه، وإن كان عمر أكمل في ذلك. بشرط أن ما يخبر به الملهم لا يعارض ما جاء به رسول الله ﷺ في الحل والحرمة وغير ذلك، والذي يخبر به الملهم ويقوله ما يخلو عن ثلاثة أشياء:

ـ إما أن يأمر بشيء، أو ينهى عن شيء أو يخبر بإباحة شيء، فإن وجدنا ما قاله وفق ما جاء في شريعة رسول الله ﷺ عملنا به، وكان ثبوته بها لا عن طريق الملهم، وإن وجدنا ما قاله الملهم يخالف شريعة محمد ﷺ نبذناه ورددناه على قائله كائنًا من كان قطعًا، وعملنا بما جاء عن رسول الله ﷺ لأنه هو الواجب الاتباع، ولا نلتفت لكلام الملهم وكذلك لا يجوز للملهم أن يعمل بما ألهمه إذا خالف ما جاء به رسول الله ﷺ كما قال أبو سليمان الداراني[1]:

«ليس ينبغي لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به حتى يسمعه في الأثر فإذا سمعه في الأثر عمل به» ذكره ابن كثير في تفسيره[2]. وإن أخبر الملهم من أمر الدنيا كالقول المشهور عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «يا سارية الجبل»[3] أو ما شابه ذلك وكان ذلك وفق الواقع تعد ذلك من

(١) هو عبدالرحمن بن أحمد، ويقال: عبدالرحمن بن عطية، وهو من أهل «داريا» قرية من قرى دمشق. ينظر: الجرح والتعديل (٥/ ٢١٤)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٣١)، وطبقات الأولياء (٣٨٦ـ ٣٩٧)، والسير (١٠/ ١٨٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٢٣) وهو في حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني (٩/ ٢٦٩)، دار الكتاب العربي. بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ).

(٣) هذا الأثر له عدة طرق أصحها طريق ابن عجلان عن نافع عن ابن عمر «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (٤/ ١٣٣٠) برقم (٢٥٣٨). والبداية والنهاية لابن كثير (٧/ ١٣١). وقال: «هذا سند جيد». قال الألباني بعد ذكره لطرق الحديث: «فتبين مما تقدم أنه لا يصح شيء من هذه الطرق إلا طريق ابن عجلان، وليس فيها إلا مناداة عمر: «يا سارية الجبل» وسماع الجيش لندائه، وانتصاره =

كراماته. وأما إن أخبرنا بنحو هذا واحد من فسقة المسلمين أو كافر نعده مما أوحى عليه الشيطان ليستدرجه به وإن وافق الواقع، لأن الشياطين يوحون إلى أوليائهم، وليس كل من أخبر بالمغيبات ولي الرحمن كما يظن الأستاذ؛ لأن الشياطين يوحون إلى أوليائهم بما يسترقونه من السمع.

وأما استدلاله بقصة الخضر وموسى وأسيد بن حضير فلا دليل له فيها لأن قصة الخضر أخبرنا بها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين وأخبرنا بها رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى فصدقنا بها سواء كان الخضر نبيًا أو وليًا، بلغنا ذلك عن صاحب الوحي الذي لا ينطق عن الهوى أن ما صنعه الخضر كان وفق حكم الله وإرادته سبحانه وتعالى وهو فعال لما يريد. وأما الذي يخبرنا به الصوفي الملهم فبأي وحي نصدقه. والوحي قد انقطع بخاتم الرسل... ـ إلى أن قال ـ رحمه الله ـ: وأما قصة أسيد بن حضير ـ رضي الله عنه ـ فإنها لم يكن فيها مما يقصده الأستاذ.

نعم أنه رأى فوقه شيئًا مثل الظلة وهو يقرأ «الكهف» فيها أمثال السرج جالت منها فرسه وخشي منها على ابنه يحيى ولا يدري أي شيء ذلك، ثم ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له: «**تلك السكينة تنزلت للقرآن**»[1] وفي رواية «**الملائكة**».

ولم تنزل لأسيد إنما نزلت لسماع القرآن، وذلك أمر عام لم يختص بأسيد[2] كما يدل عليه صريح الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

= يسببه: السلسلة الصحيحة (٣/ ١٠٢) برقم (١١١٠).

(١) رواه البخاري في كتاب: فضائل القرآن الكريم، باب: فضل سورة الكهف (٦/ ١٢٧) برقم (٥٠١١)، ورواه مسلم في كتاب الصلاة باب نزول السكينة لقراءة القرآن (٦/ ٣٢٢) برقم (١٨٥٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (١٧/ ٢٣) برقم (٦٧٩٣).

قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**» أخرجه مسلم[1][2].

فعلم الغيب إذًا هو خاص بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد البتة وذلك لدلالة الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ـ رحمهم الله ـ.

٢ ـ دعاؤهم الأولياء الأموات أو الأحياء الغائبين والحاضرين والاستغاثة بهم والغلو فيهم:

من الأمور المسلمة لدى الصوفية اعتقادهم أن الأولياء بأيديهم النفع والضر ولذلك يتوجهون إليهم بالدعاء لتفريج الكروب، ويستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله تعالى، ويزول العجب من ذلك إذا عرفنا أنهم منحوا أولياءهم باطلاً صفة من صفات الربوبية وهي علم الغيب كما مرّ معنا سابقًا، وأذكر هنا بعض النصوص التي تثبت أن الصوفية يتوجهون إلى أوليائهم بالدعاء والاستغاثة.

١ ـ قال ابن عجيبة[3]: «فإن تعذر عليه ـ أي المريد ـ الوصول إلى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليشخص شيخه بين عينيه بصفته وهيئته ويشكو له فإنه يبرأ بإذن الله، وإن كان مع جماعة واستحيا فليشتك إليه في

---

(١) تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور لصالح بن أحمد المصبوعي ص (٤٢ـ٤٨).

(٢) رواه مسلم، في كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (١٧/ ٢٣) برقم (٦٧٩٣).

(٣) هو أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني من أهل فاس بالمغرب، ولد سنة (١١٦٠هـ)، وتوفي سنة (١٢٢٤هـ)، له مؤلفات منها: «قواعد التشوف في حقائق التصوف»، و«تفسير القرآن». ينظر ترجمته في: طبقات الشاذلية الكبرى ص(١٦١ـ ١٦٤)، والأعلام (١١/ ٢٤٥).

قلبه»[١].

وهذه دعوة صريحة للتوجه إلى غير الله تعالى عند نزول المرض والشدة للشيخ لكي يزول البأس والكرب، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

٢ـ ويقول الصيادي: «وذكر أن جماعة من أهل بيروت أسرهم الأفرنج فألهمهم الله أن يقولوا: ياسيدي أحمد يا بدوي إن الناس يقولون إنك تأتي بالأسرى إلى بلادهم، وقد سألناك بالنبي ﷺ أن تردنا إلى بلادنا فمكنهم البدوي من الهروب من الإفرنج»[٢].

٣ـ وقال أحد المتصوفة وهو يتوجه بالدعاء للسيد البدوي ويدعو لذلك:

وهو المجيب لسائل يتوسل ... إذ باسمه عند المخاوف يهتف
وهو الملاذ إذا الخطوب تراكمت ... وهو المعاذ في الشدائد يعرف
وهو الذي في الكرب يكشف غمه ... وهو الذي للسوء عنا يصرف
وهو الذي تلقى السعادة عنده ... وهو الذي يحنو عليك ويعطف
وهو الذي عمن اعتابه ... كل المخاوف والمتاعب يكشف[٣]

والحاصل أن النصوص في هذا الباب عند الصوفية لا تكاد تحصر، ومعلوم أن صرف الدعاء لغير الله تعالى شرك حرمه الله تعالى، فلا يجوز الاستغاثة أو صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى، وقد دلت آيات الكتاب والسنة الصحيحة على ذلك وبين ذلك علماء أهل السنة والجماعة وفيما يلي

---

(١) الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية لابن عجيبة ص(٣٣٩)، دار المعرفة، بيروت.

(٢) قلادة الجواهر ص (٤٠٢).

(٣) السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة صبحي منصور. ص(٢٨١)، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

أذكر الأدلة من القرآن الكريم على أن دعاء غير الله تعالى شرك، ومنها:

١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝﴾[١].

٢ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ۝﴾[٢].

٣ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝﴾[٣].

والآيات في هذا كثيرة جدًا، وأما دلالة السنة على أن دعاء غير الله شرك فقد جاءت أحاديث تدل على ذلك، ومنها:

١ـ قوله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[٤]. ومعلوم أن العبادة لا تكون إلاّ لله تعالى. قال تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[٥].

٢ـ وقال ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «**إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[٦].

٣ـ وقال ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**»[٧].

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٧١) برقم (١٨٤١٠)، وابن حبان (٣/ ١٧٢)، وابن أبي شيبة (٦/ ٢١) برقم (٢٩١٦٦)، وصححه الألباني في الجامع (١/ ٦٤١) برقم (٣٤٠٧).

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.

(٦) سبق تخريجه ص (١١٤).

(٧) رواه البخاري، في كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ۝﴾ (٥/ ١٨٠) برقم (٤٤٩٧).

والحاصل أن هذه الأحاديث تدل على أن الدعاء يجب أن يكون لله تعالى وحده لا شريك له، ومن دعا غير الله فقد وقع في الشرك، الذي نهى الله عنه.

ومن أجل ذلك قام علماء أهل السنة والجماعة بالتأكيد على هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام، وحماية جناب التوحيد، فأنكروا على الطوائف التي وقعت في هذا الشرك من غلاة الرافضة والصوفية وغيرها من الفرق.

كما كان لبعض علماء المدينة النبوية جهود في الرد على الصوفية الذين وقعوا في هذا الشرك ومنهم الشيخ صالح بن أحمد المصوعي حيث وضح أن الولي لله تعالى هو كل مؤمن تقي، وأن ليس من شروط محبة أولياء الله دعاؤهم والاستغاثة بهم، والطواف على قبورهم والحلف بهم، بل هذا شرك. وقد جاء ذلك في معرض رده على محمد بن أحمد نور فقال: «وليس كل من يزعم الأستاذ أنه ولي هو ولي الرحمن، وعند الأستاذ من جملة الأولياء المخابيل والمهابيل والرقاصين بل هم أعظم عنده، والأولياء عندنا أكثر من عنده لأن كل مؤمن اتقى الله هو عندنا ولي سواء ظهرت منه كرامات أم لا، والدليل على ذلك: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝﴾[1] حد سبحانه وتعالى الأولياء بالإيمان والتقوى فقط حد قاطع مانع، فإن ظهر خارق العادات من هؤلاء الموصوفين نعدها كرامات، وأن ظهر خارق العادات من فسقة المسلمين أو كفار نعده استدراجًا وتلاعبًا من الشيطان؛ لأنهم من أوليائه يستدرجهم به من حيث لا يعلمون وعند الأستاذ من شروط محبة الأولياء

(١) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ـ ٦٣.

دعاؤهم والاستغاثة بهم من دون الله أحياء وأمواتًا. ونحن نحب أولياء الرحمـٰن أحياء وأمواتًا ونطلب منهم الدعاء في حياتهم وندعو لهم إذا ماتوا كما ندعوا لهم حينما نصلي عليهم صلاة الجنازة، ونحرم الاستغاثة بهم في الشدائد. والنذر لهم للتقرب إليهم. والطواف بهم ـ أي الدوران حول قبورهم ـ والحلف بهم ودعاءهم بعد الموت كما هو نص كتاب الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾[١] فنسأل الأستاذ المجيز للاستغاثة بالأولياء ودعائهم: هل الأولياء هم آلهة عندك؟ أم هم من دون الله سبحانه وتعالى؟ فإن قلت: هم إلهة فقد كذبت وأشركت بالله الذي لا شريك له. وإن قلت: هم من دون الله فقد ضللت وأشركت أيضًا بدعائك لهم، فبؤت على الوجهين بالشرك»[٢].

ومن علماء المدينة النبوية الذين قاموا بالرد على هذه الطائفة في دعائهم غير الله تعالى الشيخ علي آل سنان ـ رحمه الله ـ فقد أورد بعض ابتهالاتهم ودعائهم لأوليائهم وبين ما فيه من الشرك والضلال فقال: «فانظر إلى وصيته ﷺ لابن عمه وهو عام لجميع الأمة فلم يقل له إذا سألت فاسألني، وإذا استعنت فاستعن بي؛ لأنه عبد الله أمره أن لا يدعو معه أحدًا فهو مؤدب بما أدبه الله ومرسل ومأمور بما أمره الله لا يمكن ولا ينبغي له أن يتعدى حدود ما أمر به لا كما يفعله سادات الصوفية أو مشائخ الصوفية يتعدون على ما أمرهم الله ونهاهم ولا يفكرون أنهم قد خالفوا وارتكبوا الشرك على بصيرة وهم يعلمون أن من دعا غير الله أو استعان بغير الله أو

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

(٢) تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور ص (١٢).

استغاث بغير الله فهو مشرك.

فانظر إلى كلام المرغني إذ يقول في قصيدته المشهورة التي يحفظونها حفظًا أكثر من حفظهم الفاتحة للصلاة:

إذا كنت في هم وغم وكربة   فادعني يا مرغني أجئك بسرعة

فقد جعل نفسه أقرب وأسرع من الله تعالى، ولا ندري أعندهم عقول عندما يتكلمون بهذا الكلام وكقولهم مستغيثين بغير الله، وأنهم عبيد لهم وليسوا عبيدًا لله تعالى، مع اعتقادهم أنه هو الخالق الرازق الذي له القدرة الكاملة كما كانت قريش تعتقد أنه خالقهم ورازقهم كما قال تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[1].

فيقولون هذه الأبيات وغيرها بغير عقل:

يا أقطاب ويا أبدال ويا أوتاد   أجيبوا يا ذوي الأمداد فينا واشفعوا الله

هذا عبدكم واقف على أبوابكم عاكف   وفي تقصيركم خائف فلا ترده خائب

أغثنا يا رسول الله

فقد جعلوا أنفسهم عبيدًا لغير الله وأنهم مقصرون في جانبهم وخائفون من هذا التقصير حتى لا يصيبهم بمصائب، وهم لا يعلمون فيلجأون إليهم بالذبائح والهتاف والرقص حتى يعفو عنهم هذا التقصير. فهل بعد هذا كفر؟ بل هو أشد الكفر؛ لأنه لم يسبقهم أحد لمثل هذا، ويقولون هذا ولا يتذكرون أنهم قد ارتكبوا شركًا بالله منهيًا عنه بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[2]. وقوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[3][4].

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣.
(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٦.
(٤) المجموع المفيد (٥٩- ٦٠).

وذكر ـ رحمه الله ـ أنه شاهد قصة بعينه وهو صغير السن تُبين جهل الصوفية بالكتاب والسنة وضلالهم وشركهم فقال: «هذه قصة رأيتها بعيني وأنا صغير السن. رأيت رجلاً كان قد استدان من غني طعامًا ووضع عنده فضة رهنًا وعندما سلم الطعام في موعده طلب منه فك رهنه فوعده إلى يوم آخر، وهكذا من أسبوع إلى أسبوع حتى تعب الرجل من المراجعة فجاء يومًا والغني على سطح بيته فناداه وهو لا يجيب فحاول كل المحاولة أن يسمع صوته فلم يسمع، ثم ماذا فعل المسكين. وكيف يفك رهنه الذي عند الغني، فهبْ لو ذهب إلى المسجد بيت الله وتوضأ وصلى ركعتين ودعا على هذا الرجل، أو دعا الله له بالهداية حتى يسلم له رهنه، لا بل ذهب إلى ولي كما يقولون والله أعلم من هذا الولي لأنهم يزعمون أنه رجل قدم من الحجاز فمات في هذه القرية ودفن في المقبرة وبنى عليه بيت بحجر وزُخم هذا البيت فصار الناس يتبركون به وسموه الحجازي صاحب المشهد فصاروا ينادونه يا حجازي أو يا صاحب المشهد أو يا مشهدي وينذروا له النذور ـ إلى أن قال رحمه الله ـ والمقصود أن هذا الرجل المظلوم الذي رهن فضته عند ذلك الغني دخل إلى فوق القبر وكله ملوث بآثار السمن الذي يسيل من المسارج المعلقة لأنها امتلأت من كثرة ما صب الناس من السمن فيها فصرخ بأعلى صوته: يا مشهدي أغثني، يا مشهدي أغثني، فصار يبكي ويكرر، وأخيرًا أخذ عمامته من رأسه وصار يمسح القبر بها حتى تلوثت العمامة وصارت سوداء وهو يصيح بأعلى صوته: يا غوثاه من هذا الرجل الظالم يعني الغني الذي امتنع من رد رهنه، والرجل الغني على سطح بيته يسمع صوت الرجل يصرخ بأعلى صوته يستغيث بالولي فيضحك عليه، ونحن أولاد صغار نضحك على هذا الرجل الذي يبكي عند القبر ويستغيث به إلا أننا لا نعرف

أنه حرام أو شرك بالله.

والحمد لله الذي هدانا فعرفنا ما هو التوحيد وما هو الشرك فأنقذنا الله من ذلك فله الحمد، وله الشكر على ما أنعم به علينا بالهداية. والمقصود أن الرجل خرج من عند الولي وعمامته يسحبها وراءه ويصيح: يا مشهدي، يا مشهدي، يا غوثاه من هذا الظالم. وذهب موسخًا عمامته موسخًا عقيدته مضيعًا لرهنه مضحكًا خصمه»[1].

ومن خلال ما سبق يظهر الدور الذي قام به علماء المدينة في الرد على هذه الفرقة الضالة فجزاهم الله خير الجزاء والله أعلم.

(١) المجموع المفيد (٦٦ـ ٦٧).

الفصل الثاني
جهودهم في الرد على الاشتراكية العربية

لا شك أن الشريعة الإسلامية قد عنيت بتنظيم مختلف جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ووضعت العلاج لأي مشكلة من المشكلات، والتي تحول دون تحقيق المصلحة للفرد والمجتمع.

ولا ريب أن هذه الشريعة السمحة صالحة لكل زمان ومكان مهما استجد من مستجدات، وحدثت متغيرات، وقد كانت سببًا في صلاح الجيل الأول الذين سادوا وبلغوا ما بلغوا من العزة والتمكين، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾[1] فهذه الشريعة تصلح الحياة، ويستقيم العيش بها، ويحترم حق الغير، وذلك لتضمنها مكارم الأخلاق وحمايتها لحقوق الناس من ظلم الظالمين وعبث العابثين. ويكفينا أن الله تعالى قد ارتضى هذه الشريعة لنا. قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

ومنذ بداية القرن الماضي وبعد سقوط دولة الخلافة الإسلامية، برزت مفاهيم وتيارات ومدارس فكرية، تصادم وتختلف عن المفاهيم الإسلامية. واستطاعت هذه التيارات المناهضة للإسلام الدخول إلى المجتمع المسلم، فالظروف التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية مواتية لتقبل مثل هذه التيارات والأفكار. وعن تلك التيارات والأفكار الغربية والشرقية الدخيلة على

---

(١) سورة الجاثية: الآية: ١٨.

(٢) سورة المائدة: الآية: ٣.

المجتمعات الإسلامية يقول محمد المبارك: «جاءت والظروف لها مواتية والنفوس لقبولها مستعدة» ثم أخذ يذكر بعض الأمثلة من تلك التيارات فذكر «الوطنية» و«القومية» وذكر أيضًا «الاشتراكية» فقال: «وكذلك يمكن أن نقول عن الاشتراكية فقد جاءت في ظروف تطلع فيها الناس إلى قبول حقوقهم الاقتصادية وفي زمن كانت مصلحة الشعب العربي وبعض الشعوب الإسلامية من وجهة السياسة الدولية في الجانب الذي تقف فيه الدول الاشتراكية ـ إلى أن قال: ـ

والخلاصة أن هذه التيارات انتهزت فرصًا مناسبة وظروفًا اجتماعية مواتية واستفادت من فرصة ذهبية بالنسبة إليها هي أن الإسلام كان قد انحسر خلال عصور الانحطاط عن الساحة العامة وحالت بين مفاهيمه الاجتماعية السامية ومعالمه الرئيسة وبين جمهور الشعب حواجز كثيرة من الجهل والتشويه»[1].

وقد كانت بعض تلك التيارات مثل: «الاشتراكية» تتفق في بعض فلسفاتها مع المبادئ الإسلامية مثل محاربة الظلم. ولذلك قامت دعوات وصيحات إمّا مأجورة أو مضللة، من بعض المفكرين الإسلاميين حاولوا من خلالها مزاوجة تلك التيارات مع الإسلام، فنادوا بـ«الاشتراكية الإسلامية أو اشتراكية الإسلام والديمقراطية الإسلامية أو ديمقراطية الإسلام».

والإسلام حكم قائم سبق كل هذه المذاهب والأفكار، يقول محمد قطب: «إن الإسلام نظام متكامل، وأجهزته كلها تعمل من داخله، وتعمل

(١) الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية ص١١-١٢، دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٣.

بوسائله الذاتية، وليس في حاجة أن يستعير أجهزة أجنبية عنه، ولا في الإمكان تركيب هذه الأجهزة الأجنبية لتدور معه في دائرته، لأنها مقاس غير مقاسه، وتعمل على قاعدة غير قاعدته.

ليس الإسلام نظامًا اشتراكيًا، كما أنه ليس رأسماليًا، ولا ديمقراطيًا، الإسلام هو الإسلام، هو هو كما أنزله الله»[1].

وفي الصفحات التالية من هذا الفصل سيكون الحديث عن دعوى «اشتراكية الإسلام أو الاشتراكية الإسلامية» والتي ادّعاها المدّعون من بعض المفكرين وغيرهم، فزعموا أن الإسلام هو دين اشتراكي؛ لأن معالم الاشتراكية تظهر في الشريعة الإسلامية، ودعّموا ذلك بنصوص شرعية، ومواقف لبعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ تبين توجهاتهم الاشتراكية ـ على حد زعمهم ـ ومثّلوا لذلك بـ«أبي ذر وعمر رضي الله عنهما».

قال الدكتور صلاح الدين المنجد: «فعندما أخذت الشيوعية الروسية تغزو بلادنا ظهر كتّابها ودعاتها يقولون: الإسلام دين شيوعي، وجعلوا أباذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أول شيوعي ـ اشتراكي ـ في الإسلام، حتى أن أحد الأساتذة المصريين ألّف كتابًا في جزأين عن «اشتراكية عمر»[2].

وفي موضع آخر ذكر ـ رحمه الله ـ الدور البارز الذي لعبه الكتّاب والمفكرين لدخول الاشتراكية في المجتمع المسلم فقال: «وكان الطريق إلى ما أرادوه أن استخدموا أقلام بعض الكتاب تبث في المقالات والمؤلفات التي تصدرها الحكومة أو تصدر بإشرافها، إن الإسلام هو دين اشتراكي وأن

(١) مذاهب فكرية معاصرة ص(٤٤٤)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة ١٤١٣هـ.
(٢) التضليل الاشتراكي ص٣١ـ٣٢، دار الكتب الجديد الطبعة الأولى ١٩٦٥م.

الاشتراكية لا تخالف الدين، بل إنها مستمدة من الدين الإسلامي، وذهبت إلى أبعد من ذلك، فزعمت أن اشتراكيتهم تؤمن بالرسالات السماوية كلها، بل إنها مستمدة منها كلها، ولولا خوفهم لقالوا أعظم من ذلك»[١].

وكان سبب اختيارهم للصحابي الجليل أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ ما عرف عنه من الزهد الشديد واحتقاره للدنيا، بالإضافة لمخالفته جمهور الصحابة في فهمه من النص الشرعي.

قال ابن عبدالبر ـ رحمه الله ـ: «وردت عن أبي ذر أحاديث كثيرة تدل على أنه كان يذهب إلى أن كل مال مجموع يفضل عن القوت أو سداد العيش، فهو كنز يذم فاعله وإن آية الوعيد نزلت في ذلك»[٢].

يعني آية الكنز وهي قول الله تعالى: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[٣].

فكان ـ رضي الله عنه ـ لا يرى كنز المال، بل يوجب إنفاقه على الفقراء والمحتاجين. وهذا الفهم فهمه وتأوله من بعض الأحاديث كقوله ﷺ: «**أي مال ذهب أو فضة أوكي عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله**»[٤]. وكقوله ﷺ: «**ما يسرني أن لي أحدًا ذهبًا أموت يوم أموت وعندي**

---

(١) المصدر السابق ص٥١-٥٢.

(٢) الاستذكار (٣/١٧٣) تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية ببيروت.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٣٤.

(٤) رواه أحمد (٥/١٥٦)، برقم (٢١٤٢١) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/٢٢٦) رقم (٩٢٩).

منه دينار أو نصف دينار إلاَّ أن أرصده لغريم»[١].

أمّا جمهور الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يرون أن الكنز الذي ذكر في الآية هو الذي لم تؤد زكاته.

وجاء أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ سأل عن هذه الآية فقال: «من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له إنما كان هذا من قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت جعلها الله طهورًا للأموال، ثم التفت فقال: ما أبالي لو كان لي أحد ذهبًا، أعلم عدده وأزكيه وأعمل فيه بطاعة الله عز وجل»[٢].

ومما يدل على صحة ما ذهب إليه جمهور الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ما رواه الشيخان عن طلحة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: «**خمس صلوات في اليوم والليلة**» فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا إلاَّ أن تطوع**» قال رسول الله ﷺ: «**وصيام رمضان**» قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «**لا إلاَّ أن تطوع**» قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلاَّ أن تطوع**» قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا، ولا أنقص. قال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق**»[٣].

(١) رواه أحمد (٥/١٤٨) برقم (٢١٣٦٠) ورواه الدارمي (٢/٤٠٦) برقم (٢٧٦٧) وصححه الألباني في السلسلة (٣/ ٢٥) برقم (١٠٢٨)

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الزكاة، باب من أدى زكاته ليس بكنز (١/٥٦٩) برقم (١٧٨٧) وصححه الألباني في السلسلة (٢/٩٦ـ٩٧) وقال: وهو وإن كان موقوفًا فهو في حكم المرفوع لأنه في أسباب النزول وذلك لا يكون إلا بتوقيف من الرسول ﷺ.

(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام، وقوله عز وجل: ﴿وما أمروا إلاَّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك =

فهذا الحديث دلَّ على أن المال ليس فيه حقٌّ سوى الزكاة المفروضة والله أعلم.

وبعد بيان هذه المسألة والاختلاف الذي حصل فيها بين الصحابي الجليل أبوذر ـ رضي الله عنه ـ وجمهور الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ نتساءل هل ما ذهب إليه أبوذر ـ رضي الله عنه ـ متفق وما تدعو إليه الاشتراكية؟ أم أنه ـ رضي الله عنه ـ بري مما يزعمه المغالطون من أرباب الفكر الاشتراكي؟

يقول الأستاذ علي ناصر الدين في كتابه «أبوذر الغفاري» تحت عنوان «أبوذر ليس ماركسيًا ولا شيوعيًا»:

«إن أباذر لم يكن كما يزعم البعض من أهل المعرفة والدعوة إلى التقدم اشتراكيًا أو ماركسيًا. وإن أباذر إذا كان هو نفسه زاهدًا يحب الزهد فهو لم يكن يفرض الزهد أو يطلب فرضه على المجتمع، وإنما الذي كان يطلبه ويكافح في سبيل فرضه ويطبقه على نفسه، داعيًا إلى تجنب الإسراف والتبذير، وإشباع الشهوات والترفع عن المغريات، الذي كان يطلبه أبوذر ويكافح في سبيل فرضه هو امتناع الحكام وأهل النفوذ من الظلم للناس»[1].

وعند النظر فيما رواه أبوذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ في باب الأموال يتضح لنا أنه لا تناسب بينه وبين الاشتراكية التي اتهم بها ـ رضي الله عنه ـ ومن ذلك:

١ـ عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم ينفق من كل مال له زوجين في سبيل الله إلاَّ استقبلته حجبة الجنة كلهم يدعوه**

- دين القيمة (١/ ٢٠) برقم (٤٦).

(١) ص: ١٤٨ـ١٤٩.

إلى ما عنده. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن كانت إبلاً فبعيرين وإن كانت بقرة فبقرتين»[١].

٢ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الأكثرون هم الأقلون إلاَّ من قال هكذا وهكذا وقليل ما هم ما من رجل يموت فيترك غنمًا أو إبلاً أو بقرًا لم يؤد زكاتها إلاَّ جاءت يوم القيامة أعظم ما تكون وأسمن حتى تطأه بأظلافها وتنطحه بقرونها حتى يقضى بين الناس ثم تعود أولاها على أخراها»[٢].

٣ـ وعنه ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ما يسرني أن لي أحدًا ذهبًا أموت يوم أموت وعندي منه دينار أو نصف دينار إلاَّ أن أرصده لغريم»[٣].

فالأحاديث السابقة تثبت الملكية الخاصة، وأن هذا المال المملوك فيه فريضة شرعية يجب أن يخرجها المالك وهي الزكاة وما بقي من المال بعد الزكاة فهو خالص لصاحبه رضي الاشتراكي أو غضب.

«وبعد هذا نقول للاشتراكيين: أين يقع أبوذر منها؟ وهو الذي حفظ عن الرسول ﷺ تلك الأحاديث وعاش مع تلك الآيات بكل أحاسيسه لتأتي الاشتراكية بعد ذلك كله لتعتبره المؤسس الأول»[٤].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٥١) برقم (٢١٣٧٩)، ورواه النسائي في كتاب الجهاد، باب فضل النفقة في سبيل الله (٦/ ٤٨) برقم (٣١٨٤)، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٩٥) برقم (٢٤٣٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ١٠٥) برقم (٥٦٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة (٢/ ١٣٥) رقم (١٤٠٢)، ورواه مسلم فيك كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة (٧/ ٧٦)، برقم (٢٢٩٧).

(٣) سبق تخريجه في ص(٣١٧).

(٤) أبوذر الغفاري وآراءه في السياسة والاقتصاد لعبدالمجيد الأفضق ص٢٩٦ـ٢٩٧، مكتبة الأقصى: عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.

ولعل من أبرز من ردَّ هذه الفرية وهذا الادعاء الشيخ صالح بن أحمد المصوعي ـ من علماء المدينة النبوية ـ في الرسالة النفيسة التي كتبها في الرد على من زعم «شيوعية الإسلام» و«اشتراكية الإسلام» وفنَّد رحمه الله الشبه التي جاءوا بها. ومن أبرزها ما كان الحديث بصدده من اتهام الصحابي الجليل أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ بالاشتراكية، وكذا عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال ـ رحمه الله ـ: «إن الإسلام الدين الحنيف وأباذر الصحابي الجليل يبرءان إلى الله سبحانه وتعالى مما يزعم هؤلاء، ولم ينقل نقلة الحديث رواية واحدة صحيحة أو ضعيفة عن أبي ذر أنه قال: إن المال مشترك بين المسلمين فضلاً عن أن يقول: إنه يغصب من أربابه، ويقسم على غير ملاكه، كمال الكافرين بالله يقسم على الغاندين، بل الصحيح المنقول عنه ويعلمه عنه علماء الإسلام أنه كان يعظ الناس أمراءهم وأغنياءهم أن لا يدخروا شيئًا من أموالهم ويحرم عليهم ويمنعهم من ادخار ما زاد عن حاجتهم، ويخوفهم بعقاب الله المترتب على ادخار المال حسب رأيه وفهمه، ولا يلزم من ذلك الاشتراك في الأموال ولا نهبها، كما يزعم الاشتراكيون»[1].

ثم يذكر ـ رحمه الله ـ قاعدة وأصلاً من أصول الإسلام، وهو أن لا نقدم قولاً على قول الله ورسوله ﷺ، ولو كان القائل من كبار الصحابة فيقول ـ رحمه الله ـ: «ثم نقول: وعلى فرض ما تنسبونه إلى أبي ذر البريء ـ رضي الله عنه ـ هل ترون أنه خالف قول أبي ذر قول رسول الله ﷺ وجميع أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ أيهما يتبع، لا شك أنه يتبع رسول الله ﷺ ويذر قول أبي ذر وأمثاله، كما قال عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في حق أبيه في

(١) لا شيوعية ولا اشتراكية في الإسلام ص١٥-١٦، مطبعة المدني المؤسسة السعودية، القاهرة: مصر ١٣٧٩هـ.

حديث أخرجه الترمذي وحسنه عن ابن شهاب أن سالمًا بن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهم ـ حدثه أنه سمع رجلاً من أهل الشام، وهو يسأل عبدالله بن عمر عن التمتع بالعمرة فقال عبدالله بن عمر هي حلال.

فقال الشامي: إن أباك ينهى عنها، فقال عبدالله بن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ أمر أبي يتبع أم أمر رسول الله ﷺ؟ قال: بل أمر رسول الله ﷺ[1].

انتبه يا بصير بدينه لقول الصحابي الجليل كيف رد قول والده لسنة رسول الله ﷺ، ومن والده؟ هو عمر بن الخطاب الملهم بالصواب الذي لا تخفى مناقبه على جميع بني الدنيا مؤمنهم وكافرهم وهو أحد الخلفاء الراشدين»[2].

كما ذكر ـ رحمه الله ـ براءة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مما ادَّعاه المدَّعون للاشتراكية الإسلامية، فقالوا إن عمر بن الخطاب همَّ أن يطبق الاشتراكية، كما في الأثر عنه قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين»[3] ومما ذكره ـ رحمه الله ـ قوله: «وزعموا أنه مذهب ـ أي الاشتراكية ـ أبي ذر، وقد همَّ به عمر بن الخطاب في أقربائه ـ رضي الله عنهما ـ، وأراد أن يقسم فضول أموال الأغنياء على الفقراء، ولكن مات قبل ذلك، ونحن نبرىء عمر ـ رضي الله

---

(١) سنن الترمذي (٣/ ١٨٥) برقم (٨٢٤)، ومسند أبي يعلى (٩/ ٤١٥) برقم (٥٥٦٣)، ومسند أبي عوانة (٢/ ٣٤٣) برقم (٣٣٦٦) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١/ ٢٤٧) برقم (٦٥٨).

(٢) لا شيوعية ولا اشتراكية في الإسلام، ص(١٨-١٩).

(٣) تاريخ الطبري لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢/ ٥٧٩) دار الكتب العلمية: بيروت. والمحلى لعلي بن أحمد بن حزم الظاهري (٦/ ١٥٨)، دار الآفاق الجديدة: بيروت.

عنه ـ مما يزعم هؤلاء، وكان عمر وقَّافًا على الحق، وعلى فرض صحة اهتمام عمر المزعوم نقول وبالله التوفيق:

إن مجرد الهم بشيء بدون أن يطبق بالعمل، أو يستند إلى دليل سابق لا يصح الاحتجاج به، وقد همَّ عمر وأمثاله ـ رضي الله عنهم ـ بأشياء، ورجعوا عنها لما ظهر لهم الحق، أو ذهب عنهم الغضب، بل قد همَّ رسول الله ﷺ بأن يحرق على المتخلفين عن صلاة الجماعة بيوتهم[1] ولم يفعل ما همَّ فيه، ولم يُستدل بهمه ﷺ أحد من أهل العلم، ويجيز ويفتي بإحراق بيوت المتخلفين عن صلاة الجماعة»[2].

ومن الشبه التي ردَّ عليها الشيخ صالح بن أحمد المصوعي في رسالته زعم بعضهم بأن «الإسلام صيحة في وجه الطبقية» فالناس يجب أن يكونوا سواسية في أرزاقهم بحيث لا يوجد غني وفقير بل لابد أن يكونوا طبقة واحدة، وفي هذا يقول الشيخ صالح بن أحمد ـ رحمه الله ـ أن «وجود مثل هذا المال العظيم بيد أغنياء الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وكانت حالة الفقراء المهاجرين بالصفة السابقة من شدة الجوع والعري، ومع ذلك لم ينهب لهم رسول الله ﷺ أموال الأغنياء، ويقسمها عليهم، ولم يأمر الأغنياء أن يقاسموهم أموالهم، ولم يبلغ الجميع بأن المال مشترك بين المسلمين.

ولا شك أنه معصوم عن السكوت على الباطل، وعن كتمان ما أنزل عليه إذ شرعه ﷺ قول وفعل وإقرار، ولو كان ما تزعمونه مشروعًا في شريعته لبينه ﷺ ولسبقكم به، وهو سيد من أنصف وعدل وشفق بالعباد، وكان ﷺ أرحم بأمته من الأم بولدها، ولم تحمله تلك الشفقة بأن يأخذ مال هذا

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة (١/ ١٧٩) برقم (٦٤٤).

(٢) لا شيوعية ولا اشتراكية في الإسلام ص١٢ـ١٣.

ويعطيه لهذا. إنما كان ﷺ يحض ويرغب في الصدقة كما سبق آنفًا حتى النساء كن يتصدقن من حليهن حين يعظهن وقد امتنع ﷺ، مما هو أقل مما يزعمه الحزب الاشتراكي خشية أن يحصل منه ضرر لأحد الطرفين، أعني البائع والمشتري بدون قصد فامتنع ﷺ لذلك التسعير حين قيل له: «غلا السعر فسعر» كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - «أن الناس قالوا: يارسول الله غلا السعر فسعر لنا، فقال: إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق، وأني لأرجو أن ألقى الله تعالى، وليس أحد يطلبني بمظلمة في دم ولا مال»[1] أخرجه أبوداود والترمذي وصححه.

ولو كان المال مشتركًا ما كان أصحابه يطلبون منه التسعير، ولا رسول الله ﷺ يمتنع عن التسعير، إذ لا يخشى الظلم في تسعير في المال المشترك بين البائع والمشتري، بل لا حاجة للتسعير في المال المشترك بين البائع والمشتري لأن القيمة قلَّت أو كثرت هي عائدة إلى صندوق الاشتراك وهو للجميع»[2].

كما ردَّ على هذه الشبهة من علماء المدينة الشيخ محمد أمان - رحمه الله - حيث قال إنه «لابد من الرجوع إلى ما كان عليه وضع ذلك المجتمع المثالي: مجتمع الصحابة الذي كان ينزل فيهم الوحي كيف كان ذلك المجتمع؟! هل كان طبقة واحدة دون تفاوت في أرزاقهم؟!

هذا تصور مخالف لواقعهم، بل الواقع أنه كان فيهم الأغنياء وفيهم الفقراء، والذي كان يوضح المسألة موقف الفقراء من الأغنياء والعكس، وموقف النبي ﷺ منهم جميعًا.

(١) رواه أحمد (٣/ ١٥٦) برقم (١٢٦١٣)، والترمذي في كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير (٣/ ٦٠٥) برقم (١٣١٤)، ورواه ابن ماجه في كتاب التجارات، باب من كره أن يسعر (٢/ ٧٤١) برقم (٢٢٠٠) وصححه الألباني في الجامع (١/ ٣٧٧) برقم (١٨٤٦).
(٢) لا شيوعية ولا اشتراكية في الإسلام ص٣٤-٣٥.

لقد كان موقف الأغنياء البذل والعطاء والإنفاق، بل الإيثار بدل البخل والشح بل قد أثنى الله على الفريقين ثناءً عاطرًا يقول تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾[1].

هم فقراء المجتمع الإسلامي العظيم، قوم آثروا الفقر على الغنى؛ إذ تركوا ديارهم وأموالهم فخرجوا مهاجرين إلى الله يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله بنصر دينه وأوليائه ـ وهم الدعاة إلى دينه ـ.

ثم أثنى الله على أغنيائهم؛ لحبهم الفقراء الذين هاجروا إليهم، بل كانوا يقدمونهم على أنفسهم ويؤثرونهم ولو كانوا محتاجين إذ وقاهم الله داء الشح والبخل، فيقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]. ـ إلى أن قال رحمه الله ـ:

فهل عمد رسول الله ﷺ ـ وهو رسول الهدى ـ إلى أموال أولئك الأثرياء ليصادرها ويوزعها على أولئك الفقراء والمساكين بما فيهم أهل الصفة أفقر أصحاب النبي ﷺ كأبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ الذين كانوا يلازمون رسول الله ﷺ بملء بطونهم ليحفظوا أحاديث رسول الله ﷺ ولا يملكون شيئًا من حطام الدنيا. هل فعل ذلك ليقضي بذلك على الطبقية، كما يزعم الزاعمون من الكتّاب المحدثين في أثناء تخبطاتهم وترددهم بين الأنظمة الدستورية والاقتصادية الشرقية والغربية، وقد زعموا أن الإسلام

(١) سورة الحشر، الآية: ٨.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٩.

صيحة في وجه الطبقية.

إن هذا التصرف من هؤلاء الكتاب اعتراض سافر كما ترى على تقسيم الله تعالى الأرزاق بين عباده وعدم الرضى بقضاء الله وقدره، وتدخل جريء في فعل الله العليم الحكيم.

ولا نعلم لهم سلفًا فيما أقدموا عليه، إلاّ ما كان من كفار قريش حين اعترضوا على تخصيص الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بالنبوة وإنزال الكتاب الأخير عليه (القرآن) فاعترضوا واقترحوا[1].

ومن الشبه التي ناقشها الشيخ صالح بن أحمد ـ رحمه الله ـ والتي ادعاها الاشتراكيون العرب، إن الأموال التي كانت تجيء إلى المدينة وكان سببها الجهاد كان الناس يشتركون فيها وتقسم بينهم، ويعنون بتلك الأموال (الغنائم والجزية والخراج).

وكان رد المصوعي ـ رحمه الله ـ على ذلك بأن قال إنهم: «دندنوا حول هذه الأموال مستدلين بها على الاشتراك في الأموال وقالوا: إنها كانت تجيء إلى المدينة، وتقسم على المسلمين عمومًا في عهد الخلفاء الراشدين وأصبحت الناس في عهدهم في نعمة عظيمة، وكانت عطاياهم كيت وكيت مستكثرينها.

فنحن نقول لإخواننا هؤلاء: نعم الأمر كما ذكرتم إلاّ أننا نقول لكم: فما ذنب أغنياء المسلمين إذا فقدتم تلك الأموال بجبنكم وتأخرتم عن الأمر الذي كانوا سببًا فيها أي الجهاد. نعم ذنبهم أنكم ترون بأيديهم أموالاً لم تكن عندكم، وبدون شك أنتم تحبون أن تجدوا المال بغير شوكة، وترون أنكم ستنالون أموالهم كذلك بخلاف الأموال التي استدللتم بها لنهب أموالهم

(١) توزيع الثروات في الإسلام ص٨، مخطوط تحت الطبع.

باسم الدين كما اعتاد كثير من المسلمين يشترون الدنيا بالدين، ولن يبيح لكم الإسلام مال المسلم بغير طيب نفسه إلى يوم تبعثون»[١].

وقريبًا من الشبهة السابقة ذكر الشيخ صالح بن أحمد دعوى الحزب الاشتراكي أن المسلمين مشتركون في مال الصدقة ووصف أن هذه مغالطة منهم يقصدون من ورائها إيهام الفقراء وتحريشهم على الأغنياء ليصلوا إلى مآربهم وأطماعهم الاشتراكية فقال ـ رحمه الله ـ: «لو كانت الصدقة مشتركة بين الفقراء، وكانت حقًّا واجبًا لهم بذمة الأغنياء، لما حرض الشارع ورغب الأغنياء بإيثار أقاربهم وجيرانهم بصدقة مشتركة بينهم وبين غيرهم، وهو خير من عدل وأنصف، ولوجب على الغني أن يوصل لكل فقير حظه حيث ما كان ولا أحد قائل به، ولما سكت الفقير المحروم عن الأغنياء، بل لنازعهم في ذلك كل ذي حق من الفقراء المحرومين من استحقاقهم، ولملئت المحاكم دائمًا بهذا النوع من الدعاوى»[٢].

وأختم هذا الفصل بتجربة لإحدى الدول الإسلامية العربية يصف تلك التجربة الشيخ محمد أمان ـ رحمه الله ـ حيث يقول عنها:

«فعندما وفدت الاشتراكية على أكبر وأغنى دولة عربية، وفدت عليها الاشتراكية، وتأثر بعض الضباط بذلك.. وصاحوا في الفقراء ليرفعوا من درجاتهم وصفق الفقراء، وهللوا وكبروا وانتظروا الثراء والغنى، ولا شيء... الذي حصل أن دمرت أموال الأثرياء، وهاجر الأثرياء، وأخذت الأموال إلى أيدي أولئك الضباط، ورجع ذلك البلد أفقر دولة من الدول العربية الإسلامية، فصاروا يهاجرون من ذلك البلد إلى البلدان الأخرى

---

(١) لا شيوعية ولا اشتراكية في الإسلام ص٧.

(٢) المصدر نفسه.

ليعيشوا... كل ذلك لأنهم خرجوا على نظام الله تعالى، وتقسيم الله للأرزاق بين العباد، حيث جعل الناس أغنياء وفقراء.

هذا النظام الرباني هو الذي يصلح للعباد والبلاد، وهو الذي يستمر طالما الدنيا باقية لا تغيير ولا تبديل»[1].

والخلاصة أننا يمكن أن نقول بأن دعوى الحزب الاشتراكي أن الإسلام دين اشتراكي دعا للاشتراكية دعوى مفتراه على الإسلام والإسلام بريء منها، والله أعلم.

---

(١) توزيع الثروات في الإسلام ص١٠.

الخاتمة

الحمد لله من قبل ومن بعد، وأسأله المزيد من فضله وهديه، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فأخلص من كل ما سبق ذكره من مباحث الرسالة إلى النتائج التالية:

١ـ أن أمة محمد ﷺ خير لا ينضب أبدًا مهما طال الزمان فما تزال طائفة منهم على الحق لا يضرهم من خالفهم.

٢ـ علماء المدينة النبوية كانوا يعتمدون في مسائل الاعتقاد على الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وينكرون على من يتجاوز ذلك من أهل الأهواء والبدع.

٣ـ جهود علماء المدينة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري هي خلاصة طيبة مباركة مستفادة من جهود السابقين من علماء أهل السنة والجماعة في بيان العقيدة الصحيحة والدفاع عنها ورد شبهات المخالفين لها.

٤ـ استفاد علماء المدينة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري فوائد جمة من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ بل تعد جهود أولئك العلماء امتدادًا طبيعيًا لثمرات تلك الدعوة المباركة. ومما يدل على ذلك:

أـ نظم الشيخ عمر إبراهيم البري للثلاثة الأصول.

ب ـ نظم الشيخ محمد الطيب الأنصاري لكتاب كشف الشبهات.

جـ ـ دفاع الشيخ صالح بن أحمد المصوعي عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورده لمزاعم محمد أحمد نور في كتابه تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور بالكتاب والسنة.

٥ـ من خلال ما كتبه علماء المدينة النبوية من كتب ورسائل يظهر التزامهم بمنهج السلف الصالح في تقرير العقيدة ومما يدل على ذلك ما يلي:

أـ تقسيمهم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

ب ـ معتقدهم في الأسماء والصفات، إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ ونفي ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ بلا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

جـ ـ معتقدهم في الإيمان أنه قول وعمل يزيد وينقص.

د ـ اعتقادهم أن الإسراء والمعراج كان يقظة لا منامًا وبالروح والجسد معًا.

هـ ـ اعتقادهم بأن الله خالق للعباد وأفعالهم وأنهم فاعلون حقيقة.

٦ـ دفاع علماء المدينة النبوية عن عقيدتهم السلفية الصحيحة بالرد على شبهات الصوفية.

٧ـ معايشة علماء المدينة لواقعهم وردهم للانحرافات المعاصرة لهم والقضايا المستجدة وذلك من خلال موقفهم من دعو اشتراكية الإسلام وردهم عليها.

٨ـ اتسمت مؤلفاتهم بالسهولة والوضوح وعدم الخوض في تفصيلات مسائل العقيدة الدقيقة.

٩ـ لم تقتصر جهودهم على التأليف فقط، بل كان لهم الدروس العلمية والمجالس الوعظية والخطب المنبرية. بل سافر بعضهم إلى القرى المجاورة لتعليم الناس أمور دينهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر. فجزاهم الله خير الجزاء.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن الله تعالى أعلى من شأن العلم والعلماء، فالعلماء هم هداة الأمة، والمجتهدون في خدمة هذا الدين، فكم هدى الله بهم من ضال، وكم علّم بهم من جاهل، ولم يخل عصر من العصور من علماء يوضحون شرائع الإسلام ويسيرون بالأمة على المحجة البيضاء، فمن حقهم على الأمة ذكرهم بالجميل، والترحم عليهم، ومدارسة سيرهم.

ولذلك خصصت ملحقًا لتراجم (علماء المدينة النبوية في القرن الرابع عشر الهجري). وقد جاء ترتيبهم حسب تاريخ وفاتهم.

وقد كان من هؤلاء العلماء المشهورون، ومنهم المغمورون، وذكرت تراجمهم بقدر ما أسعفتنا المصادر المتوفرة.

وأنبه أن من علماء المدينة من لم أجد له ترجمة أبدًا مع بذل الوسع في ذلك، سوى ما نقلته شفهيًا من بعض أقرانه وتلامذته.

والله أسأل أن يوفقنا جميعًا للعلم النافع والعمل الصالح.

محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري

(١٢٩٦هـ - ١٣٦٣)

اسمه ونسبه:

هو محمد الطيب بن إسحاق بن الزبير بن محمد بن محمد بن البشير، ينتسب إلى بني ساعدة من الخزرج من الأنصار. وقد هاجر أحد أجداده من المدينة النبوية إلى المغرب والأندلس حتى استقر في مدينة السوف في الصحراء الكبرى. وبعد أن خربت تلك المدينة في القرن الحادي عشر الهجري تفرق سكانها فنزلت كل عشيرة أو قبيلة منزلاً خاصًا بها متحالفة مع إحدى قبائل الطوارق. واستقرت عائلة المترجم له في أحد تلك المنازل والتي عرفت باسم المراقد[١].

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد الطيب في قرية «المراقد»[٢] بالمغرب سنة ١٢٩٦هـ ونشأ في كنف والده الذي كان من العلماء المعروفين بالورع والزهد وبعد وفاة والده كفله خاله الشيخ محمد المختار الأنصاري، وحفظ القرآن في صغره، ثم اتجه إلى دراسة العلوم الشرعية وبرع فيها، وعند بلوغه العشرين من عمره تولى القضاء[٣] وكان ممن تصدوا للاستعمار الفرنسي، ولمَّا أخفقت جهود عشيرته في طرد المستعمرين أجمعوا على العودة إلى المدينة النبوية فرارًا بدينهم، فعادوا إليها سنة ١٣٢٥هـ، وكان - رحمه الله - سلفي

(١) ترجمة للشيخ للدكتور عبدالرحمن محمد الطيب الأنصاري بتاريخ ٢٥/٨/٢٠٠٧م.

(٢) الأعلام للزركلي (٦/١٧٩).

(٣) أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب عبد القدوس الأنصاري، المنهل، العدد الخامس، جمادى الأولى ١٣٦٥هـ، ص(٢٦٨).

العقيدة مالكي المذهب وله دراية شديدة بالمذاهب الثلاثة الأخرى، وكان يُدرّسها لطلبته[١].

مشايخه:

درس الشيخ محمد الطيب على علماء كثيرين منهم:

١ـ الشيخ المبارك محمد المختار الأنصاري فأخذ عنه الفقه المالكي والنحو واللغة والحديث والتفسير.

٢ـ الشيخ أحمد بن عبدالهادي ودرس عليه الأدب والمنطق.

٣ـ الشيخ أحمد بن الأحمر ودرس عليه علم الأصول.

٤ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي حيث أخذ الإجازة منه في الصحاح الستة.

تلاميذه:

كان الشيخ محمد الطيب يلقب بـ«شيخ المدينة» و«عالم الحرمين» ولذلك كانت أفواج الطلاب تقبل على حلقته، وأذكر هنا بعض تلاميذه ومنهم:

١ـ الشيخ ضياء الدين رجب.

٢ـ الشيخ أسعد طرابزوني الحسيني.

٣ـ الشيخ إسماعيل مصطفى حفظي.

٤ـ أمين مدني.

٥ـ أبوبكر محمد أحمد الشريف.

٦ـ الشيخ سيف بن سعيد اليماني.

٧ـ الشيخ عبدالله المحمود المدني.

---

(١) ترجمة الدكتور عبد الرحمن الأنصاري ـ خطاب ـ.

٨ـ عبدالقدوس الأنصاري.

٩ـ الشيخ عبدالمجيد الجبرتي.

١٠ـ عبيد مدني.

١١ـ الشيخ محمد علي الحركان.

١٢ـ الشيخ محمد عمر البري

١٣ـ الشيخ محمد المختار الكنتي.

جهوده ووظائفه:

بعد أن استقر في المدينة النبوية عام ١٣٢٥هـ تولى منصب رئيس المدرسين بمدرسة العلوم الشرعية، ثم عين مدرسًا بالمسجد النبوي، ومراقبًا للمدرسين. وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته[١].

مؤلفاته وآثاره:

ترك الشيخ محمد الطيب الأنصاري العديد من المؤلفات وهي:

١ـ الدرة الثمينة في النحو «نظم بها كتاب شذور الذهب لابن هشام» وطبعت سنة ١٣٣٥هـ بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة.

٢ـ البراهين الواضحات في نظم كشف الشبهات في التوحيد.

٣ـ الدلائل اليقينيات في الفرق بين كرامة الأحياء والأموات.

٤ـ اللآلىء الكمينة في شرح الدرة الثمينة.

٥ـ تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول.

٦ـ تحقيق كتاب «عمدة الأخبار في مدينة المختار» لأحمد بن عبدالحميد العباسي.

---

(١) ترجمة الدكتور عبد الرحمن الأنصاري ـ خطاب ـ.

٧ـ السراج الوهاج في اختصار صحيح مسلم بن الحجاج «مخطوط مفقود».

٨ـ التحفة البكرية في نظم الشافية في الصرف «شافية ابن الحاجب» مخطوط.

٩ـ تحبير التحرير في اختصار تفسير الإمام ابن جرير «تحت الطبع»[١].

وفاته:

عرف عنه ـ رحمه الله ـ حبه لبلده المدينة النبوية وتفضيله الإقامة بها على غيرها، ولذلك عندما اشتد عليه المرض الأخير رفض الخروج من المدينة النبوية للعلاج، وظل متمسكًا بالإقامة بها حتى وافته المنية بها في السابع من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٣هـ ودفن في البقيع[٢].

---

(١) الأعلام للزركلي (٦/ ١٧٩).

(٢) أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب (المنهل) العدد الثامن شعبان ١٣٦٥هـ ص(٣٧) عبدالقدوس الأنصاري.

الشيخ محمود شويل المدني

١٣٠٢هـ - ١٣٧٢هـ

اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ محمود بن علي بن عبدالرحمن شويل، المولود في السابع والعشرين من شهر رجب عام ألف وثلاثمائة واثنين من الهجرة. وكانت ولادته في بلده (أبي تيج) التابعة لمديرية أسيوط بمصر[١].

نشأته:

نشأ الشيخ محمود - رحمه الله - في عائلة كبيرة مشهورة بالعلم والفضل. ولها مكانة عالية في (أبي تيج) وسط عدد من العلماء والفقهاء بالمنطقة. وكان والده الشيخ علي من الفقهاء، وقد جاء مهاجرًا إلى الحجاز يسعى لأن يكون قريبًا من بيت الله الحرام ومسجد نبيه ﷺ، وهناك بدأ الشيخ محمود في سن مبكر من عمره بتعلم القرآن الكريم على يد والده. وحفظ الأجرومية وألفية ابن مالك ورسالة الدردير ثم الجوهر المكنون[٢]، واتصل الشيخ - رحمه الله - بعلماء الحجاز والعالم الإسلامي، وواظب على حضور الحلقات العلمية في المسجد النبوي الشريف، ونال الكثير من الإجازات من علماء الحجاز[٣].

مشايخه:

ذكرت أن الشيخ درس على جملة من علماء الحجاز، وأذكر منهم

(١) جريدة المدينة بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٤١٣هـ، بقلم: أنس يعقوب كتبي.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) موسوعة أسبار للعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية (٣/ ١٦٣٤) برقم (١٦٤٣).

هنا:

١ ـ الشيخ فالح الظاهري.

٢ ـ الشيخ محمد الكتاني.

٣ ـ الشيخ حبيب الرحمٰن الكاظمي.

٤ ـ الشيخ إبراهيم الإسكوبي.

٥ ـ الشيخ عمر حمدان المحرسي.

جهودة وأعماله:

ـ في عام ١٣٢٧هـ أذن له بالتدريس في المسجد النبوي[١].

ـ في عام ١٣٤٠هـ اختير اسم الشيخ محمود عالمًا من علماء المسجد النبوي، وكانت حلقته تعد من كبار الحلقات التي تزخر بالطلاب، وقد تتلمذ عليه خلق لا يحصون.

ـ في عام ١٣٤٤هـ حينما دخل الملك عبدالعزيز الحجاز واستقر الوضع في أرجاء البلاد، وفي شهر رمضان من تلك السنة أمر الملك عبدالعزيز بتشكيل محكمة شرعية كبرىٰ بالمدينة النبوية، واختير الشيخ محمود رئيسًا للقضاة، واستمر الشيخ لمدة عام في منصبه، ثم قدم استقالته، وقبلت وعاد إلىٰ التدريس في المسجد النبوي.

ـ اختير الشيخ محمود شويل من قبل أمير المدينة النبوية عبدالعزيز بن إبراهيم مدرسًا واعظًا في مجلسه الخامس؛ ولذٰلك لقب بـ«مدرس الإمارة».

ـ كانت له مشاركات صحفية كثيرة حتىٰ أنه يعد أقدم صحفي بالمدينة النبوية. ويعتبر هو من المؤسسين لجريدة المدينة، حيث أنه أقرض بعض المال لعثمان حافظ ليستعين بها علىٰ تأسيس الجريدة.

(١) الأعلام (٤/ ١٧٤).

ـ في عام ١٣٥٨هـ طلب الشيخ محمود من الملك عبدالعزيز إعفاءه من جميع الوظائف المسندة إليه فصدر الأمر السامي بذلك[١].

مؤلفاته:

للشيخ عدة مؤلفات منها:

١ ـ منزلة الحديث من الدين، وبحث في تعارض الأدلة السمعية والعقلية.

٢ ـ القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل.

٣ ـ القول السديد في قمع الحرازي الصنديد.

٤ ـ رفع الشك والارتياب ودفع اللوم والعتاب عمن اتبع سنة الرسول الأعظم في مسح على العمامة والشراب.

٥ ـ إرشاد الحائرين لرد شبهات المشبهين[٢].

وفاته:

كانت وفاته ـ رحمه الله ـ في البلد الحرام في يوم الجمعة الموافق ٢٠/ ٦/ ١٣٧٢هـ، ودفن في مقابر المعلاة[٣].

(١) جريدة المدينة، الأربعاء، بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٤١٣هـ، بقلم: أنس كتبي.
(٢) موسوعة أسبار لعلماء والمتخصصين في الشريعة الإسلامية في المملكة العربية السعودية (٣/ ١٦٣٤) برقم (١٦٤٣).
(٣) جريدة المدينة، الأربعاء، بتاريخ ١٢/ ٣/ ١٤١٣هـ، بقلم: أنس كتبي.

الشيخ عبدالرحمن الإفريقي
(١٣٢٦هـ - ١٣٧٧هـ)

اسمه ومولده:

هو الشيخ المحدث عبدالرحمٰن بن يوسف الإفريقي، ولد - رحمه الله - عام ١٣٢٦هـ في بلاد مالي من قارة إفريقيا، بقرية تسمى «فقا» وكان له إخوة من ذكور وإناث ولم يعش منهم غير المترجم له وأخوه الأكبر وكان والده من بيت الإمارة والحكم في تلك البلاد.

نشأته:

عند بلوغه سن التمييز بعثه والده إلى فقيه القرية الذي يسمى «ألفا» فقرأ القرآن وتعلم بعض الأحكام المبسطة في الفقه. وقد ظهرت عليه ملامح النجابة، وتفوق في الدراسة النظامية وحصل على أعلى الشهادات التي تؤهله للحصول على وظيفة مرموقة، وقد حصل على وظيفة سكرتير في مصلحة الأنواء الجوية، وفي أثناء ممارسته لوظيفته حصل بينه وبين مدير إدارته حديث في شأن الإسلام وواقع المسلمين، فرمى الثاني الإسلام بالجمود والتخلف، واتهم الإسلام بأنه غير صالح للعالم المعاصر فلم يستطع الشيخ الرد عليه والدفاع عن دينه وعقيدته لأن العلم في تلك البلاد وما شابهها لا يعدو حفظ القرآن وتدريس بعض المسائل المشهورة في مذهب مالك ومن هنا قرر السفر إلى بلاد الحرمين ليتفقه في دينه ويتسلح بالحجج والبراهين التي يقارع بها كل من يطعن في عقيدة الإسلام.

مشايخه:

لازم الشيخ - رحمه الله - علماء كثيرين في المسجد النبوي وفي دار

الحديث المدنية ومنهم:

١ـ الشيخ سعيد بن صديق الفلاتي الفوتي.

٢ـ الشيخ ألفا هاشم.

٣ـ الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري.

٤ـ الشيخ يونس بن نوح الإفريقي.

٥ـ الشيخ صالح الزغيبي.

٦ـ الشيخ محمد سلطان المعصومي الأفغاني.

٧ـ الشيخ محمد علي الحركان.

٨ـ الشيخ محمود شويل.

٩ـ الشيخ إبراهيم بري.

١٠ـ الشيخ محمد حميدة.

مؤلفاته:

لم يكن للشيخ مؤلفات كثيرة حيث غلب عليه التدريس والتبليغ، إلا أنه ترك بعض المؤلفات النافعة وهي:

١ـ رسالة أسماها «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية».

٢ـ رسالة «جواب إفريقي» وهي رسالة لطيفة أجاب فيها على سبع عشرة مسألة وردت إليه من بلاد مليبار عام ١٣٦٦هـ.

٣ـ رسالة «توضيح الحج والعمرة كما جاء بالكتاب والسنة».

جهوده:

اشتغل ـ رحمه الله ـ بالتدريس منذ عام ١٣٦٠هـ في المسجد النبوي ودار الحديث، والذي أصبح فيما بعد مديرًا لها.

في عام ١٣٦٤هـ اختاره الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ للدعوة

والإرشاد في ينبع النخل وما حولها من القرى، فأمضى فيها ثمانية شهور أسس خلالها قواعد راسخة في العقيدة هناك وأزال كثيرًا من البدع والمنكرات بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم عاد إلى المدينة النبوية وكثف جهوده في دعم دار الحديث المدنية وعمرها بالعلم النبوي، ومن المعلوم أن دار الحديث في أثناء إدارته ـ رحمه الله ـ ازدهرت ازدهارًا واضحًا، وفي عام ١٣٧٠هـ اختاره الملك عبدالعزيز ليدرس في المعهد العلمي بالرياض ثم بكلية الشريعة بالرياض أيضًا ودرّس ـ رحمه الله ـ في جامع الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ وعلى الرغم من ذلك لم ينقطع عن المدينة النبوية في تلك الفترة إلاَّ في مدة الدراسة فقط. وكان لسهولة أسلوبه وجميل خلقه وقوة إقناعه سببًا في استفادة الكثير من المقيمين والحجاج منه ـ رحمه الله ـ.

وفاته:

توفي ـ رحمه الله ـ في ليلة الثلاثاء الموافق الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول عام سبع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة بعد أن انتابته أمراض كثيرة، وقد خلف أربعة أبناء وأربع بنات.[١].

(١) ترجمة للشيخ عمر بن محمد فلاتة ـ رحمه الله ـ للشيخ الأفريقي ـ رحمه الله ـ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية العدد رقم (٤).

عمر بن إبراهيم بري المدني
(١٣٠٩هـ - ١٣٧٨هـ)

اسمه ونسبه:

هو عمر بن إبراهيم بن عبدالقادر بن عمر بن إبراهيم بري المدني، وينتهي نسب هذه الأسرة إلى عبدالبر المرابطي القيرواني المنتسب إلى محمد بن الحنفية[1].

والده الفقيه الحنفي الأديب مفتي المدينة ومحدثها ولد في المدينة النبوية سنة ١٢٨١هـ وتصدر للتدريس في المسجد النبوي، وعين مفتيًا للمدينة النبوية زمن دولة العثمانيين، وعندما تسلم الملك عبدالعزيز المدينة ثبته قاضيًا، فأصبح رئيس كتاب المحكمة الشرعية[2].

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عمر بري - رحمه الله - في المدينة النبوية عام ١٣٠٩هـ[3]، ولم تذكر المراجع متى مولده بالتحديد. ونشأ في بيت علم وفضل ودين، في أسرة معروفة بالعلم والأدب. وحفظ القرآن الكريم وجوده على قراءة حفص في مكتب الشيخ إبراهيم الطرودي في أحد مكاتب المسجد النبوي، ثم قرأ شرح الجزرية، وحفظ على والده «الآجرومية» و«كفاية الغلام» في الفقه الحنفي على جده لأمه الشيخ إبراهيم الأسكوبي، كما درس مبادىء العلوم

---

(١) ذكره عبدالرحمن بن عبدالكريم الأنصاري في تحفة المحبين والأصحاب ص (٩١)، تحقيق العروسي المطوي.

(٢) التاريخ الشامل للمدينة المنورة (٣/ ١٦٥).

(٣) ترجمة الأستاذ راجح إبراهيم، مقدمة كتاب سيف الحق على من لا يرى الحق للمترجم له.

عليهما، وعرف ـ رحمه الله ـ منذ صغره بالصبر وحبه لطلب العلم، ودرس على علماء المدينة النبوية في حلق المسجد النبوي، ومنهم الشيخ محمد العائش القرشي فتعلم منه المناسخات ووضع الشبائك الفرضية، ودرس على محدث المدينة النبوية الشيخ العلامة محمد الطيب الأنصاري النحو والتوحيد والأدب والحديث وبعض العلوم وكان متأثرًا به وقد مدحه في كثير من القصائد وكان أستاذه المفضل بعد أبيه[1].

وبعد أن نال قسطًا وافرًا من العلم على مشايخه أجازوه إجازة عامة في بث العلم ونشره، وجلس للتدريس في المسجد النبوي قرابة ثلاثين عامًا.

مشايخه:

تلقى الشيخ عمر بري ـ رحمه الله ـ على كثير من العلماء، وهنا أذكر بعضهم وهم:

١ـ والده الشيخ إبراهيم بري.

٢ـ جده لوالدته إبراهيم الأسكوبي.

٣ـ جده لوالده عبدالقادر بري.

٤ـ عبدالجليل براده.

٥ـ أمين الحلواني.

٦ـ حبيب الرحمٰن الكاظمي. وكان أستاذ والده.

٧ـ محمد العائش القرشي.

٨ـ أحمد الفيض آبادي.

٩ـ السيد حسين أحمد آبادي.

١٠ـ محمد العمري.

(١) بتصرف ـ المنهل/ ذو القعدة/ ١٣٧٩هـ/ ص(٥٩٨).

١١ـ الشيخ محمد الطيب الأنصاري.

تلاميذه:

تتلمذ على الشيخ عمر بري طلاب كثيرون في حلقاته العلمية بالمسجد النبوي وكذا في مدرسة العلوم الشرعية، حيث درس شتى العلوم ومن تلاميذه:

١ـ علي بن حسن الشاعر.

٢ـ عبدالرحمن صالح.

٣ـ عبدالحق العباسي.

٤ـ محمد ملا.

٥ـ السيد حبيب محمود أحمد.

٦ـ الشيخ عمر فلاته المدرس بالمسجد النبوي الشريف.

جهوده وأعماله:

ذكرت سابقًا بأن الشيخ عمر بري ـ رحمه الله ـ مكث يدرس في المسجد النبوي قرابة الثلاثين عامًا، وقد عمل في المحكمة الشرعية كاتب عدل وذلك أواخر سنة ١٣٣٧هـ إلى سنة ١٣٤٥هـ، ودرس في المدرسة الشرعية بالمدينة النبوية بالقسم العالي الفقه والتوحيد واللغة العربية[١].

مؤلفاته:

١ـ «سيف الحق على من لايرى الحق» رد فيه على كتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» لطاهر بن علي الحداد التونسي[٢] والذي ذهب فيه أن الأحكام الدينية الإسلامية أحكام وقتية قابلة للتحويل والتنقيح بل الإلغاء

---

(١) المنهل / ذو القعدة / ١٣٧٩هـ/ ص(٢٩).

(٢) المصدر نفسه.

تمامًا تبعًا لتطور العصور، ونال في كتابه هذا من جناب المصطفى ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -.

٢ـ «ديوان عمر بن إبراهيم البري» جمعه ولده عبدالكريم بن عمر البري - رحمه الله -.

٣ـ «تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول» في التوحيد وهي منظوم للأصول الثلاثة لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وتتألف من إحدى وثلاثين ومائة بيت.

وفاته:

في العاشر من شهر شوال عام ثمان وسبعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية توفي الشيخ عمر بري - رحمه الله - ودفن في البقيع[1].

(١) المنهل / ذو القعدة / ١٣٧٩هـ، ص(٥٩٩).

الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني
(١٣٢٣ ـ ١٣٩٣هـ)

اسمه ومولده:

هو الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني، ولد بـ(أنديجان) من مدن وادي فرغانة، عام ١٣٢٣هـ.

تلقيه العلم:

درس العلوم المتداولة على أبرز علماء (تركستان)، ثم رحل إلى الهند ودرس على علمائها العلوم العالية من علوم القرآن والحديث وسائر الفنون، وحصل على الإجازة العالية من (دار العلوم ـ ديوبنية) المعروفة بالهند، عاد بعدها إلى التركستان، والتقى بكبار العلماء ورجالات البلاد.

أعماله:

ـ كان له ـ رحمه الله ـ نشاط كبير ضد (الشيوعية) وجاهد في سبيل تحرير التركستان من الاستعمار الروسي الشيوعي.

ـ قام بالتدريس في مكة المكرمة بعد هجرته إليها.

ـ قام بالتدريس في المسجد النبوي وفي دار العلوم الشرعية، كما درّس بدار الأيتام.

ـ كان ـ رحمه الله ـ يلقي دروسًا باللغة الأوزبكية للمهاجرين التركستانيين في بعض المدارس الوقفية بالمدينة النبوية.

تلاميذه:

تتلمذ على الشيخ عدد كبير من التلاميذ ومنهم:

١ ـ الشيخ عبدالظاهر أبوالسمح إمام وخطيب المسجد الحرام.

٢ ـ الشيخ حماد الأنصاري.

٣ ـ الشيخ الدكتور عبدالعزيز القارئ.

مؤلفاته:

كان للشيخ عدة مؤلفات باللغتين العربية والأوزبكية ومنها:

ـ المصباح في علوم الحديث. باللغة العربية.

ـ شرح العقيدة الخالصة. باللغة العربية.

ـ تفسير القرآن على منهج السلف منبع العرفان. باللغة الأوزبكية.

ـ (إسلام يولي) أي: طريق الإسلام. باللغة الأوزبكية.

ـ (لازم وظيفة لر) أي: الوظائف الضرورية.

ـ(خاتون لار آينكي) أي: مرآة النسوان.

ـ مختصر جامع الأصول، ترجمه إلى اللغة الأوزبكية.

ـ ترجمة الإمام أبي حنيفة.

وفاته:

توفي الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني في التاسع عشر من المحرم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، ودفن بالبقيع «الغرقد»[1].

---

(١) مقدمة كتاب شرح العقيدة الخالصة، ترجمة بقلم الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ.

صالح بن أحمد المصوعي

هو الشيخ صالح بن أحمد المصوعي نزيل المدينة، وموطنه الأصلي بلاد أرتريا، والتي كانت تحت سيطرة الاستعمار الإيطالي، وعندما خاف على دينه خرج مهاجرًا مع بضعة نفر من أصحابه، ولم يكن معه أحد من أقربائه[١] أقام في المدينة النبوية وكان صاحب عبادة وطول قراءة واطلاع[٢].

كان له ـ رحمه الله ـ عدّة مؤلفات أشار سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ إلى أحدها وهي الرسالة الدفاعية حيث قال ـ رحمه الله ـ: «وممّن كتب في هذا ـ أيضًا ـ أخونا صالح بن أحمد المصوعي ـ رحمه الله ـ فقد كتب فيها رسالة صغيرة فنّد فيها المزاعم وأبطل ما قاله هؤلاء الكتبة بأن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط»[٣].

ومن تلك المؤلفات ما يلي:

١ ـ إرشاد المحتار إلى سبيل المختار.

٢ ـ كشف التلبيس.

٣ ـ البرهان الواضح.

٤ ـ إسعاف الحجاج.

٥ ـ إبادة مدعي الدفاع بنصوص الغزو والجهاد لإعلاء كلمة الله.

٦ ـ لا شيوعية ولا اشتراكية في الإسلام.

٧ ـ بشرى المتقين وإنذار الفاسقين بكلام سيد المرسلين.

٨ ـ تدمير أباطيل محمد بن أحمد نور بالقرآن والحديث.

---

(١) الشيخ عمر بن عيسى: وكيل دار الحديث حاليًا ـ مشافهة ـ بتاريخ ٧/ ١١/ ١٤٢٧هـ.

(٢) فتاوى ابن باز (٣/ ١٩٩).

(٣) مجلة المنهل العدد ٤٩٩: ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

٩ ـ تحذير الحاج والزائر مما أحدثه الناس في الغابر.

١٠ ـ تحذير المسلمين بحديث رسول رب العالمين عن الوقوع في الملاعن الثلاثة.

١١ ـ سيرة خير العباد (مجرد من زاد المعاد).

١٢ ـ تحكيم الناظر فيما جرى من الاختلاف بين أمة أبي القاسم ﷺ.

اشتغل ـ رحمه الله ـ بالتدريس في المسجد النبوي ودار الحديث المدنية، وذكره الشيخ عمر محمد محمد بكر الفلاني ضمن من أدركهم وهم يقومون بمهمة التدريس في المسجد النبوي[١].

توفي ـ رحمه الله ـ في آخر التسعينات في مدينة الطائف ودفن فيها[٢].

---

(١) مجلة المنهل، العدد ٤٩٩، ص٢٦١ـ٢٦٢.

(٢) الشيخ عمر بن عيسى وكيل دار الحديث ـ حاليًا ـ مشافهة.

عبد العزيز بن خلف الخلف

(١٣٢٩هـ ـ ١٤٠٨)

اسمه ونسبه: هو الشيخ عبد العزيز بن خلف بن عبدالله بن خلف بن راشد الخلف، والخلف فخذ من آل غانم بن شملان بن محمد بن جري، وجري يرجعون إلى قحطان نزحوا في القرن السابع الهجري من الجنوب إلى الشمال وقطنوا جبل طي[١].

مولده ونشأته: ولد الشيخ عبد العزيز الخلف سنة ١٣٢٩هـ بمدينة حائل[٢] ونشأ في بيت علم، فقد كان جده عبدالله بن خلف من أهل العلم والقضاء، فقد تولى القضاء للدولة العثمانية ثم للملك عبدالعزيز بعد استيلائه على حائل. ووالد المترجم له هو الشيخ خلف بن عبدالله كان أيضًا عالمًا، فنشأ ـ رحمه الله ـ في بيت علم، وقد قرأ القرآن على المقرىء الشيخ علي بن حمد الشامي، وأخذ العلم عن الشيخ عبدالله بن بليهد، والشيخ عبدالله الصالح الخليفي، وقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم[٣].

وظائفه: تولى وظيفة معلم ومرشد في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سكاكا الجوف سنة ١٣٥٥هـ[٤].

ـ تولى رئاسة هيئة الأمر بالمعروف فيها سنة ١٣٦٥هـ.

---

(١) ترجمة ابن المترجم له فضيلة الدكتور سعد بن عبدالعزيز الخلف بتاريخ ٢٠ـ١١ـ١٤١٣هـ.

(٢) زهر الخمائل في تراجم علماء حائل، علي بن محمد الهندي ص(٢٨) مطابع الأصفهاني. جدة ١٣٨٠هـ.

(٣) ينظر ترجمة ابن المترجم له فضيلة الدكتور سعود الخلف: وزهر الخمائل. ص(٢٨).

(٤) ينظر: إتمام الإعلام ص(١٥٦)، نزار أباظة، ومحمد رياض، دار صادر، ط١، وتكملة معجم المؤلفين ص(٣٠٢) محمد خير رمضان، دار ابن حزم، ط١، ١٤١٨هـ.

- عين قاضيًا بحقل سنة ١٣٦٦هـ.

- نقل إلى تيماء قاضيًا سنة ١٣٧٠هـ.

- نقل إلى القريات على الحدود الشمالية قاضيًا فيها سنة ١٣٧٤هـ.

- ثم أصبح قاضيًا في محكمة الجوف سنة ١٣٧٧هـ.

- ثم انتقل إلى محافظة رابغ قاضيًا فيها سنة ١٣٨٣هـ.

- ثم انتقل إلى المدينة النبوية وبقي فيها حتى توفي بها كما كان يرجو[١] ويأمل.

مؤلفاته:

اشتغل الشيخ الخلف بالتأليف ومن مؤلفاته:

١- دليل المستفيد على كل مستحدث جديد.

٢- نظرات في كتاب حجاب المرأة المسلمة.

٣- الأجزاء الكونية بين النقل والعقل.

٤- آفاق الهداية.

٥- كفاية المختار مختصر نيل الأوطار. لم يطبع[٢].

وفاته:

توفي - رحمه الله - في المدينة النبوية على إثر نوبة قلبية في ١٨/ ٧/ ١٤٠٨هـ، ودفن بالبقيع رحمه الله[٣].

---

(١) ترجمة ابن المترجم له الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف.

(٢) إتمام الإعلام ص(١٥٦). تكملة معجم المؤلفين ص(٣٠٢).

(٣) ترجمة ابن المترجم له الدكتور سعود الخلف.

عبدالله بن حمد الخربوش
(١٣٣٧هـ ـ ١٤١٠هـ)

اسمه ونسبه ومولده:

هو عبدالله بن حمد بن دخيل بن سليمان آل خربوش، ولد بالمدينة النبوية في غرة رجب عام ١٣٣٧هـ.

نشأته:

بعد إتمامه السابعة من عمره أدخله والده محمد الخربوش ـ رحمه الله ـ مدرسة العلوم الشرعية، فتلقى العلم وحفظ القرآن الكريم وعمره أربعة عشر عامًا، وحصل على شهادة حفظ القرآن من المدرسة المذكورة، ثم أكمل دراسته منتسبًا، وكان يتردد على حلقات العلم في المسجد النبوي.

مشايخه:

تلقى العلم على أيدي كثير من علماء المدينة منهم:

١ـ الشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري.

٢ـ الشيخ سليمان العمري.

٣ـ الشيخ صالح الزغيبي.

٤ـ الشيخ أمين الطرابلسي.

٥ـ الشيخ عمار الجزائري.

٦ـ الشيخ عبدالمجيد الجماوي.

٧ـ الشيخ عبدالعزيز بن صالح.

٨ـ الشيخ السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني.

٩ـ الشيخ محمد بن علي الحركان.

وظائفه التي شغلها:

تقلب الشيخ عبدالله الخربوش ـ رحمه الله ـ في عدة وظائف شرعية:

ـ في عام ١٣٦٠هـ عين مدرسًا في شقراء.

ـ في عام ١٣٦٥هـ انتقل إلى التدريس في مدارس النجاح بالمدينة النبوية.

ـ في عام ١٣٧٧هـ عين مدرسًا للعلوم الشرعية والعربية بالمسجد النبوي الشريف.

ـ وفي عام ١٣٧٨هـ عين كبير المفتشين ورئيس التربية الإسلامية بمنطقة المدينة النبوية التعليمية.

ـ وفي ١٣٩٤هـ كان أحد أعضاء الإشراف الديني والتدريس بالمسجد النبوي.

وفاته:

توفي ـ رحمه الله ـ مساء يوم السبت التاسع من صفر عام ١٤١٠هـ وعمره ٧٣ سنة[١].

---

(١) كتب ـ رحمه الله ـ ترجمة مختصرة عن نفسه في ورقة واحدة بدون تاريخ، وكتب لي ابنه الشيخ عبدالمجيد بن عبدالله الخربوش خطابًا ترجم فيه لوالده ـ رحمه الله ـ وذلك بتاريخ ٥/ ٦/١٤٢٨هـ.

(٣٦٥)

محمد أمان بن علي الجامي

(١٣٤٩هـ - ١٤١٦هـ)

اسمه ونسبه:

هو محمد أمان بن علي جامي علي، يكنى بأبي أحمد، وموطنه الحبشة من منطقة هرر، وبالتحديد من قرية طفاطاب.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد أمان في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية. ونشأ في قرية طفاطاب وفيها تعلم القرآن الكريم، ودرس فيها على الشيخ محمد أمين الهرري الفقه على مذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ واللغة العربية. ثم انتقل إلى قرية أخرى ودرس فيها على الشيخ موسى نظم الزبد لابن رسلان ثم درس متن المنهاج على الشيخ أبادر وتعلم في هذه القرية بعض الفنون.

رحلته إلى الحجاز:

تطلع ـ رحمه الله ـ للسفر إلى بلاد الحجاز بقصد الحج وطلب العلم على علمائها، فخرج من الحبشة إلى الصومال وركب البحر متوجهًا إلى عدن ثم سار إلى الحديدة سيرًا على الأقدام وصام فيها شهر رمضان ثم توجه إلى الحجاز سيرًا على الأقدام وبعد أدائه لفريضة الحج بدأ بطلب العلم فدرس في حلقات المسجد الحرام وتعرف في مكة على سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وصحبه في سفره إلى الرياض لما افتتح المعهد العلمي، ولازم هناك حلق العلم المنتشرة بالرياض واستفاد وتأثر بسماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ.

مشايخه:

١ـ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ .

٢ـ الشيخ عبدالعزيز بن باز .

٣ـ الشيخ عبدالرزاق حمزة .

٤ـ الشيخ عبدالحق الهاشمي .

٥ـ الشيخ محمد بن عبدالله الصومالي .

٦ـ الشيخ عبدالرحمن الإفريقي ـ وكان ملازمًا له ـ .

٧ـ الشيخ عبدالرزاق عفيفي ـ وكان متأثرًا به جدًا حتى في طريقة تدريسه ـ .

٨ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي .

٩ـ الشيخ محمد خليل هراس .

١٠ـ الشيخ عبدالله القرعاوي .

تلاميذه:

تتلمذ على الشيخ جمع غفير من الطلاب وأذكر بعضهم ومنهم :

١ـ الدكتور ربيع بن عمير المدخلي .

٢ـ الشيخ زيد بن هادي مدخلي .

٣ـ الدكتور علي بن ناصر فقيهي .

٤ـ الدكتور محمد بن حمود الوائلي .

٥ـ الشيخ المحدث عبدالقادر حبيب الله السندي ـ رحمه الله ـ .

٦ـ الدكتور صالح بن سعد السحيمي .

٧ـ الدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد .

٨ـ الدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي .

أعماله ووظائفه :

- عين مدرسًا بمعهد صامطة العلمي بمنطقة جازان .

- وعند افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨١ هـ انتدب للتدريس فيها .

- عين مدرسًا في المسجد النبوي .

مؤلفاته :

١ـ كتاب «الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه» .

٢ـ كتاب «أضواء على طريق الدعوة إلى الإسلام» .

٣ـ كتاب «مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنة» .

٤ـ رسالة بعنوان «المحاضرة الدفاعية عن السنة المحمدية» .

٥ـ رسالة بعنوان «حقيقة الديمقراطية وأنها ليست من الإسلام» .

٦ـ رسالة بعنوان «حقيقة الشورى في الإسلام» .

٧ـ رسالة بعنوان «العقيدة الإسلامية وتاريخها» .

٨ـ رسالة بعنوان «توزيع الثروات في الإسلام» .

وفاته :

توفي ـ رحمه الله ـ صبيحة يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ١٤١٦هـ وصلى عليه بعد صلاة الظهر ودفن في البقيع(١) .

---

(١) ينظر ترجمة الأخ مصطفى بن عبدالقادر الفلاني ، كتبت في ٥/ ٣/ ١٤١٩هـ .

عبد العزيز بن علي الشبل
(١٣٣٩هـ - ١٤١٨هـ)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ عبدالعزيز بن علي بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سليمان بن ناصر بن شبل، من شبول بني تميم، حيث يتصل نسبهم بابن مشرف بن عمر بن معضاد بن عقبة بن وهيب من آل وهبه البطن الكبير المشهور من بطون بني حنظلة أوسع بطون بني تميم، ويكنى أبا عبدالله فله من الذكور خمسة ومن الإناث أربع.

ولادته ونشأته:

ولد الشيخ في مدينة عنيزة في شهر جمادى الثانية من سنة ١٣٣٩هـ. وقد توفي والده وللشيخ نحو عشرة أشهر، فنشأ يتيم الأب. فنشأ بحضانة جده الشيخ عبدالله المانع قاضي عنيزة، وقد أكسبه هذا البيت نشأة دينية علمية، فحفظ القرآن عن ظهر قلب وعمره ١٦ سنة ثم اعتنى بالمتون المختصرة في التوحيد والحديث والعربية، وتدرج في طلب العلم تدرجًا أهله فبدأ فيه من مختصرات المتون في الأصول والفروع والآلات مع العناية الواضحة بالتوحيد تحقيقًا وحفظًا.

شيوخه:

كان من أبرز شيوخه في سيرته العلمية خلا أساتذة ومشايخ المعهد وكلية الشريعة:

١ـ جده الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع.

٢ـ الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي.

٣ـ الشيخ عمر بن محمد بن سليم.

٤ـ الشيخ عبدالله بن حسن أبا الخيل.

٥ـ الشيخ عبدالرحمن بن عودان.

٦ـ الشيخ عبدالرحمن الناصر السعدي.

٧ـ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

٨ـ الشيخ عبدالعزيز بن باز.

٩ـ الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.

تلاميذه:

أما تلاميذه ـ رحمه الله ـ فكثيرون في الدراسة النظامية بالجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي.

جهوده وأعماله:

ـ رشحه الشيخ محمد بن إبراهيم للقضاء، وبعد طول مراجعة وشفاعة من شيخه الشيخ عبدالله القرعاوي والشيخ عبدالعزيز بن باز أعفاه عن القضاء.

ـ في عام ١٣٨٤هـ عين مدرسًا في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية فمكث فيها إلى نهاية عام ١٤٠٥هـ حيث أحيل للتقاعد.

ـ في عام ١٤٠٦هـ عين مدرسًا في الحرم النبوي وفي عام ١٤١٧هـ طلب الإعفاء من ذلك.

وكان يدرس في الحرم النبوي التوحيد والفرائض والفقه والسيرة النبوية.

ـ في عام ١٤٠٠هـ عينه الشيخ عبدالعزيز بن صالح ـ رحمه الله ـ إمامًا للمسجد النبوي في فريضتي الظهر والعصر نحوًا من سنتين، مع نيابة عمّن

يتأخر لظرف من الأئمة.

وكان رحمه الله له نشاط في الاحتساب في عنيزة والرياض والمدينة النبوية.

مؤلفاته:

- مذكرة في مادة التوحيد للمرحلة المتوسطة بالجامعة الإسلامية على كتاب التوحيد، ألفها بطلب من شيخه الشيخ ابن باز - رحمه الله -.
- حاشية مختصرة في الفقه.
- توجيهات في حجة النبي ﷺ وزيارة المسجد النبوي.
- نصائح ومواعظ وتوجيهات متعددة في مناسبات مختلفة.
- مجموعة كبيرة من الفوائد والتقييدات العلمية في دفاتر ومذكرات خاصة.

وفاته:

في ليلة السبت ١٤١٨/٦/٣هـ وهو في صلاة المغرب، وبعد فراغ الإمام من قراءة الفاتحة في الركعة الأولى سقط - رحمه الله - ميتًا، بسبب جلطة بشقه الأيمن، فصلى عليه ظهر يوم السبت بالمسجد النبوي ودفن في البقيع[١].

---

(١) ترجم له ابنه الشيخ الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل بتاريخ ١٤١٩/٦/٢٦هـ.

حماد بن محمد الأنصاري

(١٣٤٤هـ ـ ١٤١٨هـ)

اسمه ونسبه:

هو حماد بن محمد بن محمد بن حتة بن مختار بن محمد البشير السعدي الخزرجي الأنصاري. من ذرية سعيد بن سعد بن عبادة الصحابي الجليل ـ رضي الله عنه ـ.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ سنة ١٣٤٤هـ في إفريقيا في بلاد «مالي» وبالتحديد «تاد مكة» ومعناها «هذه مكة»، وهو من أسرة عُرفت بالعلم والفتيا والقضاء قبل الاستعمار الفرنسي وبعده.

وقد نشأ الشيخ حماد ـ رحمه الله ـ يتيمًا، وقام عمّه الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الملقب بالبحر لعلمه بتنشئته على حفظ القرآن فأتمّ حفظه غيبًا وتجويدًا وهو ابن خمس عشرة سنة، وقرأ على خاله علم النحو والصرف، وأخذ من عمه ـ البحر ـ علم الأصول والتفسير وسمع منه الموطأ وصحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وتلقى عنه دووايين اللغة ومتن «مختصر خليل»، وعند بلوغه الثالثة والعشرين من عمره قرر الهجرة إلى بلاد الحرمين للاستفادة من علمائها، ومكث في مكة المكرمة يتلقى عن علمائها. وفي عام ١٣٧١هـ انتقل إلى المدينة النبوية والتحق بدار العلوم الشرعية تخصص حديث، وسمع في المدينة النبوية من علمائها.

شيوخه:

تلقى الشيخ حماد العلم على أيدي كثير من العلماء المعروفين بالعلم

والفضل وأذكر منهم:

١ـ خاله الشيخ المقرئ محمد بن أحمد بن تقي الأنصاري، الملقب بأستاذ الأطفال ـ لاعتنائه بإقرائهم القرآن ـ.

٢ـ عمّه الشيخ محمد بن أحمد بن محمد الملقب كما ذكرت سابقًا ـ بالبحر ـ لسعة علمه.

٣ـ ابن عمه علامة عصره المحقق الشيخ موسى بن الكسائي الأنصاري.

٤ـ الشيخ الشريف حمود بن محمود الإدريسي الحسني قرأ عليه المنطق وعلم أصول الفقه والتفسير.

٥ـ الشيخ محمد عبدالرازق حمزة.

٦ـ الشيخ أبو محمد عبدالحق الهاشمي الهندي.

٧ـ الشيخ حسن المشاط.

٨ـ الشيخ محمد أمين الحنفي.

٩ـ الشيخ حامد الفقي.

١٠ـ الشيخ محمد عبدالله بن محمود المدني.

١١ـ الشيخ محمد بن علي التركي.

١٢ـ الشيخ عمر بري.

١٣ـ الشيخ قاسم بن عبدالجبار الأندريجاني.

تلاميذه:

للشيخ تلاميذ كثيرون، وذلك لطول قيامه بالتدريس في الرياض والمدينة النبوية، وما قام به من الإشراف على الرسائل العلمية بالجامعة، بل قرأ عليه حتى من العلماء مثل الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ إذ قرأ

عليه الآجرومية بالنحو والرحبية في الفرائض ، ومن تلاميذه :

١ـ الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي .

٢ـ الشيخ الدكتور مرزوق الزهراني .

٣ـ الشيخ الدكتور عمر بن حسن فلاتة .

٤ـ الدكتور باسم فيصل جوابرة .

٥ـ الشيخ الدكتور وصي الله عباس .

٦ـ الشيخ علي بن حسن عبدالحميد .

٧ـ الدكتور محفوظ الرحمن زين ـ رحمه الله ـ .

٨ـ الشيخ علي الفقيهي .

٩ـ الشيخ بكر أبو زيد .

١٠ـ الشيخ عبدالله بن جبرين .

مؤلفاته:

للشيخ ـ رحمه الله ـ عدد من المؤلفات المطبوعة وهي :

١ـ بلغة القاصي والداني في تراجم شيوخ الطبراني .

٢ـ رفع الأسى عن المضطر إلى رمي الجمار بالمسا .

٣ـ رفع الاشتباه عن حديث : «**من صلى في مسجدي أربعين صلاة**» .

٤ـ تحقيق القول في حديث «**من مضت عليه خمسة أعوام أو أربعة أعوام وهو غني ولم يحج ولم يعتمر**» .

٥ـ كشف الستر عمّا ورد في السفر إلى القبر .

٦ـ الإعلان بأن «العمري» ليست من الأيمان .

٧ـ عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري .

٨ـ الأجوبة الوفية على أسئلة الألفية .

٩ـ فتح الوهاب فيمن اشتهر من المحدثين بالألقاب.

١٠ـ إتحاف ذوي الرسوخ بمن عرف بالتدليس من الشيوخ.

١١ـ يانع الثمر في مصطلح أهل الأثر.

١٢ـ تحقيق «ديوان الضعفاء» للذهبي.

١٣ـ تحقيق «ذيل الديوان» للذهبي

١٤ـ تحفة القاري بأسانيد الأنصاري.

أعماله ووظائفه:

في عام ١٣٧١هـ عمل ـ رحمه الله ـ مدرسًا في مكة المكرمة، ثم انتقل إلى الرياض للتدريس في معهد إمام الدعوة وبقي فيه من عام ١٣٧٥هـ إلى عام ١٣٧٨هـ. انتقل ـ رحمه الله ـ للتدريس في كلية الشريعة بالرياض أيضًا وبقي فيها من عام ١٣٧٩هـ إلى عام ١٣٨٤هـ، وفي نهاية عام ١٣٨٤هـ انتقل إلى المدينة النبوية ـ الجامعة الإسلامية ـ ومكث في الجامعة حتى أحيل إلى التقاعد عام ١٤١٠هـ، وبقي بعد ذلك على صلة بالجامعة الإسلامية وذلك بإشرافه على ماكان عنده من رسائل جامعية ومناقشات. وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ عضوًا في مجلس مركز خدمة السنة والسيرة في المدينة النبوية، وكان ـ أيضًا ـ عضوًا في مجلس الإشراف على شؤون الحرم المدني الشريف الذي كان يعقد مرتين كل أسبوع.

وفاته:

توفي ـ رحمه الله ـ صباح يوم الأربعاء الموافق الحادي والعشرين من جمادى الآخرة عام ١٤١٨هـ في المدينة النبوية، وصُلي عليه في المسجد النبوي، وكانت جنازته مشهودة حيث حضرها جم غفير من علماء المدينة

وقضاتها، وكبار مسئوليها، وأساتذة الجامعة وطلاب العلم وغيرهم[١].

(١) ينظر ترجمة الشيخ حماد الأنصاري ـ رحمه الله ـ في المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري ـ رحمه الله ـ وسيرته وأقواله ورحلاته، تأليف وجمع وترتيب عبدالأول بن حماد الأنصاري.

الشيخ عطية محمد سالم

١٣٤٦هـ - ١٤٢٠هـ

هو الشيخ عطية محمد سالم، ولد في قرية المهدية التابعة لمديرية الشرقية بمصر عام (١٣٤٦هـ)[١].

نشأته:

نشأ في منطقة ريفية وعلىٰ عادة أبناء الريف درس في كتاتيب القرية، ثم درس في مدرستها الأولية لمدة خمس سنوات، وحفظ فيها أجزاء من القرآن الكريم[٢]. ثم واصل دراسته الشرعية بعد مجيئه المدينة النبوية في حج ١٣٦٤هـ، فعند زيارته للمدينة النبوية في ذلك العام شعر برغبة مُلِحّة في البقاء في المدينة؛ حيث وجد حلق دروس المسجد النبوي التي استفاد منها بالإضافة إلىٰ ما وجد في أهل المدينة النبوية من رحابة الصدر وطيب النفس. كما التحق ـ رحمه الله ـ بدار الحديث يدرس فيها صباحًا، ويدرس في المسجد النبوي مساءً. وفي عام ١٣٧١هـ التحق بالمعهد العلمي بالرياض حين افتتاحه[٣].

مشايخه:

التقىٰ الشيخ عطية محمد سالم ـ رحمه الله ـ بأغلب مدرسي المسجد النبوي وأخذ عنهم، وعندما انتقل إلىٰ الرياض درس علىٰ جملة من علمائها،

---

(١) قضاة المدينة المنورة من عام ٩٦٣هـ ـ ١٤١٨هـ. عبدالله بن محمد الزاحم (١/ ٩٢).

(٢) من أعلام المدينة النبوية في العصر الحديث، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة: ص٩.

(٣) الترجمة التي كتبها بخط يده ـ رحمه الله ـ في غرة ذي الحجة ١٤١٤هـ، والتي بلغت (٢٢) صفحة: ص٤.

وهنا أذكر بعض مشايخه، ومنهم:

ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

ـ الشيخ عبدالرحمٰن بن يوسف الأفريقي.

ـ الشيخ حماد الأنصاري.

ـ الشيخ محمد بن علي التركي.

ـ الشيخ محمد الحركان.

ـ الشيخ أحمد ياسين الخياري.

ـ الشيخ عبدالعزيز بن باز.

ـ الشيخ عبدالعزيز بن رشيد.

ـ الشيخ عبدالرحمٰن حمزة.

ـ الشيخ عبدالرزاق عفيفي[1].

تلاميذه:

درس على الشيخ خلق لا يحصون سواء في الجامعة الإسلامية، أو في المسجد النبوي، كما كان له دروس في منزله ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

جهوده وأعماله:

ـ أثناء فترة طلبه للعلم وكان معروفًا عند العلماء اختاره الشيخ الأفريقي مع بعض طلبة العلم لترشيد الحجاج في فترة الموسم وتعليمهم آداب الزيارة.

ـ درس في معهد الأحساء قبل التخرج ـ أثناء دراسته الجامعية ـ وقد درس خلالها كتاب الزاد والبلاغة الواضحة ومصطلح الحديث.

ـ بعد أن مكث أربع سنوات في معهد الأحساء انتقل إلى المعهد

(١) المصدر السابق، ص٦.

العلمي بالرياض، فدرس الحديث والأدب في صدر الإسلام.

ـ في عام ١٣٨١هـ وحين افتتاح الجامعة الإسلامية انتقل الشيخ إليها وأسندت إليه إدارة شؤون التدريس (طالب ومدرس ومنهج وكتاب) لمدة أربع سنوات حتى تخرج الفوج الأول. وبذلك يعتبر الشيخ عطية من المؤسسين للجامعة الإسلامية.

ـ في عام ١٣٨٤هـ انتقل إلى سلك القضاء، وعين على مرتبة قاضي (أ) ثم على مرتبة قاضي تمييز إلى أن أحيل إلى التقاعد في ١/ ٥/ ١٤١٤هـ[١].

ـ درس في المسجد النبوي مدة طويلة في فنون متعددة، ومن دروسه:

١ ـ شرح الأربعين.

٢ ـ شرح البيقونية.

٣ ـ شرح المنظومة الرحبية.

٤ ـ شرح بلوغ المرام.

٥ ـ دروس موسمية في رمضان بعد العصر في الصوم والغزوات. كما له دروس موسمية عن مناسك الحج، كما كانت له ـ رحمه الله ـ مشاركات دعوية في برنامج نداء الإسلام، وإذاعة القرآن الكريم، كما شارك في مؤتمرات إسلامية كثيرة[٢].

مؤلفاته:

ـ للشيخ ـ رحمه الله ـ مؤلفات ورسائل عديدة منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو تحت الطبع، ومنها ما هو مخطوط، وحظيت مؤلفات ورسائل

---

(١) ترجمة المترجم له بخط يده. ص١٠ ـ ١٧.

(٢) مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ص٦٠.

الشيخ باهتمام بالغ من قِبل أبنائه، ومن تلك المؤلفات والرسائل المطبوعة:

١ ـ تتمة تفسير أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

٢ ـ تسهيل الوصول إلى علم الأصول.

٣ ـ الأدب في صدر الإسلام بالاشتراك.

٤ ـ أصل الخطابة وأصولها.

٥ ـ تعريف عام بعموميات الإسلام.

٦ ـ آيات الهداية والاستقامة.

٧ ـ التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٨ ـ ترتيب التمهيد على أبواب الفقه.

٩ ـ رسالة في توحيد الربوبية (مخطوط).

١٠ ـ عمل أهل المدينة في موطأ مالك.

وفاته:

توفي رحمه الله يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني عام عشرون وأربعمائة وألف للهجرة، ودفن في البقيع[١].

(١) مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ص٩.

الشيخ علي بن محمد بن سنان آل سنان
(١٣٣٨هـ ـ ١٤٢١هـ)

اسمه ونسبه:

هو أبو محمد الشيخ علي بن محمد بن سنان آل سنان، ينتهي نسبه إلى قبيلة «كندة» ثم إلى قبيلة «قحطان».

مولده:

ولد الشيخ علي بن محمد بن سنان سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف للهجرة النبوية بقرية «تيدان» منطقة العدين لواء إب من البلاد اليمنية.

نشأته:

نشأ الشيخ علي بن محمد بن سنان ـ رحمه الله ـ يتيمًا في حجر والدته؛ حيث توفي والده وعمره خمس سنوات، وقامت والدته برعايته، ولمَّا بلغ سن السادسة من عمره ذهبت به إلى الكتَّاب ليتعلم القرآن الكريم والقراءة والكتابة، وكان الكتَّاب في نفس القرية التي يعيش فيها الشيخ ـ رحمه الله ـ وقد حظي بتشجيع كبير من والدته في تلقي العلم. وتخرج ـ رحمه الله ـ من الكتَّاب وبيديه مبادىء القراءة والكتابة، ثم أخذ بقراءة كتب أهل العلم وكانت نادرة، وكان يحب القراءة والمطالعة في الكتب.

رحلته في طلب العلم:

كان يتردد على مسامعه ـ رحمه الله ـ عن العلم والعلماء في بلاد الحجاز، فخرج للحج وطلب العلم وهو في السادسة عشرة من عمره فلبث في الحجاز وتزود من العلم ثم رجع إلى اليمن برًا عن طريق الساحل ولما وصل إلى شمال اليمن دخل مدينة الزهرة ومكث بها ستة أشهر يأخذ عن

علمائها، ثم توجه إلى بلدته ومسقط رأسه «تيدان»، ثم عاود الرحلة في الطلب فقصد مدينة زبيد وكانت تعد من معاقل العلم الكبيرة آنذاك، فأخذ عن علمائها الفقه واللغة العربية والفرائض، وحفظ في تلك الرحلة بعض المتون مثل متن الزبد لابن رسلان في الفقه ومتن الآجرومية في اللغة العربية ومتن الرحبية في الفرائض ومتن أبي شجاع في الفقه، ثم عاد إلى بلده، ولمَّا كان عمره الثانية والعشرين عزم على الرحلة مرة أخرى إلى بلاد الحجاز، فخرج في أشهر الحج فحج ثم توجه إلى المدينة النبوية ومكث بها يتلقى العلم عن علمائها المشاهير، وبرز وفاق أقرانه من الطلاب، حتى صار عالمًا من علماء المدينة النبوية يشار إليه في تدريس العلم. ثم عزم على العود إلى بلده إلاَّ أن مشايخه حالوا بينه وبين ما أراد وطلبوا منه البقاء للتدريس في المدينة فوافق على ذلك.

جهوده في العلم والتعليم:

مما يجدر ذكره هو أن الشيخ علي بن سنان ـ رحمه الله ـ من العلماء الذين تنوعت وسائل نشرهم للعلم وأذكر منها ما يلي:

الوسيلة الأولى: التدريس في أكثر من جهة:

درَّس الشيخ ـ رحمه الله ـ في دار الحديث بالمدينة النبوية من عام ١٣٧٠هـ إلى عام ١٣٧٢هـ.

ودرَّس في دار الأيتام بالمدينة النبوية من عام ١٣٧٢هـ إلى عام ١٣٨٣هـ.

درَّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية من عام ١٣٨٣هـ إلى عام ١٤٠٢هـ.

ودرَّس ـ رحمه الله ـ في مسجد النبي ﷺ لأكثر من أربعين عامًا حيث

جلس للتدريس من عام ١٣٧٠هـ إلى عام ١٤١٦هـ.

ومن الكتب التي قام بتدريسها في الحرم النبوي ما يلي:

١ـ صحيح مسلم.

٢ـ بلوغ المرام.

٣ـ نيل الأوطار.

٤ـ الباعث الحثيث.

٥ـ تدريب الراوي.

٦ـ فتح القدير.

٧ـ قطر الندى.

٨ـ شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك.

٩ـ فتح المجيد.

١٠ـ تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد.

١١ـ كشف الشبهات.

وكان يدرس في أصول الفقه إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول للشوكاني، ودرس الرحبية، وكان يحث طلابه دائمًا على حفظ المتون.

الوسيلة الثانية: تأليف الكتب الدينية النافعة:

للشيخ ـ رحمه الله ـ مؤلفات وتقديمات وتعليقات وتخريجات مفيدة على بعض الكتب النافعة ومنها:

١ـ تخريج أحاديث فتح المجيد وجعلها في حاشية وأرقام مسلسلة.

٢ـ تحقيق وتعليق على أحكام مناسك الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي لشيخ الإسلام.

٣ـ حجة خير العباد المجرد من زاد المعاد.

٤ـ تقديم وتعليق وشرح «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للصنعاني».

٥ـ المجموع المفيد من عقيدة التوحيد ويحتوي على ثلاث رسائل:

أـ القول السديد في تنقيح الدر النضيد.

ب ـ رسالة في توضيح أمر الصوفية.

ج ـ رسالة في الأذكار وزيارة القبور وعذاب القبر ونعيمه وحكم المولد.

٦ـ التحذير والإنذار من عقوبة إسبال الإزار.

٧ـ القول المسطور في حكم المشي بالنعال على القبور.

٨ـ رسالة في مسائل الرضاع.

٩ـ الجواب الشافي في حكم الصلاة والسلام على النبي ﷺ في التشهد الأول والثاني.

١٠ـ البرهان في معنى التجويد والتغني بالقرآن وأخذ الأجرة على تلاوة القرآن وبيان ألفاظ الأذان والإقامة المشروعة والتبليغ خلف الإمام.

١١ـ القول الصحيح في صلاة التسبيح وحكم رفع اليدين والتأمين الجماعي خلف الداعي.

١٢ـ له مقالات في أعداد مختلفة من مجلة التوحيد كلها تعالج أخطاء الناس في توحيد العبادة.

١٣ـ له تقديم على كتاب تضمن مشروعية تعدد الزوجات لمؤلفه خالد بن عبدالرحمن.

١٤ـ من رسائل الدعوة ويشتمل على ثلاث رسائل:

أـ رسالة في صلاة النوافل قبل الجمعة وبعدها، وبعد أذان الفجر

الثاني .

ب ـ رسالة في الدعاء ومشروعية رفع اليدين فيه .

ج ـ رسالة في العمل بالحديث الضعيف .

١٥ـ تصحيح وتدقيق إحدى طبعات كتاب «التوحيد الذي هو حق على العبيد» نشر مكتبته التي سماها «دار الكتاب الإسلامي» عام ١٤١٢هـ .

الوسيلة الثالثة : توزيعه الكتب الدينية ووقفها :

مما عرف به الشيخ علي آل سنان ـ رحمه الله ـ حرصه على توزيع الكتاب الإسلامي ونشره على طلبة العلم بلا مقابل، وكان مشتركًا في مجلة التوحيد التي تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية في مصر ، فكان مشتركًا في عدد كبير منها ويوزعها على طلبة العلم بلا مقابل. وكان يقوم بوقف الكتب الدينية وقفًا مؤبدًا على بعض المؤسسات الدينية، وقد جعل مكتبته الضخمة والتي جمع فيها أمهات المراجع في شتى الفنون جعلها وقفًا مؤبدًا على شعبة دار الحديث المدنية قبل وفاته بعام ونصف .

مشايخه:

تتلمذ الشيخ علي آل سنان ـ رحمه الله ـ في بلاده قبل مجيئه الحجاز على عدة مشايخ وكذا بعد مجيئه إلى الحجاز ، وممن تتلمذ عليهم في بلاده :

١ـ الشيخ محمد سليمان الأهدل .

٢ـ الشيخ عبدالقادر الزبيدي .

أمّا شيوخه الذين أخذ عنهم في الحجاز فكثير ومنهم :

١ـالشيخ محمد الطيب الأنصاري التنبكتي «ت: ١٣٦٢هـ» .

٢ـ الشيخ عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي «ت: ١٣٧٧» .

٣ـ الشيخ عمر بن إبراهيم البري «ت: ١٣٧٨هـ» .

٤ـ الشيخ محمد بن علي التركي «ت: ١٣٨٠هـ».

٥ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي «ت: ١٣٩٣هـ».

٦ـ الشيخ محمد علي الحركان «ت: ١٤٠٣هـ».

٧ـ الشيخ عبدالرزاق عفيفي «ت: ١٤١٥هـ».

٨ـ الشيخ عبدالعزيز بن صالح «ت: ١٤١٥هـ».

٩ـ الشيخ عبدالعزيز بن باز «ت: ١٤٢٠هـ».

١٠ـ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني «ت: ١٤٢٠هـ».

وفاته:

توفي الشيخ علي آل سنان ـ رحمه الله ـ ضحى يوم الإثنين الموافق للعشرين من شهر شوال سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة النبوية عقب صلاة العصر، وقد أدّى عليه الصلاة خلق كثير لا يحصون، وقد شيع جنازته إلى بقيع الغرقد أبناءه وطلابه ومحبوه وأعداد غفيرة من المسلمين نسأل الله أن يرحمه برحمة واسعة لقاء ما قدّم من خدمة الإسلام والمسلمين[١].

---

(١) ينظر ترجمته «إتحاف الجنان بترجمة الشيخ علي بن محمد بن سنان آل سنان» ومقدمة «أحكام مناسك الحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي» لشيخ الإسلام وشرح محمد آل سنان. كتب الترجمة الدكتور ناصر بن علي الشيخ ـ حفظه الله ـ.

عبدالله بن محمد الزاحم
(١٣٥٠هـ ـ ١٤٢٣هـ)

عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن عثمان بن زاحم بن أزد بن قحطان في اليمن، هاجر أجداده إلى نجد واستقروا فيها منذ أمد طويل.

ولد في قرية القصب من قرى اليمامة في الوشم سنة ١٣٥٠هـ كان والده إمامًا لمسجد القصب، فاهتم بتحفيظه القرآن الكريم وتلقينه مبادىء العلوم الأساسية، ولما توفي والده ـ وكان له اثنا عشر عامًا ـ انتقل إلى رعاية عمه الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب الزاحم وكان رئيس المحكمة الكبرى بالرياض. وفي عام ١٣٦٣هـ انتقل الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب الزاحم إلى المدينة وكان في معيته المترجم له، حيث التحق هناك بالمدرسة الناصرية الابتدائية وكان في المساء ينهل من علوم علماء المسجد النبوي وعند افتتاح المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧١هـ التحق به وكان يتردد على علماء الرياض، وفي فترات الإجازة يعود إلى المدينة للاستفادة من علمائها، وبعد تخرجه من المعهد العلمي التحق بكلية الشريعة بالرياض حتى تخرج فيها.

مشايخه:

تلقى الشيخ عبدالله ـ رحمه الله ـ على كثير من علماء المدينة والرياض على وجه الخصوص ومنهم:

١ـ الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب الزاحم.

٢ـ الشيخ محمد الخيال.

٣ـ الشيخ عبدالعزيز بن صالح.

٤ـ الشيخ عبدالرحمن الإفريقي.

٥ـ الشيخ محمد بن إبراهيم.

٦ـ الشيخ عبدالرزاق عفيفي.

٧ـ الشيخ عبدالعزيز بن باز.

٨ـ الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

مناصبه وجهوده:

بعد تخرجه من الابتدائية عمل مساعد كاتب ضبط في المحكمة بالمدينة وفي عام ١٣٧٨هـ عين مساعدًا لرئيس محكمة حائل، ثم لما تقاعد رئيسها أصبح رئيسًا لها عام ١٣٨٠هـ، وفي عام ١٣٩٠هـ عاد إلى المدينة النبوية مساعدًا لرئيس المحكمة فيها، ثم عين إمامًا وخطيبًا في المسجد النبوي أواخر عام ١٣٩١هـ، وفي عام ١٤١٦هـ عين رئيسًا لمحاكم منطقة المدينة النبوية، وكان له نشاطات دعوية في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة.

مؤلفاته:

١ـ خطب الجمع والأعياد ألقيت على منبر خير العباد ﷺ.

٢ـ موجز الكلام عن مكانة المدينة.

٣ـ قضاة المدينة النبوية.

٤ـ رسالة في الزنا.

وفاته:

توفي ـ رحمه الله ـ في الثالث من ذي القعدة عام ١٤٢٣هـ[١]، [٢]

(١) جريدة الرياض الخميس ٢٧ ذو القعدة ١٤٢٣هـ، العدد ١٢٦٤١ السنة ٣٨.

(٢) ترجمة الشيخ عبدالقادر بن حبيب الله السندي، مقدمة كتاب الجمع والأعياد.

الفهارس العامة

أولاً فهرس الآيات

﴿سورة البقرة﴾

﴿سورة آل عمران﴾

﴿سورة النساء﴾

﴿سورة الأعلى﴾

﴿سورة الغاشية﴾

﴿سورة البينة﴾

﴿سورة الكافرون﴾

﴿سورة الإخلاص﴾

ثانيا: فهرس الأحاديث

ثالثاً : فهرس الآثار

رابعًا: فهرس الأشعار

خامسًا : المصادر والمراجع

حرف الألف

ـ آفاق الهداية، عبدالعزيز الخلف، مكتبة دار لبنان، دمشق.

ـ آيات الهداية، محمد عطية سالم، مكتبة دار التراث، المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

ـ الأجزاء الكونية بين النقل والعقل، عبدالعزيز بن خلف الخلف، مكتبة دار البيان، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ.

ـ الإحكام، علي بن أحمد بن حزم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

ـ الإحكام لعلي بن أحمد الآمدي، تحقيق د/ سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

ـ أحكام الجنائز وبدعها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

ـ الإسراء والمعراج من الكتاب والسنة، عطية محمد سالم، دار الهجرة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

ـ أساس البلاغة، أبو القاسم محمود عمر محمد الخوارزمي الزمخشري، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

ـ إرشاد المحتار إلى سبيل المختار، صالح بن أحمد، مطبعة دار نشر الثقافة.

ـ إرشاد الحائرين لرد شبهات المشبهين، محمود شويل علي، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ.

ـ إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، دار الفكر، بيروت.

ـ إرشاد الفحول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق محمد البدري، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

ـ إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن حمد القسطلاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان.

ـ أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، مكتبة دار الكتاب الإسلامي ١٤٠٧هـ.

ـ أصول السنة لابن أبي زمنين، تحقيق عبدالله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة.

ـ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.

ـ الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

ـ الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي، طبعة خيرية، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ.

ـ الإكمال، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

ـ الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

حرف الباء

ـ البراهين الواضحات، محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، مطبعة المدينة المنورة ١٣٥٧هـ.

- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق هشام عطاء عادل العدوي وأشرف أحمد، دار مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

- البراهين الواضحات في نظم كشف الشبهات، محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، مطبعة المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ.

حرف التاء

- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

- تدريب الراوي، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- تفسير ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن محمد بن كثير، دار الفكر، بيروت ١٤٠١هـ.

- التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان ١٤٠٦هـ.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر النمري، وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد بن عبدالكبير البكري ١٣٨٧هـ.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ.

- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

- تحذير الحاج والزائر فيما أحدثه الناس في الغابر، صالح بن أحمد المصوعي، مخطوط.

- التوسل وأنواعه، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، سوريا، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

- التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع لمحمد نسيب الرفاعي، المكتبة المكية، الطبعة الثانية، حلب.

- تعريف عام بعموميات الإسلام، محمد عطية سالم، دار الجوهرة، المدينة ١٤١٦هـ.

- تلخيص كتاب الاستغاثة لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، دار أطلس، الرياض ١٤١٧هـ.

- تاريخ أبي زرعة الدمشقي، عبدالرحمن بن عمرو بن عبدالله النصري، تحقيق شكرالله بن نعمة الله القوجاني.

- التعليم الأهلي في المدينة المنورة، عقيل الله الحيدري، نادي المدينة الأدبي.

- تدمير أباطيل محمد أحمد نور بالقرآن والحديث، صالح بن أحمد المصوعي.

- تفسير القرآن، عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق أسعد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا ١٣٩٩هـ.

ـ توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، محمد السلمان، مطابع مؤسسة المدينة، جدة ١٤١٦هـ.

ـ التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي ﷺ، عطية محمد سالم، المكتبة السلفية، المدينة النبوية، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

ـ التاريخ الشامل للمدينة المنورة، د/ عبدالباسط بدر، مكتبة المدينة المنورة ١٤١٤هـ.

ـ تحقيق كلمة الإخلاص، لعبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق أسامة حمزة، دار الفتح، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

ـ تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول في التوحيد، إبراهيم عمر البري، مطبعة المدينة المنورة، الطبعة الأولى.

ـ التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

حرف الثاء

ـ الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر ١٣٩٥هـ.

حرف الجيم

ـ الجرح والتعديل، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٢٧١هـ.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

ـ الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

ـ جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باحسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٨هـ.

ـ جواب الإفريقي، عبدالرحمن بن يوسف الإفريقي، مطبعة الاعتصام، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ.

ـ جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨هـ.

حرف الحاء

ـ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للأصفهاني، تحقيق محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض ١٤١١هـ.

ـ حاشية تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، لعلي بن محمد بن سنان، دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

ـ حجية السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، محمد أمان، موسوعة إصدارات الجامعة الإسلامية.

ـ حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

حرف الخاء

ـ خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبدالرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض ١٣٩٨هـ.

حرف الدال

ـ ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات منهم لابن محمد

بن أحمد الذهبي، تحقيق حماد بن محمد الأنصاري، دار النهضة الحديثة، مكة المكرمة.

ـ الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

ـ الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترىً عليها. عبدالعزيز بن محمد الشناوي، مطبعة جامعة الأزهر، مصر ١٩٨٠م.

ـ دعوة التوحيد، محمد خليل هراس، دار الشريعة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

ـ الدلائل اليقينيات في الفرق بين كرامة الأحياء والأموات، محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٦٠هـ.

ـ دليل المسلم المبتدئ، عبدالله الخربوش، مطابع الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

ـ درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ.

ـ الدين الخالص، محمد بن صديق حسن، مطبعة المدني، مصر ١٣٧٩هـ.

ـ الدر المنثور لعبدالرحمن بن الكمال السيوطي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٣م.

حرف الذال

ـ ذم التأويل، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق بدر بن عبدالله البدر، الدار السلفية، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

ـ رفع الشبهة والغرر عمّن يحتج على فعل المعاصي بالقدر، مرعي بن يوسف الكرمي، تحقيق أسعد المغربي، دار حراء، مكة المكرمة ١٤١٠هـ.

ـ رسائل الردود، الشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

ـ رسائل في العقيدة، حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة الفرقان، الإمارات، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

ـ رسالة في أحكام الخمر والزنا، عبدالله بن زاحم، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

ـ رسالة توحيد الربوبية، عطية محمد سالم، مطبوع بالآلة الكاتبة.

ـ رسائل في الفقه، حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة الفرقان، الإمارات ١٤٢٥هـ.

ـ رفع الشك والارتياب ودفع اللوم والعتاب عمّن اتبع سنة الرسول الأعظم فمسح على العمامة والشراب، محمود شويل بن علي، مطبعة المنار، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ.

ـ روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

حرف الزاي

ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر الزرعي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامي، بيروت، الكويت، الطبعة الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

حرف السين

ـ سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع المعلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- السنة لابن أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ.

- السنة لعبدالله بن أحمد، تحقيق د/ محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام ١٤٠٦هـ.

- السنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

- السيرة النبوية لابن هشام، عبدالملك بن هشام الحميري، دار المعرفة، بيروت.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت.

- السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة، صبحي منصور، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي، تحقيق عبدالغفار البنداري وسيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

حرف الشين

- الشريعة لأبي بكر بن الحسين الآجري، تحقيق الوليد بن محمد، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع

الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

ـ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، تحقيق علي محمد بجاوي، مطبعة عيسى البابي حلبي.

ـ شرح قصيدة ابن القيم المسماة «الكافية الشافية»، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

حرف الصاد

ـ الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه، محمد أمان الجامي، دار الحرمين للطباعة، مصر.

ـ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير السهسواني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة. الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ.

ـ الصارم المنكي في الرد على السبكي، محمد بن عبدالهادي، تحقيق إسماعيل بن محمد الأنصاري.

ـ صريح السنة للطبري، تحقيق بدر المعتق، دار الخلفاء، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

ـ صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة، ياسين أحمد الخياري، مؤسسة المدينة للصحافة، دار العلم، جدة، الطبعة الثانية.

ـ صحيح الجامع، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

حرف الطاء

- طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

- طبقات الصوفية، لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الأولى ١٣٧٢هـ.

- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري، دار صادر، بيروت.

حرف العين

- العقيدة الخالصة، السيد قاسم بن عبدالجبار الأنديجاني، مدرسة الأوزبك بالمدينة المنورة ١٤٢٣هـ.

- عدة الصابرين لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق د/ مهدي المخزومي ود/ إبراهيم السامرائي.

- عقيدة السلف، محمد الطيب الأنصاري، مكتبة دار الكتاب الإسلامي، المدينة المنورة ١٤٠٧هـ.

- عقيدة أبي حاتم وأبي زرعة، جمع محمود بن محمد الحداد، دار تيسير السنة، القاهرة ٢٠٠٢م.

- عوارف المعارف، شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي، تحقيق عبدالحليم محمود ومحمود الشريف، مطبعة السعادة، مصر.

- عناية الملك عبدالعزيز بالعقيدة السلفية ودفاعه عنها، محمد الخميس.

حرف الفاء

- فضل العلم والقضاء، عبدالله بن زاحم، دار المنار، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، مصر ١٣٥٦هـ.

ـ الفرق بين الفرق، عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت.

ـ فصول من تاريخ المدينة المنورة، علي حافظ، شركة المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

ـ فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.

ـ فتح المغيث، محمد السخاوي، تحقيق علي حسين علي، دار الإمام الطبري، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

ـ الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية، لابن عجيبة الحسني، دار المعرفة للطباعة، بيروت.

ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

حرف القاف

ـ القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- القول الفصل في حقيقة سجود الملائكة واتصافهم بالعقل، محمود شويل، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، مصر ١٣٧٩هـ.

- القول السديد في قمع الحرازي العنيد، محمود شويل علي، مطبعة الإمام، الطبعة الأولى.

- قواعد التصوف، لأبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد زروق، صححه ونقحه محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ.

- قاعدة في التوسل والوسيلة، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٠هـ.

حرف الكاف

- كشف الشبهات، للشيخ محمد بن عبدالوهاب التميمي، دار الكتاب الإسلامي.

- الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي الجرجاني، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

- كتاب الضعفاء للعقيلي، تحقيق عبدالمعطي القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

- كتاب البدع، محمد بن وضاح القرطبي، تحقيق بدر بن عبدالله البدر، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

حرف اللام

- لوامع الأنوار البهية لمحمد بن أحمد السفاريني، مطبعة المنار ١٣٢٥هـ.

- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

ـ لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق دائرة المعرف النظامية، الهند، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٦.

ـ اللمع، لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق عبدالحليم محمد وطه عبدالباقي، دار الكتب الحديثة، مصر، ومكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٠هـ.

حرف الميم

ـ المجروحين، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

ـ المدخل إلى الصحيح، محمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق ربيع بن هادي المدخلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

ـ مختصر التوحيد، عبدالعزيز الشبل، مطبوع بالآلة الكاتبة.

ـ مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

ـ مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

ـ مقارنة علمية حول الثروة الفكرية، عبدالقادر بن حبيب الله السندي، دار البخاري للنشر، المدينة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

ـ معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

ـ معرفة علوم الحديث لأبي عبدالله الحاكم، تحقيق السيد معظم حسين، دار

الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.

ـ منزلة الحديث من الدين، محمود شويل، المطبعة السلفية، الطبعة الأولى.

ـ المختار من الرحلات الحجازية إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، للدكتور محمد بن حسن الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

ـ المدينة المنورة في القرن الرابع عشر الهجري، أحمد سعيد سليم، دار المنار.

ـ المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلي، عبدالحليم محمود، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

ـ المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سعيد، تحقيق عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن عطية، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

ـ مختار الصحاح، محمد الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

ـ المنهل الريحان، مقال للأستاذ ناجي محمد الأنصاري ١٤١٣هـ.

ـ صور وذكريات عن المدينة المنورة، عثمان حافظ، منشورات نادي المدينة الأدبي.

ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، عبدالإله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

ـ مجموع رسائل الجامي، محمد أمان الجامي، دار ابن رجب، المدينة النبوية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١هـ.

ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر الزرعي، مكتبة الرياض، الرياض.

ـ المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي بن عبدالحميد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

ـ المؤتلف والمختلف، محمد بن طاهر بن علي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية ١٤١١هـ.

ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

ـ مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.

ـ المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

ـ المسودة في أصول الفقه، مجد الدين أبي البركات وأبو المحاسن عبدالحليم بن عبدالسلام وشيخ الإسلام أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية،

مصر.

ـ المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٠٩هـ.

ـ المصنف لعبدالرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

ـ الموضوعات، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي القرشي، تحقيق توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

ـ المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبدالله الحاكم، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية.

حرف النون

ـ النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات المبارك، المكتبة العلمية، بيروت.

حرف الواو

ـ واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.

ـ الوابل الصيب، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

ـ الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة الرابعة.

سادسا : فهرس الموضوعات